محمد مجيد بلال

الإسلام المبكر في التواريخ السريانية

دراسة مقارنة

بين تاريخ الطبري وتاريخ ميخائيل الكبير



الطبعة الأولى

2015

دار الرافدين

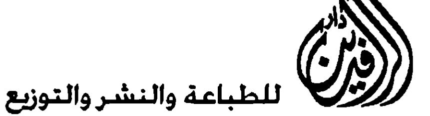
اسم الكتاب: الإسلام المبكّر في التواريخ السريانية

المؤلف: محمد مجيد بلال

عدد الصفحات: ٣٦٨

الطبعة: الأولى ٢٠١٥م

الناشر: دار الرافدين - بيروت



لبنان - بيروت ص.ب 25/309 الغبيري
تلفاكس : 541980 1 961+ **خليوي ،** 03/445510
e-mail ، daralrafidain@yahoo.com

الإسلام المبكّر في التواريخ السريانية

دراسة مقارنة بين تاريخ الطبري وتاريخ ميخائيل الكبير

مُحمَّد مجيد بلال



مقدمة الناشر

هذا الكتاب، الذي نضعه اليوم بين يدي القارئ الكريم، يتناول موضوعاً حسّاساً لم يتطرق له الباحثين إلا لماماً، وأكثر الظن كان الباحثون يتحاشون الخوض في غمار هذا الموضوع لكثرة الإشكالات فيه.

فالتاريخ الإسلامي، كما يعتقد بعض المؤرخين، لم يُكتَب بأيدي المسلمين، والبعض الآخر يدّعي أن المدوّنات الإسلامية قد تكون حُرِّفَت أو أُتلِفَتْ، وذلك لمسيرة الإسلام الأولى التي تعرضت لعواصف سياسية عدة، داخلية وخارجية، إلا أن هناك حقيقة تثبتها هذه الدراسة، بأن للسريان فضل وأهمية في تدوين التاريخ الإسلامي، والباحث هنا يدافع في مكان ما عن هذه التواريخ، وأحياناً يشكك فيها في مواضع أو نقولات معينة.

والتاريخ عبارة عن منظومة معقدة، يعيش الإنسان إسقاطاتها وتبعاتها في عصورٍ لاحقة. من هنا تبرز أهمية هذا الكتاب.

والمؤلف بذل جهوداً كبيرة في البحث والمقابلة بين النصوص، واستلهم من حوالى مئتي مصدر، ولكن إشادة المختصين بأهمية البحث العلمية شجّعتنا على نشر الكتاب.

وهذا العمل في الأصل، هو رسالة ماجستير في التاريخ السرياني، أُعدّت في جامعة القديس يوسف في معهد الآداب الشرقية ـ بيروت، وقد أشرف على هذه الرسالة الأب سليم دكاش اليسوعي، وقد نالت درجة جيدة جداً مع التنويه.

دار الرافدين
بيروت ـ لبنان

التمهيد

إنَّ الاهتمام بدراسة التاريخ على مرِّ العصور، عاملٌ مهمٌ ومؤثرٌ في التقدُّم الإنساني، خاصَّة وأنَّ الحضارة تراثٌ انسانيّ تتقاسمه الجماعات الإنسانيَّة على مختلف مشاربها؛ لذا، وُجب علينا النظر إليه نظرة موضوعيَّة لنتعلَّم من تجاربهِ. والتاريخ لم يعد مجرَّد حكاية، بل هو صاحب الدَّور الأساس في جميع العلوم الإنسانيَّة. والمجتمات البشريَّة بدورها أصبحت تتمايز على أساس كمّ، ونوع، الثقافات المتراكمة. من هنا، جاء دور الحضارة السريانيَّة التي كانت دائماً همزة الوصل بين الثقافات والحضارات الأخرى في منطقة المشرق.

لقد كتب الكثير عن السريان، وفضلهم على الحضارة العربيَّة، لكنني أردت أنْ أزيد وأكتب حول موضوع جديد، لم يتطرَّق له قبلي، إلاَّ عدد قليل من الباحثين والدارسين، فكان دراسة التاريخ الإسلامي في التواريخ السريانيَّة، وإجراء مقارنة بينها وبين التواريخ الإسلاميَّة العربيَّة. وتحديداً الموضوع التالي: «**التأريخ الإسلاميّ دراسة مقارنة بين تاريخ ميخائيل الكبير وتاريخ الطبريّ حتى نهاية العصر الأمويّ**» وقد تطلَّب هذا الموضوع المزيد من الجهد، والعمل، والاطِّلاع الواسع، وذلك لإيماني بأهميَّة ما قدَّمه السريان من فضل لا يمكننا إلاَّ التطرُّق إليه، والتذكير به دائماً. لذا، وجب علينا أنْ لا نتجاهل فضل السريان على الحضارة الإسلامية. لقد حاولت جاهداً أنْ أجمع وأنسِّق بين كلِّ شاردة

وواردة عن هذا الموضوع، محاولاً أن أكون منصفاً في التطرُّق إلى كلّ النواحي المختلفة، ومعالجة مختلف الجوانب بدقّة، وموضوعيَّة، عارضاً الأحداث بكلِّ أمانة.

لا بدّ لنا في البداية، ونحن نتناول هذا الموضوع المهمّ في هذه الدراسة، من أنْ نستعرض باختصار الوضع السياسي والديني، قبيل ظهور الإسلام في المناطق التي نشأت فيها الكنيسة السريانيَّة منذ فجر المسيحيَّة، والأماكن التي نشأ فيها الإسلام وانتشر بعد نَيِّف وستمائة سنة، لنتوصَّل إلى معرفة أفضل عن ملتقى الفريقَيْن السرياني والإسلامي في الخطوط العريضة لتاريخهم المشترك، ولبعض عقائدهم الدينيَّة.

السريان

السريان اليوم، هم أعضاء كنيسة إنطاكيا السريانيَّة الأرثوذكسيّة، السُّلالة المباشرة لأجدادهم السكّان الأصليين لبلاد سوريا، ولبنان، وفلسطين، وآسيا الصغرى، وما بين النهرين العُليا والسُّفلى أي العراق[١]. كانت لغتهم الآراميَّة السريانيَّة لغة سوريا القديمة التي تكلّمها السَّيد المسيح[٢]. وهي اللُّغة التي كانت مُهيمنة على تلك المنطقة عند ظهور الإسلام، وإلى جانبها اللّغة العربيَّة الّتي كانت لغة القبائل العربيَّة النازحة من الجزيرة العربيَّة والمستقرَّة في إطارها العشائريّ منذ أمد بعيد في المناطق الشرقيَّة من سوريا، والمناطق الغربيَّة، والشماليَّة من العراق. واستعملت تلك القبائل إلى جانب لغتها العربيَّة اللّغة السريانيَّة في الطقس الكنسي، بحكم كونها جزءاً لا يتجزأ من كنيسة إنطاكيا

(١) رشدي، تاريخ ميخائيل السرياني، ١٢؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ١٢٤؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ عبده، السوريون والحضارة السريانية، ص٨.

(٢) زرازير، السريان في لبنان، ص٤.

السريانيَّة. وإلى جانب هاتين اللّغتين، كانت هناك اللّغة اليونانيَّة، اللّغة الرسميَّة للدَّولة البيزنطيَّة المحتلة لتلك البلاد، ولغة بعض سكَّانها الَّذين هم من أصل إغريقي، وكانوا قاطنين في المدن السوريَّة الكُبرى؛ أمَّا اللّغة الفارسيَّة، فقد كانت لغة الدَّولة الساسانيَّة(١).

انقسام الكنيسة المسيحيَّة على ذاتها

أطلّ القرن السابع للميلاد على كنيسة انطاكيا السريانيَّة وهي تكافح باذلة قُصارى جهدها في الحِفاظ على كيانها، وما ورثته من آبائها من تراث سرياني آرامي، وعقائد مسيحيَّة، تسلَّمتها من تلاميذ السَّيد المسيح وآبائها الروحيين(٢). وقد أنهكت قِواها الاضْطهادات العنيفة التي أثارها ضدَّها اليهود، والممالك الرومانيَّة، والبيزنطيَّة، والفارسيَّة منذ أجيال بحكم موقعها الجغرافي، فقدَّمت عدداً غفيراً من الشهداء عبر العصور. وهكذا، تمرّس أبناؤها في تحمُّل المشقَّات في سبيل التمسُّك بالعقيدة الدينيَّة(٣). كما أنَّ ظهور الآراء المتطرِّفة في قضايا الدِّين وتفاقُم الجِدال الديني العقائدي(٤)، كلّ ذلك، كان الدافع لهم إلى التعمُّق بدراسة علم اللَّاهوت، وحافزاً للعلماء إلى التتبُّع الفلسفي، فاقترن عِلم اللَّاهوت بالفلسفة الّتي أضحت سلاحاً لدحض المزاعم الباطلة، وللدفاع عن صحَّة العقائد الدينيَّة. وقد اشتهر السريان بمحبتَّهم للعِلم، حتى أنَّهم كانوا يؤسِّسون إلى جانب كلّ كنيسة مدرسة. ولمَّا

---

(١) ينظر: الرسالة، ص١٨٥؛ شلبي، أضواء على المسيحيّة، ص٨٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحي، ص١٥٣.

(٢) عبده، السوريون والحضارة السريانية، ص٢٠.

(٣) أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص٥٥؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

(٤) عطية، م. س.، ص٢٤٥؛ يغوليفساكيا، ثقافة السريان، ص٥٦.

ازدهرت الرهبانيَّة، كانت الأدِيرَة بمثابة كلّيات لدراسة العلوم الّلاهوتيَّة وغيرها[1].

وكانت الكنيسة المسيحيَّة قد انقسمت على ذاتها، وأضحت في أماكن عديدة ميدان حروب مذهبيَّة لا هوادة فيها، فولّدت الشكوك، وأضعفت الإيمان في قلوب المؤمنين. كما أنَّ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة كانت بعد وفاة قسطنطين الملك الذي تنصَّر في أوائل القرن الرابع للميلاد قد انقسمت إلى معسكرين: المعسكر الغربي، وكانت لغته الّلغة اللاتينية، والمعسكر الشرقي، الذي بدا إغريقياً بلغته وثقافته، فدُعيت مملكته بالدولة البيزنطيَّة، وكان أغلب مناطق الكنيسة السريانيَّة بحكم موقعها الجغرافي، خاضعاً لهذه الدولة البيزنطيَّة، أمَّا بقيَّة مناطقها، فكانت خاضعة للإمبراطوريَّة الفارسيَّة التي كانت لغتها الرسميَّة الّلغة الساسانيَّة[2].

وكانت الدولتان البيزنطية والفارسية على طرفي نقيض وتتنازعان السلطة والسيادة على الشرق، الأمر الذي سبّب استمرار الحروب بينهما.

قانون الإيمان المسيحي

كانت الكنيسة المسيحيَّة على إثر ظهور بعض الآراء الدينيَّة الغريبة عن تعاليمها الساميَّة قد أعلنت قانون إيمانها في المجمعين المسكونيين، مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينيَّة المنعقد عام ٣٨١م. وفي هذين المجمعين حدَّدت أيضاً المناطق الجغرافيَّة الخاضعة دينياً للكراسي الرسوليَّة الثلاثة: روما، والإسكندريَّة، وانطاكية، ثمَّ

(١) ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/٤٩.
(٢) رشدي، تاريخ ميخائيل السرياني، ص١٢

للكرسي الرابع كرسي القسطنطينيَّة، وأعلنت في المجمع الأخير أيضاً امتيازات هذه الكراسي الدينيَّة الرسوليَّة بناءً على موقعها الجغرافي ومدى قُربها من مركز السلطة المدنيَّة السياسيَّة.

انقسام الكنيسة السريانيَّة على ذاتها

كانت التنافرات المذهبيَّة بين المسيحيين قد بلغت أوجها، نتيجة الشقاق الذي صدّع جوانب الكنيسة المسيحيَّة عامَّة، والكنيسة السريانيَّة خاصَّة، على إثر مجمَّع أفسس المسكوني الثالث المنعقد عام ٤٣١م[١]، والذي حرَّم نسطور، لزعمه «أنَّ المسيح ذو أقنومين وطبيعتَيْن منفصلتَيْن»[٢]. فالَّذين أخذوا بزعم نسطور من السريان ولم يخضعوا لقرارات مجمع أفسس سُموا نساطرة، فأثارت المملكة البيزنطيَّة الاضطهاد ضدَّهم، فهربوا إلى مناطق المملكة الفارسيَّة فيما بين النهرين السفلى. وبهذا، انقسمت الكنيسة السريانيَّة إلى اثنتين، فالذين كانوا قاطنين غربيّ نهر الفرات، سُمّوا سرياناً غربيين، وكانوا خاضعين دينياً للبطريرك الأنطاكي مباشرة. والّذين سكنوا شرقيّ نهر الفرات في مناطق العراق، سُموا سرياناً شرقيين، وأغلبيتهم من النساطرة، ويُستثنى منهم السريان الأرثوذكس الخاضعون للكرسي الرسولي الأنطاكي. وعلى إثر هذا الانقسام الجغرافي، برز انقسام في الّلغة السريانيَّة أيضاً إلى لهجتين غربيَّة وشرقيَّة. وتحمّل السريان الأرثوذكس المضايقات من الدولة الفارسية، ليس فقط كونهم مسيحيين، بل أيضاً لوجود رئاستهم الروحيَّة في إنطاكية حاضرة سوريا القديمة ضمن المنطقة الخاضعة الدولة

---

(١) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص٤٣؛ أبونا، أدب الّلغة الآرامية، ص٦٢.

(٢) أبونا، م. ن.، ص٥٥؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٩.

البيزنطيَّة عدوّة الدولة الفارسيَّة، فكانوا يُتَّهمون بولائهم لأعداء الفرس. وعلى إثر تبنّي الدَّولة البيزنطيَّة قرارات مجمَّع خلقيدونيا المُنعقد عام ٤٥١م، أثارت هذه الدَّولة اضطهادات عنيفة ضدّ رافضي تلك القرارات، وفي مقدّمتهم أتباع الكنيسة السريانيَّة الأرثوذكسيَّة، الّتي تحمّل إكليروسها وشعبها معاً أصناف العذاب المختلفة من نفي، وسجن، وقتل، فاستشهد منهم عدد كبير[١].

ومن جملة هذه الاضطهادات، الاضطهاد العنيف الذي أثاره يوسطينوس الأوَّل على إثر جلوسه على عرش الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة عام ٥١٨م، ضد أتباع الكنائس السريانيَّة، والقبطيَّة، والأرمنيَّة، فاضطر البطريرك السرياني الأرثوذكسي مار سويريوس الكبير إلى مغادرة كرسيه البطريركي في انطاكية واللجوء إلى مصر، حيث أقام زهاء عشرين سنة في دار مؤمن قبطي يدبّر الكنيسة بوساطة نوَّابه ورسائله[٢].

ولا بدَّ أنْ نذكر هنا أنَّه في أوائل القرن السابع اعتلى عرش الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة (٦١٠ ـ ٦٤١م) الإمبراطور هرقل، فبعد أنْ انتصر على الفرس، واستولى على الجزيرة وما بين النهرين، ودخل سوريا عام ٦١٢، واستولى على دمشق عام ٦٢٩، حينذاك أخذ يسعى لإعادة الوحدة الدينيَّة إلى الإمبراطوريَّة، ليوحّد السريان، والأقباط، والأرمن، مع البيزنطيين، واستخدم لذلك أساليب الوعد حيناً، والوعيد والقمع الشديد أغلب الأحيان، فاستشهد منهم عدد لا يُحصى لعدم الانصياع إلى رغبته.

ولم تنتهِ اضطهادات الدولة البيزنطيَّة للكنيسة السريانيَّة إلَّا بظهور

---

(١) أحمد، الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، ص٢٧.

(٢) المخلصي، شهداء الفرس، ص٤ ـ ١٣.

الإسلام، حيث خرجت موجة من الذين دانوه من الجزيرة العربيَّة، وحُرِّرت بلاد المشرق من حكم البيزنطيين والفرس في النصف الأوَّل من القرن السابع للميلاد بالتعاون مع أتباع الكنيسة السريانيَّة ـ سكان البلاد الأصليين ـ الذين كانوا موجودين في تلك المناطق منذ أجيال سحيقة، وكان بعضهم من أبناء القبائل العربيَّة الذين يمتّون بصِلَة الدم، واللّغة، والتاريخ، إلى العرب المسلمين. فلّما دخل العرب المسلمون سوريا، استقبلهم السريان بفرح، واعتبروهم مُنقذين جاءوا ليخلّصوهم من نير البيزنطيين الذين حاولوا إذابتهم في كنيستهم البيزنطيَّة التي اعتُبرت كنيسة الدَّولة الرسميَّة. فبالتعاون مع العرب المسلمين، تمكَّن السريان من المحافظة على عقيدتهم الدينيَّة، وكرسيّهم الرسولي الأنطاكي، وكنائسهم، وأديرتهم، وتراثهم، وطقوسهم الدينيَّة السريانيَّة[١].

موقف السريان من الفتح العربي الإسلامي

نستنتج ممَّا سبق، أنَّ النزاعات الدينيَّة في الكنيسة المسيحيَّة وتبنِّي السلطة البيزنطيَّة حماية فئة خاصَّة، وفرضها قرارات مجمع خلقيدونيَّة على الكنائس المسيحيَّة بالقوَّة، وإثارتها الاضطهادات العنيفة مِنْ نفي، وتشريد، وسجن، وقتل، كلّ هذه الممارسات غير الإنسانيَّة، خلقت روح الكراهية والنفور في قلوب السريان تجاه السلطة البيزنطيَّة[٢]. كما أنَّ السلطة الفارسيَّة كانت تضطهد المسيحيين عامة الذين في مملكتها من سريان غربيين وشرقيين، محاولة إخضاعهم لسياستها المجوسيَّة التعسفيَّة، واعتناق دينها المجوسي. لذلك، فالسريان سواء أكانوا تحت الحكم البيزنطي أم الفارسي، استقبلوا العرب المسلمين الفاتحين

(١) شلبي، أضواء على المسيحيّة، ص٨٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحي، ص١٥٣.
(٢) يغوليفساكيا، العرب على حدود بيزنطية، ص٣٣.

كمحرّرين، وكانت آمالهم كبيرة بالتخلّص من نَير المحتلين الفُرس والبيزنطيين، ليس من محنتهم الدينية فقط، بل أيضاً من الضرائب الباهظة التي وُضعت على كاهلهم، فقالوا: «نحمد الله الذي خلّصنا من حكم البيزنطيين الظالمين وجعلنا تحت حكم العرب المسلمين العادلين»[1].

حالة العرب الدينية عند ظهور الإسلام

كانت أحوال العرب الدينيَّة مشوَّشة غير منظَّمة، وكان بعض قبائلهم وثنياً صَرفاً، وكان انقسام المسيحيَّة على ذاتها قد شغلها عن الاهتمام بنشر بشارة الإنجيل؛ لذلك، كانت الفرصة سانحة لظهور الإسلام في الجزيرة العربيَّة في ذلك العصر. ولا بدّ أنْ نذكر ها هنا أنَّ بعض سكَّان الجزيرة العربيَّة عند ظهور الإسلام كانوا يتبعون ملة إبراهيم الخليل اسماً لا فعلاً. ويذكر التاريخ أنَّ النصرانيَّة قد دخلت الجزيرة منذ القرن الأوَّل للميلاد، وكانت المسيحيَّة قد انتشرت بقوَّة في عدد كبير من القبائل العربيَّة عبر بادية الشام والعراق، وهُيِّئت لتقبُّل الإسلام بعدئذ، كقبائل ربيعة، وبني تغلب، وبني كلب، كما تنصَّر من اليمن طيء، وبهراء، وسليخ، وتنوخ، وغسان، وغيرها[2].

وكان مذهب آريوس الذي حرَّمه مجمع نيقية عام ٣٢٥م، ومذهب نسطور الذي حرَّمه مجمع أفسس عام ٤٣١م، منتشرين بين المسيحيين هناك[3]. كما كانت المزاعم الدينيَّة غير السليمة لبعض الأحباش من

---

(١) المخلصي، شهداء الفرس، ص١٣ ـ ١٥.

(٢) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني، ص٤٦؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ١٢٧/١.

(٣) عبد الحميد، م.س.، ص٤٨، ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ٤٦/١.

الخارجين على معتقدات كنيستهم الأرثوذكسيَّة قد تسرّبت باسم المسيحيَّة إلى بعض مناطق الجزيرة العربيَّة.

واشتهر في الجزيرة العربيَّة في أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد قُسّ بن ساعدة الأيادي أُسقف نجران الذي دُعي حكيم العرب، وخطيبها وشاعرها، وورقة بن نوفل بن أسد (توفي حوالى سنة ٦١١م) أُسقف مكَّة، الأرثوذكس. ومهما كانت عقائد أولئك النصارى في الجزيرة العربيَّة. فقد كان لهم تأثير كبير على العرب المسلمين هناك. وعلينا ألاَّ ننسى أنَّ العقائد الدينيَّة الرئيسة في المسيحيَّة والإسلام متقاربة، مثل: الإيمان بالله، خالق السموات والأرض، والإيمان باليوم الأخير يوم البعث، والنشور، والدينونة، والحياة الأبدية، والجنَّة، وجهنم... وإلخ. كما أنَّ حوادث تاريخيَّة دينيَّة لدى السريان ذكرها القرآن الكريم مثل حادثتَي أصحاب الكهف، وأصحاب الأُخدود[١].

فحادثة أصحاب الكهف التاريخيَّة، التي جرت آية للناس فيها، أثبت الله تعالى للعالم أنَّ بإمكانه، وهو الخالق، أنْ يبعث الموتى يوم النشور، قد وصلت إلينا بلغة سريانيَّة أصيلة نثراً ونظماً، وتُعتبر ضمن التقليد السرياني، وقد تناولها المؤرخون السريان كزكريا الفصيح (٥٣٦)، ويوحنا الأفسسي (٥٨٧)، والراهب الزوقنيني (٧٧٥)، وغيرهم، تناولوها بالدرس والتمحيص بأسلوب سهل ممتنع ونزاهة تامَّة. كما نظَّم فيها القديس الملفان مار يعقوب السروجي (٥٢١)، قصيدة سريانيَّة عصماء على الوزن السباعي تقع في أربعة وسبعين بيتاً[٢].

كما ذكر القرآن الكريم أيضاً أصحاب الأُخدود وهم الشهداء

(١) يغوليفساكيا، العرب على حدود بيزنطية، ص٣٣.
(٢) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني، ص٥٠،.

الحميريون عرب نجران النصارى السريان الأرثوذكس مذهباً، الذين اضطهدهم مسروق اليهودي الذي يُدعى ذا نؤاس، وعذّبهم فنالوا إكليل الشهادة، بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[1].

السريان والفتح العربي الإسلامي

كانت عوامل عديدة نفسيَّة، واجتماعيَّة، وقوميَّة، ودينيَّة، في سوريا البيزنطيَّة، متوافرة لدى السريان، سكان البلاد الأصليين، لاستقبال العرب المسلمين الفاتحين الذين قدِموا من الجزيرة العربيَّة. ذلك أنَّ السريان ـ كما ذكرنا سابقاً ـ كانوا ينوؤون تحت نير الحكم البيزنطي في سوريا، كما كانوا مضطهدين في بلاد فارس. إذ حاول الفرس إخضاعهم لقبول الدين المجوسي مُستخدمين لهذه الغاية كلّ أساليب العنف وسفك الدماء، كما أثقلوا على كاهلهم الضرائب الباهظة. أمَّا السبب الظاهري لإثارة البيزنطيين الاضطهاد العنيف على السريان، فهو رفض السريان قبول قرارات مجمع خلقيدونية (٤٥١م). وإنَّ من وراء ذلك قمع الأفكار التحرريَّة، والوعي القومي، الذي دبّ في صفوف السريان للتخلُّص من نَير المحتل البيزنطي الذي سلب سوريا خيراتها الطبيعيَّة، وخاصَّة حنطتها. فلا عجب من أنْ يتولَّد النفور في قلوب السريان نتيجة ظلم البيزنطيين إياهم، وأنْ يرحبوا بقدوم العرب المسلمين الفاتحين، وأن ستقبلوهم كمحرِّرين للبلاد، خاصَّة وأنّ عدداً كبيراً من القبائل العربيَّة في العراق وسورية كان دينياً سريانيَّاً أرثوذكسيَّاً، ورأت هذه القبائل وجوب تأييد العرب المسلمين الذين يمتُّون إليها بصِلَة الدم، واللغة، والتراث، والحضارة. لذلك، انضمّ أغلبها إلى الجيش العربي المُسلم الفاتح تحت إمرة المثنى بن حارثة، وخاصة قبائل بني تغلب، وبني عقيل، وبني

---

(١) ينظر: القرآن، سورة البروج، الآية الرابعة.

تنوخ، وبني ربيعة في شمال العراق وغربه، وحاربت جنباً إلى جنب مع العرب المسلمين. وتمّ القضاء على دولة الفرس في سنة ٦٥١م حينما فرَّ (يزدجرد) آخر ملوكهم إلى ما وراء حدود بلاده. ويذكر التاريخ أنَّ غلاماً مسيحياً سريانياً من بني تغلب قتل المرزبان مهران القائد الفارسي، واستولى على فرسه، وأنشد قائلاً: «أنا الغلام التغلبي، أنا قتلت المرزبان». وسارت جيوش الفاتحين إلى سوريا البيزنطيَّة، فدخلت دمشق عام ٦٣٤م، ثم دخلت بيت المقدس سنة ٦٣٧م، وأغارت على مصر سنة ٦٣٨م، فاستولت على الإسكندريَّة، ورحّب بها الأقباط، كما كان الشعب السرياني قد استقبلها بابتهاج عند دخولها سوريا.

السريان في ظلِّ الحكم الإسلامي

بعد أنْ حارب السريان جنباً إلى جنب مع العرب المسلمين مع المحافظة على نصرانيتهم وحرَّروا البلاد من المحتلين، شاركوا في توطيد أركان الدَّولة الجديدة، ويشهد التاريخ بإنتاجهم الواسع في جميع ميادين الفكر والحضارة. وجاء في كتاب «عصر السريان الذهبي» ما يأتي: «احتظى السريان بالثقة والاحترام عند الخلفاء الراشدين (٦٣٢ ـ ٦٦١م)، والخلفاء الأمويين (٦٦٢ ـ ٧٤٦م)، والعباسيين (٧٥٠ ـ ١٢٥٨م). وأوَّل من نال القربى لديهم حين الفتح العربي هو منصور بن يوحنا السرياني، الَّذي أصبح وزيراً للمالية في عهد الخلفاء الراشدين. أمَّا ابنه سرجون، وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي (٧٤٩م)، فقد تولّيا ديوان الأعمال والجبايات في عهد الخلفاء الأمويين»[١].

(١) رشدي، تاريخ ميخائيل السرياني، ص٨؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ١/ ١٣٢.

معاملة الخلفاء العرب المسلمين للسريان وسائر المسيحيين

كان للسريان مكانةٌ مرموقةُ لدى الخلفاء الراشدين ثمَّ الخلفاء الأمويين الذين استخدموا العديد من السريان في الدواوين، وابتدأت على عهدهم النهضة العلميَّة العربيَّة، الَّتي أسهم بها علماء السريان وكتّابهم، وترجموا علومهم وعلوم اليونان إلى العربيَّة، ونالوا مراكز عالية في الإدارة، وشغلوا وظائف مرموقة.

فالخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥م) ولّى أثناسيوس برجوميا السرياني الرُهاوي الإدارة المالية في مصر، فأحسن هذا التصرُّف في الوظيفة، وكان عهده عهد بركة وإقبال على الدَّولة الأموية[١].

وكتب مروان الخليفة (٧٤٤ ـ ٧٥٠م) فرماناً سنة ٧٤٦ للبطريرك إيونيس الرابع (٧٤٠ ـ ٧٥٥م) يخوّله بموجبه الولاية على جميع الشؤون البيعة، وهو أوَّل فرمان من نوعه يُعطى للبطريرك السرياني؛ ومنذ ذلك الحين، سرت تلك العادة. ومن الأمور المهمّة في هذا العصر، نقل الإنجيل المقدس من السريانيَّة إلى العربيَّة على يد البطريرك يوحنا أبي السدرات (٦٤٨م) بناءً على طلب الأمير عمير بن سعد بن أبي وقاص، أمير الجزيرة، الذي اشترط على البطريرك أنْ يستثني من الترجمة ما يختصّ بلاهوت المسيح، وصلبه، والمعمودية، فأجابه البطريرك ببساطة: «معاذ الله أنْ أحذف أو أزيد حرفاً واحداً من الإنجيل المقدَّس، ولو صوّبت نحوي كلّ حراب جيوشك وأسنّتها». فأُعجب الأمير من بسالته، وفوّضه بالترجمة كما يريد، فجمع عدداً من

---

(١) رشدي، م. س.، ص٩؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ مراد، تاريخ الأدب السرياني، ص٤٦؛ أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٢/ ١٥.

الأساقفة، واستحضر علماء بكِلتا اللغتين السريانيَّة والعربيَّة من بني تنوخ، وعقيل، وطيء، وترجموا الإنجيل المقدَّس إلى العربيَّة بإشرافه، فقدّمه بدوره إلى الأمير.

وفي عهد الخلفاء الأمويين، ذاع صيت الأخطل الشاعر العربي المشهور، وهو تغلبي من أبناء الكنيسة السريانيَّة الأرثوذكسية، ولد ونشأ في الجزيرة الواقعة في الجزء الأعلى من وادي دجلة والفرات بين العراق والشام، ونال حظوةً لدى الخلفاء الأمويين، حتى أنَّ الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥/ ٧٠٥م) لدى سماعه قصيدة «خفّ القطين» التي يمدحه الأخطل فيها قال له: «ويحك يا أخطل، أتريد أنْ أكتب إلى الآفاق أنّك أشعر العرب»، قال: «أكتفي بقول أمير المؤمنين»[1].

---

(١) رشدي، م.س.، ص٩؛ علي، م.س.، ١/ ١٣٤.

المقدمة

تُعدّ المصادر التاريخيّة السريانيّة ثروةً حقيقيّة للباحثين في التاريخ الإسلاميّ، فهذه المصادر توفّر رواية حياديَّة إلى حدٍّ ما بين الروايتَيْن الإسلاميّة بمختلف تشعباتها، والبيزنطيّة المقتضبة[1].

ومع أنّ الرواية السريانيّة عن التاريخ الإسلاميّ تُعاني من بعض الثغرات العلميّة، إلّا أنها بالمقارنة مع الروايات الأخرى المتوفّرة تُعدّ من أكثر المصادر تماسكاً وانسجاماً، نظراً إلى أنّ السريان دوّنوا الأحداث في أوقاتها، وقد توفَّر لهم أكثر من مؤرِّخ عاصر الدَّولة الإسلاميّة، فدوّنوا ما وصل إليهم عَبْرَ وسائل مختلفة، منها الأخبار، والتقارير والرسائل الكنسيّة الّتي يرويها الأساقفة ورجال الدين، أو من خلال العرب المسيحيّين والسريان الذين شاركوا العرب في مراحل حياتهم.ولذلك، فإنّ الروايات السريانيّة تحظى بكمٍّ كبيرٍ من المِصْداقيَّة كونها ابنة زمنها، وجرى الحفاظ عليها بالتدوين. وشكّلت مصدراً مهماً للكثير من المؤرِّخين العرب، ويبدو أنَّ تأثيراتها واضحة في تاريخ الطبريّ، وكذلك في مؤلفات المسعوديّ[2]. لذا سوف ندرس كتابَيْن من أهمّ كُتُب التاريخ عند السريان والمسلمين هما: تاريخ الرُّسُل والملوك للطبري، وتاريخ ميخائيل الكبير للبطريرك ميخائيل الكبير السريانيّ.

(١) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص١٧.

(٢) خربطلي، دور السريان في نقل أخبار العرب، ص٣٦.

من أجل ذلك كان حرصي على دراسة تاريخ ميخائيل الكبير وإجراء مقارنة مع أهم تاريخ إسلاميّ هو تاريخ الرُّسُل والملوك للطبري، وذلك يسمح لي بتزويد المكتبة العربيّة برأيٍ جديدٍ كان صاحبه من غير المسلمين ولا يقدّس ما يقدّسه المسلمون، وكان حرّاً في ما كُتُب وجريئاً في ما اعتقد وناقداً لما جمع من مادة.

ويُعدّ تاريخ ميخائيل الكبير من كُتُب القرن الثاني عشر الميلاديّ، كتبه مؤرِّخ له شأن في هذا القرن، وجرى فيه على نحو ما جرى المؤرِّخون المعاصرون والسابقون له في شيء من هذه الكتب. أعني أنه ضمَّن كتابه تلك الأزمنة التاريخيّة الّتي لم يجد المؤرِّخ بُدّاً من أنَّ يضمِّنها كتابه. وكان يرى كلّاً منها أشبه ما تكون بفاتحةٍ للكتاب أو مقدمةٍ له فكانوا يضعون في كتبهم تاريخاً مُجملاً أو مُختصراً للكلام عن بدء الخليقة.

والجزء الذي قُمت بدراستهِ وتقويمهِ هو الجزء الخاص بعصر صَدْرِ الإسلام والعصر الأمويّ. وقد أثار اهتمامي لأنَّه يؤرّخ لحقبةٍ زمنيةٍ لها شأنها في التاريخ الإسلاميّ خاصة، باعتبارها تُمثّل عهداً جديداً له خصائصه المميزة في التاريخ الإسلاميّ، كما أن ميخائيل الكبير لم يعتمد في تاريخه على أي مصدر، من المصادر العربيّة الإسلاميّة.

ومهما كَثُرت المصادر المستحدثة وطال الحديث عن تاريخ المسلمين فلا يزال العقل البشري في شوقٍ إلى سماع المزيد وبخاصة إذا كان الحديث يجري على لسان غير إسلاميّ، ذلك ما ينقُصنا، فالمؤلفات الإسلاميّة ازدحمت وملأت علينا تلك الفترة بأحاديثها الكثيرة المختلفة، ولكننا إلى اليوم لا يزال ينقُصنا الكثير ممَّا كُتِبَ من غير المسلمين عن المسلمين. من أجل ذلك كانت اللهفة إلى دراسة تاريخ ميخائيل الكبير ومقارنته مع تاريخ الطبريّ الذي يُعتبر من أهم التواريخ الإسلاميّة .

ونحن نعلم أنَّ ميخائيل الكبير لم يُضف مادة جديدة، إذ إنَّه لم يكُ معاصراً، أو قريباً من تلك الحقبة السالفة، فالمادَّة التاريخيَّة قد استوت في الكُتُب العربيَّة التي لم يختلف منها شيء، ولكن الذي اختلف على الفكر العربي هو النظر - في تلك المادة بعد جمعها - نظرةً فاحصةً منقِّبة، ناقدة، متعمِّقة. ونكاد لا نجد تلك النظرات بين كتَّابنا الإسلاميين، فنحن لا ننكر أنَّهم وقفوا عند مرحلة الجمع، ولم يتعدوها إلى غيرها إلاَّ عدداً قليلاً منهم، في حين نجد المؤرخين غير المسلمين قد جاوزوا مرحلة الجمع إلى مرحلة تحليل ونقد الأحداث التاريخيَّة.

ولعلّ من أهم دوافعي لاختيار هذا الموضوع هو أنَّ ميخائيل الكبير يورد الأحداث متسلسلة متتابعة ووفق الترتيب الزمني من دون أن يعتمد على روايات كثيرة متعارضة تجهد القارئ ولا تنتهي به إلى وضع ثابت يمكن الاعتماد عليه، وذلك بالنسبة إلى حادث بعينه، كما درجت عليه كُتُب التاريخ الإسلاميّ.

إنَّ السريان أرسخ قدماً من العرب في تدوين التاريخ[1]، باعتبار أن العرب دوّنوا تاريخهم عن طريق جمع الروايات الشفويّة، وأخذ الجيل الأوَّل الذي شاهد هذه الحوادث واشترك فيها يعمد إلى روايتها ثم نقلها عنه الجيل الثاني. فقد أخذ الباحثون في هذا الجيل في جمع أخبار الحادثة الواحدة عن الرواة المختلفين، ثم ضمّوا هذه الروايات بعضها إلى بعض ودوّنوا ذلك في كراسة أو رسالة وكان ذلك في القرنَيْنِ الأوَّل والثاني للهجرة، واشتهر من هؤلاء جماعة منهم سيف بن عمر الكوفي والمدائني والزبير بن بكّار، ولم يكن تأليف هذه الطبقة مرتباً بوجهٍ عام ولا شاملاً وافياً، وإنما كثُر الترتيب والتنظيم في الطبقة الّتي جاءت

(١) ينظر: الرسالة، ص١٧٥.

بعدهم من أمثال البلاذريّ والطبريّ في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة[1].

بل إننا إذا رجعنا إلى تاريخ الرُّسُل والملوك للطبري وغيره لوجدنا أنهم لا يعتمدون في سَرْد الحوادث التاريخيّة على قصص متسلسلة تحكي وقائع متتابعة وحوادث ثابتة في أماكن محددة بأشخاص معنيين وإنما نراهم يعتمدون على روايات السلف المتعددة[2].

لذلك نجد الحادث الواحد يردُ في أكثر من مكان وعلى لسان أكثر من شخصٍ. وليت الأمر يقف عند حدّ الاختلاف في تفاصيل الحادث الواحد، بل تعدَّاه إلى سنة وقوع الحادث نفسه، وكلّ كتبهم في التاريخ شاهدة على ذلك.

أمّا السريان فقد بدأوا كتابة التاريخ على أثر حوادث الاضطهاد الّتي عانتها المسيحيّة تحت حُكْمِ الفرس والروم بتدوين سِيَر شهدائهم. كان ذلك في القرن الثالث الميلاديّ. فإذا كان القرن السادس أو قبيله بقليل بدأت حولياتهم في التاريخ إلى جانب ما كانوا يسطّرونه من سِيَر القديسيّن والأبطال، وما كانوا يدوِّنونه من تاريخ الأديرة.

وعندما فتح المسلمون بلاد السريان سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، فليس من شكّ أن السريان وقد رسخت أقدامهم في تدوين التاريخ أخذوا في تسجيل أحداث هذه الفترة وقت حدوثها كما كان شأنهم قبل هذا العصر.

وعلى هذا نستطيع أنْ نطمئن إلى أنَّ ما ورد في كُتُب السريان قد دوّن

---

(١) ينظر: الرسالة، ص١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

(٢) ينظر: الرسالة، ص١٨٣.

في عصر حدوثه وتناقله المؤرِّخون حتى وصل إلى ميخائيل الكبير ومن بعده ابن العبريّ[1].

ولهذا، فإنَّ دراسة الكتاب الحادي عشر من تاريخ ميخائيل الكبير والذي خصَّصه لدراسة بدايات ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي، يصلح كمصدر للباحثين والدارسين في تاريخ هذه الحقبة، فإنَّ ميخائيل الكبير مؤرِّخ متأخِّر جمع في تاريخه خلاصة ما كتبه سلفه من المؤرِّخين السريان ممَّن عاصروا العصر الإسلاميّ وكتبوا عنه كشهود عيان، ولما كانت كُتُب مؤرِّخي السريان الّتي عاصرت الأحداث الإسلاميّة في صدر الإسلام قد ضاعت جميعها ولم يُعثر عليها، فقد بقي ما نقله ميخائيل الكبير في تاريخه باعتباره المرجع الوحيد.

أوّلاً: الإشكاليّات والفرضيّات:

شكّلت أخبار وفتوحات الدَّولة العربيّة الإسلاميّة الحدث الأبرز خلال القرن السابع الميلاديّ. في هذه الفترة الزمنيّة استطاعت تلك الدَّولة إنهاء الإمبراطوريَّة الساسانيَّة وإخضاع الدَّولة البيزنطيّة إلى حدٍّ كبير.

وشغلت أخبار الدَّولة العربيّة الإسلاميّة وفتوحاتها المؤرِّخين والإخباريين العرب والمسلمين، وشكّلت مادةً رئيسيَّة للعديد من المؤلفات الّتي وضعت هذا الموضوع عنواناً لها.

غير أنّ هذه المؤلفات في معظمها عانت من مُشْكِلَةٍ أساسيَّة هي اعتمادها على روايات شفهيَّة متعدّدة، تمَّ تدوينها بعد أكثر من قَرْنَيْنِ من وقوعها. وهو ما خلق بعض الاضطراب في تسلسل بعض الأحداث،

---

(١) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص١٢٣.

ووجود أكثر من رواية في الكتاب نفسه تُناقض بعضها البعض[١]، بالإضافة إلى تدخّل الميول السياسيّة المذهبيّة والأهواء في بعض هذه الروايات[٢].

وفي هذا الأُفق الجديد الذي فتحته الدراسات النقدية المقارنة، تبرز المصادر السريانيّة الّتي تناولت أخبار الدَّولة العربيّة الإسلاميّة، كعنصرٍ أساسيّ في هذه الدراسات ولا بدَّ منه لكي تكتمل الصورة وتُحاط بمختلف أبعادها وزواياها، خصوصاً أنّ السريان كانوا شهود عيان على هذه الأحداث، ووثّقوها في كُتُب التاريخ الّتي كانوا يضعونها ويتوارثونها مؤرِّخاً عن مؤرِّخ. كما يلاحظ أنّ الروايات السريانيّة شكلت مصدراً مُهماً للكثير من المؤرِّخين العرب. ولعلّ التأثيرات السريانيّة واضحة في تاريخ الطبريّ، وكذلك في مؤلفات المسعوديّ.

والسؤال هنا، هل شكّلت الرواية السريانيّة عمومًا وتاريخ ميخائيل الكبير خصوصاً أساساً أو مصدراً من مصادر دراسة التاريخ الإسلاميّ؟ وهل كانت هذه الرواية مستقلةً أو ربما غير متحيّزة أم لا؟ وهل كان فيها الموضوعيّة؟ وهل كانت معاصرةً لأحداث الدَّولة العربيّة الإسلاميّة، أم أنها مثل الرواية التاريخيّة الإسلاميّة الّتي كُتبت ودوّنت بعد القرن الثالث الهجريّ؟ وهل كانت الرواية السريانيّة من حيث الزمان والمكان هي الأقرب؟ ومن جانب الموضوعات، وعند إدخالها ميدان الدراسات التاريخيّة الإسلاميّة، هل ستخلق أجواءً علميَّة نموذجيَّة تُسهِم في تحقيق مبدأ المقارنة والمقابلة والمقاطعة بين تاريخ ميخائيل الكبير وتاريخ الطبريّ والدّقة الّتي تمتَّع بها المؤرِّخون في تدوين الرواية الإسلاميّة؟

---

(١) ينظر: الرسالة، الفصل الثالث، ص١٠١ . ١١٠.

(٢) ناجي، نقد الرواية التاريخيّة الإسلاميّة، ص٥٣.

ثانياً: المنهج المعتمد:

سأعتمد في هذه الدراسة المنهج التاريخيّ السردي والمنهج الوصفيّ، وبخاصة في الفصلين الأوّل والثاني عند البحث في حياة الطبريّ وآثاره ومصادر تاريخه، وأيضاً عند تناول حياة ميخائيل الكبير وآثاره ومصادر تاريخه. وكذلك سأعتمد المنهج التحليليّ المقارن عند استقراء مصادر الطبريّ ومصادر ميخائيل الكبير، وسأجمع بين المنهج الوصفيّ التاريخيّ والمنهج المقارن التحليليّ في الفصل الثالث وذلك عند تحليل المنهج التاريخيّ عند ميخائيل الكبير وعند الطبريّ وتحليل مصادر التاريخيّن الّتي تخص منها التاريخ الإسلاميّ وعن طريق التحليل لنصل إلى معرفة مدى الدقة والمعايير في اختيار مصادر ميخائيل الكبير والطبريّ ومعرفة مدى الاهتمام بتلك الروايات وهل فعلاً أنها تعدَّت أوّلاً التاريخ السياسيّ والعسكريّ إلى التاريخ الثقافيّ والحضاريّ؟

وسأعمد كذلك إلى ترجمة العَلم عند وروده للمرة الأولى إلّا إذا كانت له ترجمة في الفصل المختص المناسب كالأعلام الواردة في الفصلين الأوّل والثاني.

وتأسيساً على ما تقدَّم، سوف أقوم باستخراج الروايات التاريخيّة الخاصّة بالتاريخ الإسلاميّ في تاريخ ميخائيل الكبير ومقارنتها بالروايات الإسلاميّة (تاريخ الطبريّ) لمعرفة مدى انسجامها وتمايزها واختلافها مع ذكر أسباب الاختلاف والتفاوت في رواية الطرفين.

وتجدر الإشارة إلى أنني سأستعين بأطروحة الدكتورة زكية محمّد رشدي الّتي ترجمت روايات ميخائيل الكبير من السريانيّة إلى العربيّة في مخطوطة تاريخ ميخائيل من الفترة الممتدة من صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأمويّ، بصورة خاصّة لأنّني لم أجد في ترجمة كتاب تاريخ

ميخائيل الكبير الذي قام بترجمته شمعون صليبا الفائدة المرجوَّة لكثرة ما فيه من اختصارات ومغالطات وأخطاء نحوية. وسأستعين بثلاثة من البحوث العلميَّة الأكاديميَّة التي تصبُّ في صلب الموضوع، أوَّلها بحث للباحث «جان موريس فييه» بعنوان «الفكر التاريخي عند السريان» وفي هذا البحث، أعطى الباحث نظرة دقيقة عن الهدف والغاية من خلال كتابة التاريخ عند السريان، والبحث الثاني للباحث «صلاح محجوب» بعنوان «ظهور الإسلام في التواريخ السريانيَّة» الذي هو عبارة عن تلخيص لأغلب كتابات مؤرخي السريان عن بداية ظهور الإسلام، والبحث الثالث للباحث «جاسم صكبان الربيعي» بعنوان «التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السريانيَّة».

ثالثاً: الخطوط الكبرى:

نظراً لسعة موضوع الدراسة الذي نحن بصدده، وتشعُّبه، توجَّب أن تقتصر دراستنا على فترة بداية ظهور الإسلام وحتى نهاية الدَّولة الأموية عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، وعليه، تمَّ تقسيم الرسالة إلى: تمهيد، ومقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، يليها الملاحق، فهرس الأيات والأعلام والأشعار والمدن.

تناول التمهيد تعريف السريان، وانقسام الكنيسة السريانيَّة، وأسباب هذا الانقسام، ثم موقفهم من الفتح العربي الإسلامي. وبحث الفصل الأول، عصر الطبريّ، وحياته، ومصادره، وضم هذا الفصل ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأوَّل لدراسة عصر الطبريّ، أما المبحث الثاني فقد خُصّص لدراسة سيرة حياة الطبريّ، وجاء المبحث الثالث بعنوان: مصادر تاريخ الطبريّ. وربما يجد الباحث بعض التكرار في هذه المباحث، إلَّا أنَّ هذا التكرار كان ضرورياً لزوم الدراسة، فمعظم

الدراسات الّتي أُنجزت سابقاً عن الطبريّ كان أحاديّ النظرة ولم يستوعب كلّ الإشكاليّات الّتي حَفِلت بها حياة الطبريّ أو تلك الّتي حَفِلت بها مؤلفاته، ومنها تاريخه، فجلت هذه الدراسة بعض الغموض الذي رافق مسيرة حياته، خاصّة فيما يتعلق بموقفه من الحنابلة أو موقفهم منه، وكذلك أوضحت ما يتعلق بآرائه السياسيّة أو الدينيّة.

وخصص الفصل الثاني لدراسة عصر ميخائيل الكبير، وحياته، ومصادره، وضم هذا الفصل مبحثين، خُصّص المبحث الأوّل منهما لدراسة عصر وحياة ميخائيل الكبير، وتناول المبحث الثاني مصادر ميخائيل السريانيّ التاريخيّة وأثرها عليه في كتابة تاريخه.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: المنهج التاريخيّ عند العرب والسريان، وقد قُسّم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأوّل المنهج التاريخيّ عند العرب المسلمين. أما المبحث الثاني فقد خُصّص لدراسة التدوين التاريخيّ عند السريان. وخُصّص المبحث الثالث لدراسة التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة.

أما الفصل الرابع فقد كان بعنوان: روايات ميخائيل الكبير عن التاريخ الإسلاميّ. وقد قُسّم هذا الفصل إلى مبحثَيْنِ، تناول المبحث الأوّل البعثة النبويَّة وقيام الدَّولة الإسلاميّة في المدينة. أما المبحث الثاني فقد تحدّث عن الفتوحات الإسلاميّة في العصرين: الراشديّ والأمويّ. وقمت بإجراء التحليل والمقارنة بين هذه النصوص والروايات التي ذكرها ميخائيل الكبير السرياني في تاريخه مع الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه. ثم أنهيت الرسالة بخاتمةٍ وقائمةٍ للمصادر والمراجع والملاحق، وفهرس الأيات والأشعار وأعلام ومدن.

رابعاً: تقويم المصادر والمراجع:

(الطبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، تاريخ الرُّسُل والملوك)

يُعتبر هذا المصدر هو الأساس في هذه الدراسة، لأنَّ هذه الدراسة تقوم على إجراء مقارنة بين الروايات الّتي ذكرها ميخائيل الكبير عن التاريخ الإسلاميّ من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأمويّ. وبين تلك الّتي ذكرها الطبريّ في تاريخه.

ترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنَّ الطبريّ استطاع أن يجمع بين دفَّتيه جميع المواد المودعة في كُتُب الحديث والتفسير واللُّغة والأدب والسِّير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ونسَّق بينها تنسيقاً مناسباً وعرضها عرضاً ناسباً كلّ رواية إلى صاحبها وكلّ رأي إلى قائله ولم يعط الطبريّ النواحي الحضاريّة اهتماماً كافياً فكان لمصدره أهميَّة في النواحي السياسيّة والعسكريّة.

(الكبير، ميخائيل (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، تاريخ ميخائيل الكبير: ترجمه من السريانيّة إلى العربيّة شمعون صليبا).

يتناول هذا التاريخ الأحداث المدنية والكنسيّة منذ الخليقة وحتى سنة ١١٩٤هـ/ ١١٩٥م، وذلك في ٢١ كتاباً، ليس لنا من مقدمته سوى موجز بالأرمنيّة مع ذكر للمصادر الّتي استخدمها. والذي يخصّ الدراسة وهو الكتاب الحادي عشر الذي خصّه ميخائيل الكبير بعصر صدر الإسلام والعصر الأمويّ يصلح مصدراً لمؤرّخيّ هذا العصر، فإنَّ ميخائيل مؤرِّخٌ متأخِّر جمع في تاريخه خلاصة ما كتبه المؤرّخون قبله ممن عاصروا العصر الإسلاميّ وكتبوا عنه كشهودٍ عيان. ويلاحظ في تاريخ ميخائيل

الكبير اهتمامه في تدوين الفتوحات وعدم ذكره النواحي الحضاريّة والسياسيّة.

(الذهبيّ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال)

كتب الذهبيّ في علم رجال الحديث الذي تمتاز به الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والمعتمدة من المختلفة وبه تنقّى السنن من الخرافات وكذلك من الشُّبه والضلالات. تبع المؤلف في هذا الكتاب إيراد كلّ مَنْ تكلَّم فيه، ولو كان في ثقة، وانطلق ليجرِّح ويُعدّل ويصحِّح ويعلِّل، وينتقد الرجال ويضبط الأسماء، ونهج فيه طريقة المحدثين فهو يذكر إسناده قبل ذكر الحوادث ويذكر مصدره الذي ينقل عنه إذا لم يذكر إسناداً ويُعنى بذكر الوفيَّات.

(ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢/ ١٤٤٨)، تهذيب التهذيب)

اقتصر المؤلف في هذا المصدر علي ما يفيد الجرح والتعديل وقصد استيعاب شيوخ صاحب الترجمة واستيعاب الرواة عنه، ورتب ذلك على حروف المعجم في كلّ ترجمة. استعنت بهذا المصدر عند الترجمة لشيوخ ابن سعد ومعرفة أحوالهم، وما إذا كانوا يروون عن ثقة، وذكر شيوخهم.

(السمعاني، يوسف سمعان (١٦٨٧ ـ ١٧٦٨) المكتبة الشرقيّة)

تشكلت المكتبة الشرقيّة من مجموعة في المكتبة الفاتيكانية التي كانت في الأصل يقع في (١٢) مجلداً، ولم يصلنا منها إلَّا ثلاثة مجلدات، وهي موسوعة سريانيّة ثرية، وهي في غاية الأهميَّة في ترجمة سيرة وأعمال المؤلفين السريان مع ذكر ما عُثر عليه من آثار المؤلفين السريان.

(المرجي، توما (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) الرؤساء، ترجمه من السريانيّة إلى العربيّة ألبير أبونا)

تناول الكتاب أخبار أُناسٍ عاشوا في مختلف الأجيال وتضمن فصولاً عرض من خلالها تاريخ بعض الأديرة لنسَّاك نساطرة وقديسين رهبان مبيِّناً فضلهم وأعمالهم وما تركه هؤلاء من أثر خالد، وألقى أيضاً الضوء على مجريات الأحداث والعلاقات النسطوريّة بالسلطة الفارسيَّة.

(رشدي، زكية محمد، تاريخ ميخايل الكبير، أطروحة دكتوراه، ١٩٦١)

ترجمت هذه الأطروحة روايات ميخائيل الكبير من السريانيّة إلى العربيّة في مخطوطة تاريخ ميخائيل من الفترة الممتدة من صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأمويّ، وكانت هذه الأطروحة ممن المصادر الأساسية والريسية التي اعتمدت عليها الرسالة بما قدمتها من ترجمة علمية لروايات ميخايل الكبير من بداية هور الإسلام حتى بداية العصر الأموي.

(مصطفى، شاكر، التاريخ العربيّ والمؤرِّخون، الطبعة الأولى، ١٩٧٨)

هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام. وقد استفدت من هذا المرجع عند الكلام عن كتابة المغازي وبدئها والعلماء الذين اهتموا بدراستها ضمن الحديث عن مؤلفي السيرة الأوائل ومن بينهم الواقديّ وكاتبه ابن سعد.

(أبونا، ألبير، أدب اللُّغة الآراميَّة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦)

هذا الكتاب عبارة عن عمل موسوعيّ لما فيه من معلومات واسعة. وقد تطلّب هذا العمل استقراءات دقيقة في بطون المخطوطات القديمة السريانيّة، وعمل على ترجمة أغلب المؤلفين السريان.

(كيغي، ولتر، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢)

لهذا الكتاب أهميَّة خاصَّة لأنَّ الباحث عمل على فهم الروايَتيْن الإسلاميّة والبيزنطيّة الّلتين اشتد الخلاف حولهما حول الفتوحات الإسلاميّة. وهذه الدراسة أنموذج للدراسة العلميّة، لأنَّ الباحث عمل على تقلّب الروايات التاريخيّة من زوايا مختلفة قبل أن يصدر حكمه. ولا يتردد الباحث في وضع علامات استفهام عندما تقتضي الحاجة. وعليه فإنَّ هذا الكتاب له رؤية جديدة حول موضوع الفتوحات الإسلاميّة المبكرة في الميدان البيزنطيّ.

(عيتاني، حسام، الفتوحات العربيّة في روايات المغلوبين، الطبعة الأولى، ٢٠١٠)

وفي هذا الكتاب حاول المؤلف سَرْدَ قصصِ الفتوحات الّتي رآها ثم رواها إخباريو بيزنطة وفارس ومصر والأندلس والسريان مع الأخذ بعين الاعتبار كتابة تاريخ أي شعب بالاستناد إلى مصادر من خارج مصادره ورواياته، ويبحث المؤلف أيضاً عمّا تركته الفتوحات العربيّة من آثار في تواريخ الشعوب المغلوبة.

(علي جواد، موارد تاريخ الطبريّ، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)

هو من الكتب الموسوعيّة الّتي لا يستغني عنها الباحث في دراسة مصادر تاريخ الطبريّ وتحليل ونقد هذه المصادر. وذكر طريقة الطبريّ في ترتيب تاريخه وأنه يعتمد على الرواية كثيراً ويقل عنده النقد للأخبار، وأنَّ الرواية قد تكون كافية في التاريخ الإسلاميّ لكنها غير موثوق بها في تاريخ ما قبل الإسلام.

وسأستعين بثلاثة من البحوث العلميَّة الأكاديميَّة التي تصبُّ في صلب

الموضوع، أوّلها بحث للباحث «جان موريس فييه» بعنوان «الفكر التاريخي عند السريان» وفي هذا البحث، أعطى الباحث نظرة دقيقة عن الهدف والغاية من خلال كتابة التاريخ عند السريان، والبحث الثاني للباحث «صلاح محجوب» بعنوان «ظهور الإسلام في التواريخ السريانيَّة» الذي هو عبارة عن تلخيص لأغلب كتابات مؤرخي السريان عن بداية ظهور الإسلام، والبحث الثالث للباحث «جاسم صكبان الربيعي» بعنوان «التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السريانيَّة».

ختاماً أقول: إنَّ الباحث إنسان، والإنسان محكوم بالنقص وعدم الكمال، لذا، فربَّما نقع في هذه الرسالة على بعض الأخطاء والهنات على الرّغم من الجهد الذي بذلته في بحثي وتنقيبي عن المعارف، وكشف النقاب عن كتابين يُعدان من أهمّ كتب التأريخ عند السريان والمسلمين. إذ كان وكدي الإضاءة على الجوانب المطلوبة معالجتها كلّها من دون زيادة أو نقصان. وقد حاولت الالتزام بالنقد المنهجيّ الدقيق والموضوعيّ، لذلك آمل أنْ يكون مضمون عملي مبرّراً لذلك.

الفصل الأول

الطبريّ:
عصره وحياته ومؤلفاته

المبحث الأوّل: عصر الطبريّ

المبحث الثاني: سيرة حياة الطبريّ

أوّلاً: اسمه وكنيته ونسبه

ثانياً: مولده ونشأته ورحلاته

ثالثاً: منزلته العلميّة وثناء العلماء عليه

رابعاً: شيوخه وتلاميذه

خامساً: مذهبه الفقهيّ وأهمّ مؤلّفاته

سادساً: وفاته

المبحث الثالث: مصادر تاريخ الطبريّ

أوّلاً: مصادر الطبريّ في كتابه التاريخ

ثانياً: الملاحظات على مصادر الطبريّ

المبحث الأوّل

عصرُ الطبريّ

سمات عصره السياسيّة

عاش الطبريّ ما بين سنتي (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/ ٨٣٨ ـ ٩٢٢م). ويُمثّل هذا التاريخ مرحلتين مرت بهما الخلافة العباسيّة، هما: نهاية العصر العباسيّ الأوّل الذي امتد ما بين (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ ـ ٩٤٦م) وهي مدة شهدت قوة الخلافة العباسيّة وبناءها؛ والعصر العباسيّ الثاني ما بين (٢٣٢ ـ ٣٣٤هـ/ ٨٤٦ ـ ٩٤٥م) وهي مدة تراوح بين القوة والضعف[1]. وقد عاصر الطبريّ أحد عشر خليفة وهم: المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر[2]. في عهدي المعتصم والواثق (٢١٨ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٦م) تميزت الخلافة العباسيّة بتسلّط المعتزلة[3]، إذ

---

(١) زغوت، النوازل الكبرى، ص٤٧ ـ ٥٠.

(٢) الشبل، إمام المفسرين والمحدثين، ص١٢.

(٣) المعتزلة: هم طائفة دينية استطاعت أنْ تكوّن مذهباً خاصاً بها، وأطلق عليها أيضاً تسمية القدرية لأنهم كانوا يعتقدون بحرية إرادة الإنسان، وتتكون عقيدتهم من خمسة أصول هي: التوحيد، والعدل، والوعيد، والقول بالمنزِلَة بين المنزِلَتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الشهرستاني، الملل والنِحل، ١/ ٣٠؛ حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٥.

تأثر الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) بأخيه المأمون الذي ذهب إلى أن القرآن مخلوق[(١)] وقد شجعه أيضاً قاضي القضاة أحمد بن أبي داؤد[(٢)].

فأمر الخليفة بتعذيب كلّ من لا يؤمن بذلك وسجنه، مثال ذلك الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، الذي ناقش الفقهاء والقضاة بأمر من الخليفة في مصر، ولكنَّه لم يقتنع بخلق القرآن، لذلك سُجن وعُذّب وضُرِب مدة ثمانية وعشرين يوماً. وعندما تولى الواثق الخلافة منعه من الخروج من البيت إلى أنْ تولى الخلافة المتوكل فأخرجه من داره، وأكرمه وخلع عليه[(٣)].

ومن الحركات الّتي واجهها الخليفة المعتصم، حركة بابك الخرميّ[(٤)] (٢٠١ ـ ٢٢٢هـ/ ٨١٦ ـ ٨٣٧م) وهي من أخطر الحركات الدينيّة الّتي واجهتها الخلافة العباسيّة[(٥)]، فقد تميزت عن الحركات الأخرى بسعتها وتنظيمها، فضلاً عن أنها كانت حركةً شاملةً إذ انتشرت

---

(١) الشبل، م. س.، ص١٢؛ أيوب، العصر العباسيّ، ص٩١.

(٢) أحمد بن أبي داؤد، أحد كبار زعماء المعتزلة، الذي قبل أفكار المعتزلة وأراد إجبار النّاس على القول بخلق القرآن وأنَّ الله(عز وجل) لا يرى في الآخرة وذلك في سنة ٢١٢هـ، ولكنَّه خاف الفتنة فسكت مدة ثم عاد في سنة ٢١٨هـ فامتحن النّاس بذلك القول. العجلي، معرفة الثقات، ١/ ٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٣٥٢.

(٣) ابن خلكان، وفيّات الأعيان، ١/ ٦٣.

(٤) بابك الخرميّ: هو بابك بن بهرام نشأ بقرية اسمها «بلال أباد» في أذربيجان، وكان ذا همة ونشاط وتأثير في الجماهير، فتوسم فيه رئيس الإباحيين في منطقة جبال البذ على حدود أذربيجان وإيران القدرة على خلافته، فأوصى له بالأمر من بعده. فلما تولى بابك الأمر أحدث في مذهب الإباحية أموراً لم تكن موجودة من قبل. أيوب، م. س.، ص١٠.

(٥) الدوري، العصر العباسيّ الأول، ص١٧٩ ـ ١٨٦.

الدعوة في طبرستان[1] وجرجان[2]، وغيرهما من المدن[3]. وانضمَّ إليها بعض الدهاقين[4] والأمراء الفرس. وكانت لبابك الخرميّ علاقات خارجيَّة إذ اتَّصل بالبيزنطيّين ضدّ الخلافة العباسيّة[5]. فقد استمرت هذه الحركة اثنتين وعشرين سنة حتى تمكّن المعتصم من القضاء عليها في سنة (٢٢٢هـ/ ٨٣٧م)[6]. وفي سنة (٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) تمكّن الخليفة المعتصم من فتح عمورية، والاستيلاء على الأموال وأخذ الأسرى[7].

وعندما تولى الواثق الخلافة (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ ـ ٨٤٦م) سار على نهج والده مُتأثِّراً بآراء المعتزلة، فأمر بتعذيب كلّ من لا يعترف بِخَلْقِ القرآن[8]، وبلغ تشدّد الواثق إلى حد رفض فداء الأسرى الذين لم يقتنعوا بفكرة خَلْق القرآن، ففي سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، بعث جعفر الحذاء إلى بلاد الروم وأمره بامتحان الأسرى، فمن قال إنه مخلوق يدفع له الفدية ومن يرفض ذلك يحرم الفداء ويُترك أسيراً[9].

ولم يكن تأثّر الخليفة الواثق بأبيه المعتصم بالتمسك بآراء المعتزلة

---

(١) طبرستان: هو إقليم واسع تمتد عبر مُعظمه أراضٍ جبلية وعرة وتكثر فيه المياه الّتي تتخلل اراضي شجرية كثيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج/ ٧٨.

(٢) جرجان: هي مدينة مشهورة عظيمة تقع بين طبرستان وخراسان، وهي في الإقليم الخامس. ياقوت الحموي، م.ن، ٢/ ١١٩.

(٣) الدوري، العصر العباسيّ الأول، ص١٧٩ ـ ١٨٦.

(٤) الدهاقين: مفردها دهقان، وهي لفظ معرب من اللُّغة الفارسيَّة، والدهقان هو التاجر أو زعيم المدينة ويقال: دهقن فلان وتدهقن أي كثر ماله؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٤٥١.

(٥) الدوري، م.س، ص١٨٦، ١٧٩.

(٦) المسعوديّ، التنبيه والإشراف، ص٣٠٥.

(٧) خياط، تاريخ ابن خياط، ص٣٩٢.

(٨) ابن خلدون، المقدمة، ٣/ ٢٧٢.

(٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٨٢؛ المسعوديّ، م. س.، ص١٦٢.

فقط؛ وإنما تعدى ذلك إلى السير على نهج والده نفسه في السياسة، إذ بالغ في الاعتماد على الأتراك كما فعل والده المعتصم الذي زاد من وجود الأتراك[1]، ومنحهم مناصب عُليا، فولى أشناس التركي[2] الباب، والمغرب، ودمشق[3]، وبلغ نفوذ أشناس أنَّه أصبح لديه كاتب وهو أحمد بن الخصيب[4]، ومنح خراسان إلى إيتاخ التركي[5] فضلاً عن السند.

فغضب أهالي بغداد لذلك فطالبوا الخليفة بإخراجهم، فعمد الأخير إلى الخروج معهم من مدينة السلام سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) إلى مدينة سامراء فاستقر فيها (٢٢١هـ/ ٨٣٦م)[6].

وكان سبب تذمّر النَّاس من وجود الأتراك هو سعيهم لخراب البلاد، ومثال على ذلك قيامهم بركوب الخيل والتسابق به والاصطدام بالناس في أثناء ركضهم بالخيل، وعندما طالبوا الخليفة بإخراجهم لم يتخلَّ عنهم وخرج معهم.

هذا وقد واجه الخليفة الواثق عدة تمردات، منها في دمشق بقيادة

---

(١) حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٨٠

(٢) أشناس: هو قائد تركي في خلافة المأمون والمعتصم والواثق، أبو جعفر، صحب المأمون في غزو الروم، وصحب المعتصم في فتح عمورية، وفي سنة ٢١٩هـ ولاه المعتصم على مصر. الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ١٨/١٩.

(٣) اليعقوبي، م. س.، ٢/ ٤٨١.

(٤) أحمد بن الخصيب: هو ابن عبد الحميد، الجرجرائي، الوزير الكبير، أبو العباس ابن أمير مصر، استوزره المنتصر، ثم المستعين. وارتفع شأنه، ثم نكب، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة ٢٤٨. الذهبيّ، م. س، ٢٠/ ٤٤.

(٥) إيتاخ التركي: هو غلام لسلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة، وكان ينفذ أوامر المعتصم في الاغتيالات. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/ ٩٠.

(٦) المسعوديّ، م. س.، ص٣٠٩.

بيهس الكلابي[(١)]، وفي فلسطين خرج تميم اللّخمي ويعرف بأبي حرب[(٢)]، وفي برقة تمرد البربر، فوجه الخليفة إليهم رجاء بن أيوب الحضاريّ[(٣)] فتمكَّن من إنهاء التمردات الواحد تلو الأخر فبدأ بدمشق، ثم سار إلى فلسطين، فبرقة[(٤)]. وقد واجه الواثق أيضاً تمرداً في بلاد القيقان[(٥)] فبعث إليهم عمران بن موسى[(٦)] فقاتلهم وانتصر عليهم[(٧)].

وفي خلافة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م) تغيّرت سياسة الدَّولة في عهده[(٨)]، فقد أنهى مِحْنَةَ خَلْقِ القرآن، وأمر النَّاس بالتوقف عن المناظرة والجدل[(٩)]. وأفرج عن المسجونين الذين رفضوا فِكْرَة خَلْق

---

(١) بيهس الكلابي: هو محمّد بن صالح بن بيهس الكلابي، أمير عرب الشام، وسيد قيس وهو الذي واجه تمرد أبي العميطر السفياني فحاربه حتى شتت جموعه فولاه المأمون دمشق. الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٣٦٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ص٢٤.

(٢) هو أبو حرب لقب بـ (المبرقع) وسبب تسميته بهذا اللقب لأنّه كان قد قتل جندياً آذى زوجته ثم ألبس وجهه برقعاً، خرج في فلسطين، وزعم أنه السفياني، ودعا إلى إقامة الحق، وأقام بالغور، واستفحل أمره. الذهبيّ، م. س.، ١/ ٣٠٢.

(٣) رجاء بن أيوب: هو من حرس الواثق ولاه الحاجي خليفة الواثق مهمة قتال أبي حرب المبرقع الذي خرج بفلسطين، وكان حرب في الرقة فنفذ منها، إلى دمشق؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٨/ ٣٦٢١.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٨٠.

(٥) القيقان: من بلاد السند ممّا يلي خراسان. البلاذريّ، فتوح البلدان، ٣/ ٥٣١.

(٦) عمران بن موسى: هو عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، أمير السند، استخلفه أبوه على إمارة ثغر السند، فتولاها بعد وفاته سنة ٢٢١هـ، وبنى مدينة سماها البيضاء، وافتتح مدينة قندابيل، وغزا الميد وظلَّ يغزو ويفتح إلى أنْ وقعت فتنة بين النزاريَّة واليمانيَّة، فمال إلى اليمانيَّة، فسار إليه عمر بن عبد العزيز الهباري، فقتله. البلاذريّ، م. س.، ٣/ ٥٤٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥١٠؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ٧١.

(٧) البلاذريّ، م. س.، ٣/ ٥٤٤.

(٨) حسن، تاريخ الإسلام، ٣/ ٤.

(٩) اليعقوبي، م. س.، ١/ ٤٨٥.

القرآن، ومن بين هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الذي سُجن في داره، فقام الخليفة بإخراجه وإكرامه والخلع عليه[1].

وقد اتّبع المتوكل سياسةً مختلفةً عمّا سبقه من الخلفاء (المعتصم، الواثق) ليس في إبعاد المعتزلة وإيقاف مِحْنَةَ خَلْقِ القرآن فقط وإنما تعدَّى إلى محاولة إيقاف نفوذ الأتراك أيضاً، إذ بادر إلى التقليل من رواتبهم ومن وجود الموالي[2] والأتراك في الجيش، مقابل ذلك ساهم في زيادة العرب[3]، لذلك تعرَّض المتوكل لمؤامرة الأتراك غير مرة[4]، من قبل إيتاخ التركي تارة، ووصيف[5]، وبغا الصغير[6] تارة أخرى.

وفي سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) نجح الأتراك بالقضاء عليه عندما حرَّضوا ابنه محمداً على قتل والده، فاجتمع وصيف وبغا وغيرهما من الموالين وقتلوا الخليفة في مدينة الجعفرية إحدى مُدُن سامراء[7].

وقد استمر تدخل الأتراك في شؤون الحكم في خلافة المنتصر الذي

---

(١) ابن خلكان، وفيَّات الأعيان، ١/ ٦٣.

(٢) الموالي: جمع مولى، وهم الخدم والحلفاء، تم استخدامهم بكثرة في زمن الخلافة للإشارة إلى المسلمين من غير العرب. الزبيدي، تاج العروس، ٢٠/ ٣١١ ـ ٣١٣.

(٣) المسعوديّ، التنبيه والإشراف، ص٣١٣.

(٤) اليعقوبي، م. س.، ٢/ ٤٨٦.

(٥) وصيف: هو غلام المتوكل، كان من كبار الأمراء القواد، استولى على المعتز، واحتجرَ واصطفى لنفسه الأموال والذخائر، فشغبت عليه الفراغنة والأشروسنية، وطالبوه بالأرزاق، فقال: ما لكم عندنا إلّا التراب! فوثبوا عليه وقتلوه بالدبابيس، وقطعوا رأسه ونصبوه على رمح في سنة ثلاث وخمسين ومائتين. الصفدي، الوافي بالوفيَّات، ٢٧/ ٢٥٩.

(٦) بغا الصغير: هو أحد قواد المتوكل وممن قدم معه دمشق في سنة أربع وأربعين ومائتين، وكان المستنصر قد ولى بغا هذا حجبته بعد وصيف التركي وولي فلسطين في أيام المستعين. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٠/ ٣٢٧.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٠/ ٣١٣.

تولى الخلافة سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، وكان تحت سيطرة أوتامش، وأحمد بن الخصيب، ولم تستمر خلافته أكثر من ستة أشهر[١].

ولم يكن الخليفة الذي جاء بعده أفضل منه، فعند تولي المستعين بالله الخلافة (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) لم تهدأ الأمور، بل على العكس ازداد تدخل الأتراك في شؤون الخلافة واستئثارهم بالأموال[٢]، وقد بلغ تدخلهم في شؤون الحكم أنهم تجرأوا وتدخلوا في تحديد من يتولى الخلافة، فقاموا بعزل أولاد المتوكل، خوفاً من انتقامهم لقتلهم والده وعيّنوا المستعين وهو من أولاد المعتصم بدلاً عنهم[٣]، لذلك فرض وزير الخليفة أوتامش التركي، وكاتب الخليفة أحمد بن الخصيب، وكاتب أوتامش شجاع بن القاسم سيطرتهم على الخليفة[٤].

وجاء بعده المعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) الذي كان أشد ضعفاً، إذ عجز عن دفع رواتب الجند، فبايع الأتراك المهتدي بالله (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠م)، فحاول التخلّص من سيطرة الأتراك لكنَّه فشل وأدَّت تلك المحاولة إلى مقتله[٥].

كان لتدخل الأتراك في شؤون الخلافة، آثارٌ سيئة ومؤلمة في نظام الحكم، إذ لم يكن الأتراك يمتلكون تقاليد حضارية سابقة، لذلك أُطلق عليهم بدو العجم[٦]. ثم تولّى الخلافة المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢م)، ولم يكن يختلف عمَّن سبقه من الخلفاء، فقد أهمل أمور رعيته

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٩٣.
(٢) الدوري، النظم الإسلاميّة، ص٤٩.
(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٥/ ٢٠٣.
(٤) اليعقوبي، م. س.، ٢/ ٤٩٤؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١/ ٦٦.
(٥) الدوري، م. س.، ص٤٩.
(٦) الدوري، دراسات في العصور العباسيّة، ص١٤١.

وتشاغل بلهوه وملذاته، فتمكّن أخوه الموفق طلحة من بسط سيطرته عليه، وتدبير أمور الملك، وإنقاذ الخلافة من الانهيار، فكان الخليفة يحكم بالاسم، ولم يكن له أمر ولا نهي[1].

وقد تعرّض الخليفة لعدة حركات تمرد في الكوفة، وسامراء، ودمشق وفارس وغيرها من المناطق، تمكّن أخوه من القضاء عليها[2]. ومن حركات التمرد أيضاً حركة يعقوب بن ليث الصُّفار[3].

وفي خلافة المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٩م) علا شأن الخلافة، وتمكّن من إضعاف سلطة الأتراك. وعلى الرّغم من المجهود الضخم الذي بذله لإعادة سلطة الخلافة، إلّا أنه لم ينجح في تحقيق ذلك، إذ قام في عهده عدد من الحركات الانفصالية مثل حركة عمرو بن ليث الصفار، وهو أخو يعقوب بن ليث الذي أظهر الولاء للخلافة العباسيّة في بادئ الأمر، فعيّنه الخليفة المعتضد والياً على كلّ من سجستان، وخراسان، وفارس، وأصفهان، وكرمان والسند. ولم يكتفِ عمرو بتلك المناطق، لذلك وجه إليه الخليفة جيشاً بقيادة إسماعيل بن أحمد الساماني[4] للقضاء عليه.

وبعد المعتضد جاء المكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٨م) وفي

---

(١) المسعوديّ، التنبيه والإشراف، ص٣١٨.

(٢) الطبريّ، م. س.، ٧/ ٥٩٧، ٥٩٨.

(٣) يعقوب بن ليث الصفار: هو زعيم فارسيّ مسلم، مؤسس الدّولة الصَّفّارية، كان في صغره يعمل الصُّفر، أي النُّحاس، ومن هنا لقبُهُ (الصُّفّار أي النّحّاس) عينه الخليفة المعتمد والياً على هرات، وفارس وشيراز ثم عظم أمره بعد أن سيطر على شيراز والأحواز وسار إلى بغداد للسيطرة على الخلافة إلّا أنه توفي في الطريق. الغفار، الكليني والكافي، ص٢٣٤.

(٤) إسماعيل بن أحمد الساماني: هو أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان بن جبا بن نيار، تُنسب إليه السامانيّة، كان أميراً لبلاد ما وراء النهر. السمعاني، الأنساب، ٣/ ٢٠٠.

عهده دبّ الضعف في الخلافة لِكَثْرةِ المنافسات بين ذوي النفوذ فيها أمثال وزيره القاسم بن وهب[1]، قائد الجيش، وكان يستولي على أمور الخلافة ويتحكّم فيها، هذا فضلاً عن ظهور حركات القرامطة[2] في العراق، والبحرين، والشام، وطريق مكة وكان لها الأثر في إضعاف الخلافة[3].

ولم تستقر أمور الخلافة العباسيّة في عهد المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ - ٩٣٢م) إذ زاد تدخُّل الحريم في أمور الدولة، وسيطرة النِّساء على الحكم، فكانت شغب والدة الخليفة تتحكّم في أمور الدولة، هذا فضلاً عن تفشّي الرشوة حتى صارت المناصبُ تُباع في الدولة، مِثْل مَنْصِبِ الوزارة[4].

---

(١) أيوب، التاريخ العباسيّ، ص١٢٠.

(٢) القاسم بن وهب: هو قائد جيش الخليفة المكتفي، كان يستولي على أمور الخلافة في عهده ويتحكَّم فيها. أيوب، م.ن، ص١٢٠.

(٣) القرامطة: وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة ٢٧١ هـ، أحلوا الخمر وزعموا أنَّ الصوم يكون يوماً واحداً في السنة وهو يوم النيروز، وان الحج والعمرة إلى بيت المقدس. الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ٢٧٨.

(٤) أيوب، م. س.، ص١٢٢.

المبحث الثاني

سيرة حياة الطبريّ

أوّلاً: اسمه وكنيته ونسبه:

هو محمّد بن جرير بن يزيد بن غالب[1]، وفي روايات أُخرى هو محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد[2]، أبو جعفر الطبريّ، واكتفى جملة من الأعلام[3] بذكر اسمه واسم أبيه. سأله يوماً سائل عن نسبه، فأجاب: محمّد بن جرير، فقال السائل: زدنا في النسب، فأنشده لرؤبة[4]:

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢؛ السمعانيّ، الأنساب، ٤/ ٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦/ ١٧٠؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٤١؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٧١٠.

(٢) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٤؛ ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، ٤/ ١٩١؛ الصفديّ، الوافي بالوفيّات، ٢/ ٢١٢.

(٣) الطوسيّ، الفهرست، ص٢٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/ ٧٤؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٥/ ٧٥٧.

(٤) هو رؤبة بن عبد الله العجّاج بن رؤبة التميميّ السعديّ من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتَيْن الأمويّة والعباسيّة، أخذ عنه أعيان أهل اللُّغة وكانوا يحتجّون بشعره ويقولون بإمامته في اللُّغة. مات في البادية سنة ١٤٥هـ ابن خلّكان، م. س.، ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، م. س.، ٣/ ١٠٦ ـ ١٠٨.

قـد رفـع الـعـجـاج ذكـري فـادعـنـي   باسمي إذا الأنسابُ طالَت يكفِني[1]

أما بالنسبة إلى كنيته فلم يختلف اثنان من المؤرِّخين على أنّه كان يُكنّى بأبي جعفر، ولا نعلم من أين جاءت هذه الكنية، علماً أنّه لم يتزوّج وليس له عَقب، وكان حَصوراً لا يقرب النّساء[2]، ولم يحلّل سراويله على حرام ولا حلال قطّ[3].

وربّما كانت كنيته على ما جرت عليه عادة العرب على إطلاق كنية على مواليدهم الجُدد، ولم يتوقّف المؤرِّخون عند هذه المحطّة من حياته، ويكشفوا سرّ هذا التبتّل في شخصيّته. وربّما كان في انشغاله بالرحلة وطلب العلم والاجتهاد فيه تأليفاً وتعليماً سبب في هذا الموقف لئلا يصرفه الزواج عن حبّه للعلم وطلبه.

أمّا نسبة «الطبريّ» فهي الأُخرى كانت محلّ اتّفاق المؤرِّخين الذين أجمعوا على أنّها نسبة إلى طبرستان، وهي النسبة الّتي اشتهر وذاع صيتهُ بها.

كذلك نُسب محمّد بن جرير إلى مدينة (آمل)[4] مسقط رأسه، لكنَّ ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م) ذكر له نسبة أُخرى هي «البغداديّ» نسبةً إلى بغداد الّتي استوطنها[5].

---

(١) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، م. س.، ٥/ ٧٦١.

(٣) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/٢٤٤٩.

(٤) آمل: هي إحدى نواحي طبرستان وأكبر مدنها في السهل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعيّة، ٢/ ١٠٠.

ثانياً: مولده ونشأته ورحلاته

ولد الطبريّ في مدينة آمل من أعمال طبرستان أواخر العام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م[١]، وقيل أوّل العام ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م[٢]. ويعود هذا الاختلاف إلى أنّ أهل هذه البلدة يؤرّخون بالأحداث دون السنين، كما يروي الطبريّ ذلك عن نفسه[٣]. نشأ الطبريّ في كَنَفِ والده، وتربّى تربيةً دينيّةً، وظهرت عليه أمارات النُّبوغ وهو في سنٍّ مبكرة، ويقول عن نفسه: «إنّي حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصلّيتُ بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبتُ الحديث وأنا ابن تسع سنين»[٤]. ولا أعلم مدى صحّة هذه الرواية الّتي قد تكون من مبالغات الرواة، ووضعت على لسان الطبريّ.

دفعه نبوغه العلميّ المبكر إلى رحلته الأُولى وهو في سنّ الثانية عشرة من عمره في العام ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م[٥]. وكانت محطّته الأُولى بلدة الري وما جاورها، فأكثر فيها من السماع على الشيوخ حتى حصل على كثير من العلم[٦]. وكانت بغداد محطّ أنظار الطبريّ كبقيّة أقرانه من العلماء، فهي تُمثّل مركز الإشعاع الفكريّ والحضاريّ إبّان القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، وكان يتوق إلى سماعِ أحدِ أئمّة الحديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ/ ٨٦٧م)، لكنَّ مَنيّة ابن حنبل حالت دون ذلك[٧]. ومع هذا فقد أقام الطبريّ ببغداد مدةً يأخذ عن شيوخها

(١) ابن النّديم، م. س.، ص٢٣٤؛ ابن خلّكان، م. س.، ٤/ ١٩١؛ الصفديّ، م. س.، ٢/ ٢١٢.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٤١.

(٣) الخطيب البغدادي، م. س.، ٢/ ٢٤٤٥.

(٤) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٦.

(٥) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٥/ ٧٦١.

(٦) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٦.

(٧) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٧.

ويكتب عنهم، لكنَّه سرعان ما انحدر إلى البصرة ليسمع من شيوخها المتبقّين في وقته.

ثمّ انتقل إلى الكوفة ليستوفي سماع الحديث عن علمائها، وهو ما بين البصرة والكوفة انقطع ردحاً في واسط يأخذ عن شيوخها، إلى أن قفل عائداً إلى بغداد فأقام بها مدّة يتفقّه[1]. ثمّ خرج إلى مصر مارّاً في طريقه ببلاد الشام، فأخذ عن مشايخها في السواحل والثغور، ثمّ انحدر غرباً إلى الفسطاط في العام ٢٥٣هـ، فأكثر الكتابة من علوم مالك والشافعي وغيرهما من بقيَّة الشيوخ وأهل العلم بها، قبل أن يعود أدراجه إلى الشام، ومنها إلى مصر[2].

رجع بعد ذلك إلى بغداد وكتب بها، ثمّ عاد إلى طبرستان، وكانت هذه عودته الأُولى إليها، ثمّ غادرها وعاد إليها في العام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، إلى أن استقرّ به الحال في بغداد واستوطنها وقضى بقيَّة حياته فيها حتى وافته المنيّة[3].

ثالثاً: منزلته العلميّة وثناء العلماء عليه

كتب العلماء قديماً وحديثاً عن علم الطبريّ وفكره، وشهدوا له بأنَّه من أعلام الفقه الإسلاميّ وإمام المفسّرين وكبير المؤرِّخين وعارف في القراءات والحديث والنحو والأدب واللُّغة والعروض، وأنّه جمع كثيراً من علوم عصره ما لم يكن لأحد من أهل زمانه[4].

قال فيه أبو بكر بن كامل القاضي (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) تلميذه: «لم أرَ

---

(١) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٧.

(٢) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٨.

(٣) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٩؛ ابن الجزريّ، غاية النهاية، ٢/ ١٠٧.

(٤) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥١؛ الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ٩/ ١٥٦.

بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء أو تمكّنه من العلوم منه»[1]. وتحدّث تلميذه عبد العزيز بن محمّد الطبريّ عنه فقال: «كان عاملاً للعبادات جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها»[2].

قال الخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): «كان أحد أئمّة العلماء يُحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسُّنن وطُرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيّام النَّاس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في أخبار الأُمم وتاريخهم...»[3].

وقال أبو حامد الأسفراييني (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م): «لو سافر رجل إلى الصين حتّى يحصّل له كتاب تفسير محمّد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»[4].

وقال عنه القفطيّ (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): «العالم الكامل المقرئ النحويّ اللغويّ الحافظ الإخباريّ، جامع العلوم، لم يُرَ في فنونه مثله...»[5].

وقال ابن خلّكان (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): «كان إماماً في فنون كثيرة... وله مصنّفات في فنون متعدّدة تدلّ على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٤٦.
(٢) ياقوت الحموي، م. ن.، ٦/ ٢٤٥٢.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٣.
(٤) الخطيب البغدادي، م. ن.، ٢/ ١٦٤.
(٥) القفطيّ، إنباه الرواة، ٣/ ٨٩ ـ ٩٠.

الأئمّة المجتهدين»[1]. وذكر الذهبيّ (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) أنّ الطبريّ: «كان ثقةً صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاّمةً في التاريخ وأيّام الناس، عارفاً بالقراءات وباللُّغة وغير ذلك»[2].

وقال عنه ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): «هو العالم المشهور صاحب التاريخ وغيره، وهو أحد أئمّة العلم، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه، وكان مُتقناً في علوم كثيرة وكان أوحد عصره»[3].

رابعاً: شيوخه وتلاميذه

أ: شيوخه

تنقّل الإمام الطبريّ بين كثير من بلدان العالم الإسلاميّ شرقاً وغرباً منذ نعومة أظفاره إلى أن حطّت به عصا الترّحال في مدينة بغداد. وهو خلال تلك السنين الطوال ظل ينهل من العلوم والمعارف الّتي كانت في صدور المشايخ المنتشرين في أصقاع البلاد الإسلاميّة وقراطيسهم. ولكثرة أسفاره وكثرة تحصيله أنواع المعارف والعلوم تعدد الشيوخ وكثروا، وتناثرت أسماء هؤلاء الأعلام الذين أخذ عنهم وتتلمذ لهم وسمع منهم، وهذا ما أثرى شخصيّته العلميّة، فقد كان كالقارئ الذي لا يعرف إلّا القرآن، وكالمحدّث الذي لا يعرف إلّا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلّا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلّا النحو[4]. وسنذكر أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم وتتلمذ لهم.

---

(١) ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، ٤/ ١٩١.

(٢) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٧١٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣/ ٢٥٠.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٢.

ب: تلاميذه

للطبريّ تلاميذ وأتباع كثيرون تفقّهوا على مذهبه واغترفوا من ينابيع عطائه، فهو الرائد في معظم مجالات العلم، ويُعدّ بحقّ مدرسةً واسعةً لكلّ المريدين من كل العلوم، فهو العالم بالتفسير والفقه والحديث والتاريخ، ناهيك بعلوم القرآن الأُخَر واللُّغة العربيّة.

وفي نظرةٍ فاحصةٍ إلى سجلّ تلامذته، نجد أنّهم اقتفوا أثره وسلكوا طريقه في التأليف وغزارته، وكانوا تلامذةً بررةً دافعوا عن مذهبه وعن آرائه، فضلاً عن أنّ قسماً منهم قد أرّخ لحياة شيخه تفصيلاً أو إجمالاً، وسنذكر أهم تلامذته الذين درسوا على يديه وأبرزهم:

١ ـ عبد الغفار بن عبيد الله الحضيني (٣٦٧هـ/ ٩٧٨م).

٢ ـ مخلد بن جعفر الباقرحي (٣٦٩هـ/ ٩٩٠م).

٣ ـ أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م).

٤ ـ أبو الفرج المعافي بن زكريا (٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م).

٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي الطبري (٣٩١هـ/ ١٠٠١م).

٦ ـ أبو جعفر أحمد بن علي الكاتب (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م).

٧ ـ ابن الحداد، ذكره ابن النديم فقال: «ومنهم رجل يعرف بابن الحداد...»(١).

٨ ـ ابن اذنوبي، ذكره ابن النديم فقال: «ومنهم رجل يُعرف بابن أذنوبي....»(٢).

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٥.
(٢) ابن النديم، م. ن.، ص٢٣٥.

٩ ـ أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري، صنف كتاباً في سيرة شيخه أبي جعفر الطبري[(١)].

١٠ ـ علي بن عبد العزيز الدولابي، ذكره ابن النديم فقال: «بأنه من المتفقهن على مذهبه»[(٢)].

خامساً: مذهبه الفقهيّ وأهمّ مؤلّفاته

أ: مذهبه الفقهيّ

بعد وفاة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) اكتمل التشريع الإسلاميّ للمذاهب الأربعة، إذ سبقه الأئمّة الثلاثة الكبار، أبو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) ومالك بن أنس (ت١٧٩هـ) ومحمّد بن إدريس الشافعيّ (ت٢٠٤هـ) الذين رسموا الخطوط العامّة لمذاهبهم. ثمّ جاء داود بن علي الأصفهاني الظاهريّ (ت٢٧٠هـ) آخر فقهاء أهل السُّنة، والذي كان له دورٌ ملحوظٌ ومؤثّرٌ في علم الفقه، باعتبار أنّه «أوّل من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسُّنة وألغى سوى ذلك من الرأي والقياس»[(٣)]. وكان لمذهبه الظاهريّ الذي أسّسه شأنٌ ملحوظٌ في القرن الرابع الهجريّ وخصوصاً في المشرق الإسلاميّ[(٤)].

وشهدت بغداد بل العراق عموماً تنامياً متفاوتاً لهذه المذاهب، محافظاً على وضع خاصّ للمذهب الحنفيّ (مذهب أهل الرأي) الذي وصف به مذهب أهل العراق[(٥)].

---

(١) ياقوت الحموي، م.س.، ص٢٤٥١.
(٢) ابن النديم، م.س.، ص٢٣٥.
(٣) ابن خلدون، المقدّمة، ص٤٥٥.
(٤) متز، الحضارة الإسلاميّة، ١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٥) المقدّسي، أحسن التقاسيم، ١/ ١٣٣.

وفي نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريّين كان يتنازع بغداد حزبان رئيسان هما: الحنابلة والشّيعة[1]. الحنابلة الذين قويت شوكتهم بسبب ميلهم إلى العُنْفِ وإثارة الفِتَن[2] ودعم السلطة لهم متُمثلة برأسها خليفة المسلمين، والشّيعة الذين يسكنون جانب الكرخ ويشكلون فئةً مضطَهدة. وعلى العموم فإن المذاهب الفقهية استقرّت على هذه المذاهب الأربعة باستثناء البلاد الّتي آل أمرها إلى الشّيعة، كالدولة الفاطميَّة في المغرب أو الدَّولة العلويّة في طبرستان أو الدَّولة الحمدانيّة في الموصل وحلب فيما بعد أو الشّيعة الذين كانوا منتشرين في حواضر المدن في كرخ بغداد، أو في الكوفة أو قم.

ولم يكن للشافعيّ أتباعٌ كثيرون في العراق في تلك الأيام، بل كانت لهم الغلبة في المشرق[3]. وكان من أهل المشرق أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ الذي اعتنق المذهب الشافعيّ ردحاً من حياته، واهتمّ به وتعمّق، ودرسه على كبار علمائه وأفتى به ببغداد عشر سنين[4]. ثمّ تقدّم حتى وصل مرتبة الاجتهاد فيه، وصار صاحب مذهب مستقلّ له قواعده وأصوله[5]، عرف فيما بعد بـ«المذهب الجريريّ»، وصار له أتباع ومقلّدون. واقتصر مذهبه هذا على بغداد وما يتصل بها، ثمّ انقرض بعد القرن الرابع الهجريّ بانقراض أصحابه وأتباعه.

وقد تحدّث عن مذهبه وتفرّده بآرائه جملة من المؤرّخين، منهم ابن النّديم (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) الذي يقول: «وللطبريّ مذهب في الفقه اختاره

---

(١) المقدّسي، م. ن.، ١/ ١٢٦.
(٢) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/ ١٧٥.
(٣) المقدّسي، م. س.، ٢/ ١٢؛ متز، م. س.، ١/ ٣٩٢.
(٤) الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ٩/ ١٥٩.
(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٤٨.

لنفسه وله في ذلك عدّة كتب»[1]. وكتب ابن خلّكان قائلاً: «كان من الأئمّة المجتهدين ولم يقلّد أحداً، وكان أبو الفرج المعافى على مذهبه»[2]. وقال ابن فرحون المالكيّ (٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م): «وأمّا أصحاب الطبريّ وأبي ثور فلم يكثروا ولا طالت مدّتهم، وانقطع أتباع أبي ثور بعد ثلاثمائة، وأتباع الطبريّ بعد أربعمائة»، وقال السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م): «وكان الطبريّ أوّلاً شافعياً ثم انفرد بمذهب مستقلّ وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلّدون، وله في الأصول والفروع كُتُب كثيرة»[3].

وذكر بعض المصادر التاريخيّة[4] أنه قد «تفرّد بمسائل حفظت عنه». لكنَّ الملاحظة الجديرة بالذكر أنَّ جميع كتبه الّتي ألّفها في مذهبه وحملت آراءه فُقِدت، فلا نعرف من آرائه إلّا ما ذكره في كتابه (اختلاف الفقهاء) أو في تفسيره القرآن الكريم، أو ما حكاه عنه الفقهاء والمؤرِّخون[5].

ب: أهم مؤلّفاته[6]

١: كُتُب علوم القرآن

أ: جامع البيان في تأويل آي القرآن، أو كتاب التفسير[7]

هو من أكثر كتبه شهرة وذيوعاً وتميّزاً، ظهرت فيه براعة الطبريّ في

---

(١) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٤.
(٢) ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، ٤/ ١٩١.
(٣) ابن خلّكان، م. ن.، ٤/ ١٩١.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢؛ السمعانيّ، الأنساب، ٤/ ٢٤.
(٥) الحوفيّ، الطبريّ، ص٢٣٤.
(٦) تمّ ترتيب مؤلّفات الطبريّ حسب موضوعاتها ليسهل للقارئ تتبّعها، وجاء ذكر مؤلّفاته على سبيل الإجمال لا الحصر لغزارتها أوّلاً، ولضياع معظمها ثانياً.
(٧) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٥؛ الخطيب البغدادي، م. س.، ٢/ ١٦٣.

علم التفسير، وضعه قبل أن يؤلّف كتابه في التاريخ[1]. قال الطبريّ: «حدّثتني به نفسي وأنا صبيّ»[2]. ابتدأه بخطبة ورسالة في التفسير بما خصّ الله كتابه من البلاغة والإعجاز والفصاحة، ثمّ ذكر من مقدّمات الكلام في التفسير، وفي وجوه تأويل القرآن وما ورد في جواز تفسيره... ثم فسّر أسماء القرآن والسور، وأتبعه بتأويل القرآن حَرْفاً حَرْفاً، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وكلام أهل الأعراب من الكوفيّين والبصريّين واختلاف القراءة، والكلام في ناسخه ومنسوخه، وأحكام القرآن والخلاف فيه...[3].

وقد أثنى العلماء عليه وأشادوا به، وأورد ابن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٢م): أنَّه «لو سافر رجل إلى الصين حتّى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبريّ لم يكن ذلك كثيراً»[4].

واختصره بعض العلماء، وتُرجم إلى اللُّغة الفارسيَّة[5].

ب: القراءات وتنزيل القرآن[6]

هو من جيّد كتبه، يقع في ثماني عشرة مجلّدة بخطوط كبار[7]، ذكر

---

(١) الخطيب البغدادي، م. س.، ٢/ ١٦٣؛ ابن الجوزيّ، المنتظم، ٦/ ١٧١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٣.

(٣) ياقوت الحموي، م.ن.، ٦/ ٢٤٥٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ١١٠.

(٥) سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ٢/ ١٦٧.

(٦) ابن النّديم، م.س.، ص٢٣٥؛ الخطيب البغدادي، م.س.، ٢/ ١٦٣؛ ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٥٩؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ١/ ٧١٣.

(٧) منه نسخة خطّية في مكتبة جامعة الأزهر، القاهرة ـ ١/ ٧٤ قراءات ١١٧٨ (١٢٨ ورقة، تاريخ النسخ ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م). ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٥٠. وقد ذكره باسم: جامع القراءات من المشهور والشواذ.

فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ، وفصّل فيه أسماء القرّاء بالمدينة ومكّة المكرمة والكوفة والبصرة والشام وغيرها[1].

ج: العدد والتنزيل[2]

لم أجد تفصيله في المصادر الّتي ذكرتها، ولكن عنوانه يدلّ على مضمونه، إذ يحتمل أنّه في عدد القراءات أو عدد الحروف الّتي نزل بها القرآن.

٢: كُتُب الحديث

أ: تهذيب الآثار[3]

الكتاب مرتّبٌ وفْقَ أوائل رواة الحديث، ويتناول الأحاديث وعِلَلها وصحّتها، فتمّ منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي، وبعض مسند ابن عبّاس، فمات قبل تمامه[4].

ب: المسند المجرّد

ذكره ياقوت الحمويّ، فقال: «وقد كَتَبَ أصحاب الحديث الأكثر منه، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس»[5]. وذكره الذهبيّ باسم: المسند المخرج، فقال: «يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابيّ من صحيح وسقيم، ولم يتمّه»[6].

---

(١) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٤.

(٢) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ١/ ٧١٢.

(٣) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٩. وذكره بعنوان: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن النبي محمد من الأخبار، والكتاب مخطوط. ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٤٩.

(٤) الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٧١٣، ٩/ ١٥٨.

(٥) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٠.

(٦) الذهبيّ، سيَر أعلام النبلاء، ٩/ ١٥٨.

٣: كُتُب الفقه

أ: الآدر في الأصول

ذكره ياقوت الحمويّ، ولم تذكره بقيَّة المصادر الّتي ترجمت للطبريّ، قال معلّقاً عليه: «ووعد بكتاب الآدر في الأصول ولم يخرج منه شيء»[1].

ب: آداب القضاء

بالتجويد والتفصيل، مدح فيه القضاة وكتّابهم وما ينبغي للقاضي إذا ولّي أن يعمل به، وقد كتبه في ألف ورقة[2].

ج: اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام[3]

من أوَّل كُتُب الطبريّ تصنيفاً، وهو مشهورٌ بالفضل شرقاً وغرباً، ذكر فيه أقوال الفقهاء. قال عنه الطبريّ: «لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه، الاختلاف واللطيف»[4]، والكتاب يقع في نحو ثلاثة آلاف ورقة[5].

د: بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام[6]

وهذا الكتاب قدّم له كتاباً سمّاه كتاب «مراتب العلماء»، ذكر في مقدّمته فضل العلم والتفقه فيه، ثم بدأ بالحديث عن فقهاء الأمصار بدءاً بالمدينة وانتهاءً بالشام وخراسان مروراً بالعراقَيْن، الكوفة والبصرة، ثمّ

---

(١) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٦٢.

(٢) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٩.

(٣) ابن النَّديم، م.س.، ص٢٣٥، ذكره باسم: اختلاف الفقهاء؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٧١٢، ذكره باسم: اختلاف العلماء.

(٤) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٨.

(٥) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٨.

(٦) ابن النَّديم، الفهرست، ص٢٣٤؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٩/ ١٥٨.

خرج إلى كتاب الصلاة بعد ذِكْرِ الطهارة وذكر اختلاف المختلفين واتفاقهم، وذَكرَ فيه المحاضر والسجلّات والوصايا وأدب القضاء، وخرّج منه نحو ألفي ورقة[1].

هـ: البيان في أصول الأحكام[2]

هو رسالة مقدّمة لكتاب (لطيف القول)، تطرّق الطبريّ فيها إلى الكلام على أصول الفقه وأخبار الآحاد والمراسيل والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسّر من الأخبار والأوامر والنواهي، إلى غير ذلك[3]. وقد ذكره الطبريّ في تفسيره[4].

و: التبصير في أصول الدين[5]

قال عنه الذهبيّ: «هو رسالة كَتَب بها إلى أهل طبرستان، يشرح فيها ما تقلّده من أصول الدين»[6].

ز: الخفيف في أحكام شرائع الإسلام[7]

هو مختصر من كتاب اللطيف، وعَمِلَ الكتاب حتى يقرب متناوله، وليستفيد منه العالم والمتعلّم، وهو في أربعمائة ورقة[8].

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٩.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٥٠. وذكره باسم: الرسالة في بيان أصول الأحكام.

(٣) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٩.

(٤) الطبريّ، جامع البيان، ١/ ٧٠٥؛ ٢/ ٩٦.

(٥) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٦٢؛ الذهبيّ، م. س.، ١/ ٧١٣.

(٦) الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ٩/ ١٥٨.

(٧) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٥؛ الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٧١٢.

(٨) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٥٩.

ذكره ياقوت الحمويّ وقال عنه: «كتاب الشرب، وهو من جيّد الكتب وأحسنها، وهو كالمنفرد فيه»[1].

ح: كتاب الشهادة

تفرّد بذكره ياقوت الحمويّ[2].

ط: كتاب الصلاة[3]

ذكره ياقوت الحمويّ، بقوله: «وذكر في هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتّفاقهم في ما تكلّموا فيه على الاستعصاء والتبيين في ذلك، وخرّج منه نحو ألفي ورقة»[4].

ي: صريح السنة[5]

ذكر ياقوت الحمويّ أنها رسالة، وقال: «ذكر مذهبه وما يُدين به ويعتقده»[6].

ك: كتاب الفتوى

تفرّد ياقوت الحمويّ بذكره، فقال: «وإذا سأله إنسان في قراءة كتاب، وغاب لم يُقرئه حتى يحضر، إلّا كتاب الفتوى، فإنه كان أي وقت سُئل عن شيءٍ منه أجاب فيه».

---

(١) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٨.
(٢) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٣.
(٣) ابن النّديم، م. س.، ص٢٣٤.
(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٩.
(٥) الصفديّ، الوافي بالوفيّات، ٢/ ٢١٣.
(٦) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٢.

ل: لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام[1]

يُعدّ من جياد كتبه، وهو مجموع مذهبه الذي يعوّل عليه جميع أصحابه، ومن أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمّهات المذاهب وأشدّها تصنيفاً... وكان يعتذر في اختصاره كثيراً في أوّله[2].

م: كتاب الوقف

تفرّد بذكره السبكيّ (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، وأضاف أنّه ألّفه للخليفة العباسيّ المكتفي (٢٩٥هـ/٩٠٨م) عندما أراد أن يوقف وقفاً تجتمع أقاويل العلماء على صحّته ويسلم من الخلاف[3].

٤: كُتُب التاريخ

أ: تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين

ذكره الذهبيّ، وقال عنه: «وتمّ أيضاً كتاب تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وإلى شيوخه الذين لقيهم»[4].

وذكره الصفديّ بعنوان: تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين إلى شيوخه[5]. وربما كان هذا الكتاب هو كتاب «مراتب العلماء» الذي كان مقدّمة لكتاب «بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام» الذي ذكره ابن النّديم وعلّق عليه[6].

---

(١) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٣٤. وأسماه: اللطيف في الفقه.

(٢) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/٢٤٥٨.

(٣) السبكيّ، طبقات الشافعيّة الكبرى، ٢/١٢٤.

(٤) الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ٩/١٥٨.

(٥) الصفديّ، م.س.، ٢/٢١٣.

(٦) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/٢٤٥٩.

ب: تاريخ الرُّسُل والملوك[1]

يُعدّ من أهم المصادر في التاريخ الإسلاميّ، وهو موضوع البحث والدراسة. قال ياقوت الحمويّ: «ثمّ ذكر أبو جعفر في التاريخ الكلام في الدلالة على حدث الزمان والأيام والليالي، وذكر أوّل ما خلق وهو القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً ثمّ ذكر آدم وحوّاء واللعين إبليس وما كان من نزول آدم، وما كان بعده من أخبار نبيّ نبيّ ورسول رسول وملك ملك على اختصار منه لذلك إلى نبيّنا مع ملوك الطوائف وملوك الفرس والروم، ثمّ ذكر مولد النبي محمد ونسبه وآباءه وأمّهاته وأولاده وأزواجه ومبعثه ومغازيه وسراياه وحال أصحابه رضي الله عنهم، ثمّ ذكر الخلفاء الراشدين المهديّين بعده، ثمّ ذكر ما كان من أخبار بني أميَّة وبني العبّاس وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا وهو في خمسة آلاف ورقة»[2].

والكتاب مقسّم نظرياً إلى قسمين:

القسم الأوّل: يتناول ما قبل الإسلام؛

القسم الثاني: يتناول ما بعد الإسلام، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: عهد نبي محمد والخلفاء الراشدين إلى سنة ٤٠هـ

الثاني: عهد الدَّولة الأمويّة من سنة ٤٠هـ إلى سنة ١٣٢هـ

الثالث: عهد الدَّولة العباسيّة من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٣٠٢هـ، وهي السنة الّتي توقّف عندها الطبريّ في كتابة تاريخه.

---

(١) ابن النّديم، م.س.، ٢/ ١٦٣. وأسماه: تاريخ الأمم والملوك؛ السمعانيّ، الأنساب، ٤/ ٥٦٢؛ ابن الجوزيّ، المنتظم، ٦/ ١٧١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٦.

وقد ألّفه الطبريّ بعد الفراغ من تأليف كتابه في التفسير، فقد جاء على لسانه: «وقيل أقوال في ذلك قد حكينا منها جُملاً في كتابنا المسمّى: جامع البيان في تأويل آي القرآن، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضوع»[1].

فرغ من تصنيفه يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة.

وللكتاب تتمّات ومختصرات وذيول، أشهرها[2]:

- صلة تاريخ الطبريّ، لعريب بن سعد القُرطبيّ (ت٣٦٩هـ)، أكمله إلى سنة ٣٢٠هـ.
- تكملة تاريخ الطبريّ، لمحمّد بن عبد الملك الهمدانيّ (ت٥٢١هـ) وبدأه بحوادث سنة ٢٩٥هـ، وينتهي الكتاب بأخبار أوّل سنة ٣٦٧هـ.
- المنتخب من ذيل المذيَّل للطبريّ، لمؤلّف مجهول، وهو في أخبار النبي محمد وبناته ووفيَّاتهنَّ، وأخبار بعض الصحابة والتابعين ووفيَّاتهم.

وقد وضع الطبريّ كتابه في التاريخ وفق منهجَيْن:

الأوّل: موضوعيّ، واستخدمه في القسم الأوَّل المتعلق بأخبار ما قبل الإسلام؛

الثاني: حوليّ، واستخدمه في القسم الثاني المتعلّق بأخبار ما بعد الإسلام.

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/ ٨٩.

(٢) ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٤٧؛ سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ٢/ ١٦٤ - ١٦٦.

تُرجم تاريخ الطبريّ إلى لغات عدّة، منها الفارسيَّة والتركيَّة والجغطائيَّة (لغة أهل بلخ)، والفرنسيَّة والإنجليزيَّة واللاتينيَّة[١].

ج: ذيل المذيَّل[٢]

وهو يشتمل على تاريخ من قُتل أو مات من أصحاب النبي محمد في حياته أو بعد مماته على ترتيب الأقرب فالأقرب منه أو من قريش من القبائل، ثمّ ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم، ثمّ الخلف إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم جُملاً من أخبارهم ومذاهبهم، وذكر من اشتهر بكنيته دون اسمه أو باسمه دون كنيته.

وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاّب الحديث وأهل التواريخ، وكان خرّج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة وهو في نحو من ألف ورقة[٣].

ولهذا الكتاب منتخب باسم: المنتخب من كتاب ذيل المذيَّل، لمحمّد بن جرير الطبريّ، وهو لمؤلّف مجهول، وهو الذي طبع مع التاريخ ضمن كتاب ذيول تاريخ الطبريّ، الجزء الحادي عشر[٤].

د: تاريخ صنعاء

تفرّد بذكره بروكلمان، ولم أجده في بقيَّة المصادر الّتي ترجمت للطبريّ. والصحيح أن مؤلّف هذا الكتاب هو: أبو العبّاس أحمد بن عبد الله الرازيّ الصنعانيّ المتوفّى في العام ٤٦٠هـ، وأصله من الطبريّين

---

(١) ينظر: بروكلمان، م. س.، ٣/٤٨؛ سزكين، م. س.، ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦.
(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٥٧؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٤٧.
(٣) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٧.
(٤) طبعته دار المعارف في مصر، ط٦، سنة ١٩٩٦م بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

الذين وفدوا إلى اليمن وأقاموا بها، ومنه نسخة خطيَّة بدار الكتب المصريّة[1].

٥: كُتُب العلوم المختلفة

أ: آداب النفوس الجيّدة والأخلاق النفيسة[2]

قال ياقوت الحمويّ: «وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثمّ ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء، وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها».

ب: الاعتذار[3]

هو كتاب عمله للاعتذار إلى الحنابلة وزعيمهم، وذكر مذهبه واعتقاده.

ج: بشارة المصطفى في سبعة عشر جزءاً

ذكره بروكلمان ونسبه إلى محمّد بن جرير الطبريّ، وقال عنه: «توجد سبعة منها في النجف، وأجزاءٌ أُخرى في طهران وخراسان كما في رسالة لعليّ الخاقانيّ في النجف إلى المستشرق رتر»[4].

وقد اتّضح أنّ الكتاب تأليف أبي جعفر محمّد بن عليّ بن مسلم الآمليّ الطبريّ، وكان حيّاً سنة ٥٥٣هـ[5].

والكتاب في كرامات الأولياء، ويقع في سبعة عشر جزءاً.

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/ ٢٠.

(٢) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٦٠؛ الصفديّ، الوافي بالوفيّات، ٢/ ٢١٤.

(٣) ياقوت الحموي، م. س، ٦/ ٢٤٥١؛ الصفديّ، م. س.، ٢/ ٢١٤.

(٤) بروكلمان، م.س.، ٣/ ٥٠، وفيه أنّ الكتاب منسوب إليه.

(٥) الطبريّ، م. س.، ١/ ٢٠.

د: العقيدة

ذكره فؤاد سزكين، وهو من مخطوطات تيمور برقم ٤/ ٩٤ مجاميع ١٠٦/ ٤ (من ص ١٦١ ـ ١٦٨، القرن العاشر الهجريّ)[١].

هـ: الردّ على الحرقوصيَّة

ذكره بروكلمان، وفسّر كلمة الحرقوصيَّة بأنها «تعني الحنابلة الذين سُمّوا بذلك لأنّ أحمد بن حنبل من أولاد زهير بن حرقوص»[٢]، والصحيح هو حرقوص بن زهير السعديّ، كان صحابياً، ثمّ كان مع الإمام عليّ بصفّين، ثمّ أصبح خارجيّاً وقتل سنة ٣٨هـ[٣].

و: الردّ على ذي الأسفار[٤]

هو كتاب يردّ فيه الطبريّ على داود بن علي الأصبهانيّ، وقد جرت بينهما مسألة فوقف الكلام على داود بن علي، فشقّ ذلك على أصحابه وكلّموه بكلمة موجعة فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب، وأخرج منه قطعة بنحو مئة ورقة[٥].

ز: الرميّ بالنشّاب

ذكره بروكلمان باسم: رسالة في صناعة القوّاسين ورمي السهام، وهو ضمن المخطوطات الشرقيّة للمتحف البريطاني برقم ٩٢٥٦[٦].

---

(١) سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ٢/١٦٨.
(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ٣/ ٥٠.
(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/١٨.
(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٦٠؛ الصفديّ، الوافي بالوفيّات، ٢/ ٢١٣.
(٥) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٠ ـ ٢٤٦١.
(٦) بروكلمان، م.س..، ٣/ ٥٣.

وذكره كذلك فؤاد سزكين باسم آخر هو: رمي القوس، وقال معلّقاً: «شكّ ياقوت الحمويّ في أصالة الكتاب المنسوب له في رمي القوس، ويبدو أن ثمّة خلطاً بينه وبين عبد الرحمن أحمد الطبريّ»[١].

ح: فردوس الحكمة

ذكره ياقوت الحمويّ، ولم تذكره بقيّة المصادر، وقال: «وكان قد كَتَبَ فردوس الحكمة لعليّ بن ربن الطبريّ»[٢].

ط: فضائل أبي بكر وعمر[٣]

ذكر ياقوت الحمويّ أن الطبريّ ألّف كتابه هذا بعد كتابه فضائل عليّ بن أبي طالب، وبعد أن كثر النّاس للاستماع إليه، فابتدأ بفضل أبي بكر وعمر، ذلك بعد أن بلغه أنّ بعض النّاس في طبرستان ينالون من أبي بكر وعمر، فقطعه حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه، فخرج منها من أجل ذلك[٤].

ي: فضائل العبّاس

تفرّد ياقوت الحمويّ بذكر هذا المصنّف، وذكر سبب تأليفه، أنّ العباسيّين سألوه أن يصنّف في فضائل العبّاس، فابتدأ بخطبة حسنة وأملى بعضه، وقطع جميع الإملاء قبل موته[٥].

---

(١) سزكين، م.س.، ٢/ ١٦٨.

(٢) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٤٦.

(٣) الصفديّ، م. س.، ٢/ ٢١٣. وأسماه: فضائل أبي بكر.

(٤) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٦٤.

ك: فضائل عليّ بن أبي طالب[1]

قال ياقوت الحمويّ: «قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خمّ، وقال: إنّ عليّ بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان النبي محمد بغدير خمّ [...] وبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل عليّ بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خمّ، فكثر النَّاس لاستماع ذلك»[2]. والذي قام بتكذيب حديث غدير خمّ هو ابن أبي داود الظاهريّ[3].

ل: في الردّ على ابن عبد الحكم على مالك

لم يذكره أحد سوى ياقوت الحمويّ، وقال: «كتاب في الردّ على ابن عبد الحكم على مالك ولم يقع إلى أصحابه»[4].

م: مراتب العلماء

تفرّد بذكره ياقوت الحمويّ، وهذا الكتاب مقدّمة لكتابه بسيط القول في أحكام الشرائع، وهو حسنٌ في معناه، حضّ فيه على طلب العلم والتفقّه، وغمز فيه على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقّه بما فيه[5].

ن: المسترشد

تفرّد بذكره ابن النَّديم[6].

---

(1) ياقوت الحموي، م. ن.، ٦/ ٢٤٦٤؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ١/ ٣١٥٩.
(2) ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٦٤.
(3) الذهبيّ، م.س.، ١/ ٧١٣.
(4) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٦٢.
(5) ياقوت الحموي، م. س.، ٦/ ٢٤٥٩.
(6) ابن النَّديم، الفهرست، ص٢٣٤.

ص: الوصايا[1]

ذكره ياقوت الحمويّ، وقال عنه: «وفي الطبّ أخذ منه قسطاً وافراً يدلّ عليه كلامه في الوصايا».

وذكر ابن النَّديم: «إنّ أبا إسحاق محمّد بن إسحاق، قال: رأيت بخطّه شيئاً كثيراً من كُتُب اللُّغة والنحو والشعر والقبائل»[2].

لقد كان الطبريّ ذا ثقافة متنوّعة أثمرت ثروةً عظيمةً من المؤلفات أدهشت مُعاصريه ومن جاء بعدهم. فقد ذكر الخطيب البغداديّ أنّ الطبريّ واظب على الكتابة أربعين سنة يكتب في كلّ يوم أربعين ورقة[3].

وذكر ياقوت الحمويّ أنّ بعض تلامذة الطبريّ قسّموا أوراق مصنّفاته منذ بلوغه الحلم إلى أن توفّي وهو ابن ست وثمانين، فصار منها على كلّ يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شيءٌ لا يتهيّأ لمخلوق إلّا بحسن عناية الخالق[4].

سادساً: وفاته

توفّي الطبريّ عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ودُفن بداره برحبة يعقوب ليلاً بعد أن منع الحنابلة من دفنه نهاراً لتعصّبهم عليه، ولم يؤذن بموته أحد، ومع ذلك اجتمع على جنازته من لا يُحصى عددهم، وصُلّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب[5].

---

(١) ابن النّديم، م. ن.، ص٢٣٤.

(٢) ابن النّديم، م. ن.، ص٢٣٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٤٣.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٦؛ ياقوت الحموي، م.س.، ٦/ ٢٤٤١.

وممّن رثاه، ابن أخته، وهو أبو بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) وأصله من (آمل) كذلك، وقد افتخر بتشيّع أخواله بني جرير، إذ يقول:

بـآمـل مـولـدي وبـنـو جـريـر فـأخـوالـي ويُـحـكـى الـمـرء خـالـه
فـمـا أنـا رافـضـي عـن تـراث وغـيـري رافـضـي عـن كـلالـه[1]

(١) ياقوت الحموي، م. س.، ١/ ٥٧ ـ ٥٨.

المبحث الثالث

مصادر تاريخ الطبريّ

أوّلاً: مصادر الطبريّ في كتابه التاريخ

اعتمد الطبريّ في كتابه على نوعَيْن من المصادر فيما يخصّ الأخبار الّتي ذكرها في تاريخه، أحدهما: مصادر شخصيَّة، كالرواة والإخباريّين والمؤرِّخين، والآخر: مصادر مكتوبة، كالمؤلّفات والأشعار. ويعتقد بعضهم أنَّ مادّة الطبريّ هذه مأخوذة من روايات شفويّة[1].

ويشير إلى ذلك بصيغة: «حدّثني» أو «أخبرني». أمّا المكتوبة فإنّه يُشير إليها بصيغة: «ذكر» أو «قال» أو «زعم». وبما أنّ الطريقة المتَّبعة عند الطبريّ في تاريخه هي الرواية عن طريق الإسناد الّتي لا تستلزم ـ عنده ـ ذكر أسماء الكتب، فإنّه يكتفي بذكر اسم المؤلّف.

ومن الواضح أنّ هذه الطريقة تجعل الباحثين يجدون صعوبةً في تعرّف مصادره بصورة دقيقة، لأنّ جُلّ المؤلفين الذين ذكرهم الطبريّ في أسناده لهم مؤلّفات عديدة يتعذّر على الباحث التعرّف إلى أي منها هو المقصود.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الطبريّ اعتمد على مؤرِّخين أرّخوا لحدثٍ أو

(١) ترحيني، المؤرِّخون والتاريخ عند العرب، ص٨١.

أحداث أو واقعة أو وقائع أو أيّام محدّدة من تاريخ الدَّولة الإسلاميّة بعد وفاة النبي محمد ولم يكتبوا تاريخاً شاملاً يؤرّخ للمرحلة كلّها، فشكّل هؤلاء أهم مصادره[1].

وهذه محاولة للتعرّف إلى المؤرّخين الذين استقى منهم الطبريّ معلوماته، ونقلها إلينا، وبالتالي كانت مادته هذه هي مصدر المعلومات لبقية المؤرّخين الذين جاؤوا بعده وساروا على خُطاه في مؤلّفاتهم، كابن الأثير (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) والذهبيّ (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) وابن كثير وغيرهم. ومن هنا تأتي خطورة عمل الطبريّ باعتباره شكّل أساساً في بناء المنظومة المعلوماتيَّة للمؤرّخين والقراء على حدٍّ سواء، وأوّل وأوسع و«أصحّ» كتاب تاريخ عند العرب، ذلك لضياع معظم المؤلفات الّتي استقى منها الطبريّ موارده وعدم وصولها إلينا.

ولعلّه من المفيد أن نلخّص مصادر الطبريّ ونعرُض لأهمّ المؤرّخين الذين شكّلوا الموارد الرئيسة بالنسبة إليه في النقل عنهم، هذا فضلاً عن مصادر أُخَر ثانوية تتمثّل في مرويات لبعض شيوخه كانت تتخلّل المصادر المذكورة بين حينٍ وآخر.

أ: محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري (١٢٤هـ/ ٧٤١م).

يُعدّ من مؤرّخي المدينة، ومن أوائل الذين كتبوا في المغازي، وله كتاب فيها، حُفظت أجزاء منه في كتاب «المصنّف» لعبد الرزّاق الصنعانيّ، وقد كلّفه الخليفة هشام بن عبد الملك تدوين السُّنة النبويَّة وكتابة حديث النبي محمد، فدوّن ذلك في كتاب حُفِظَ في خزانة الكتب[2]. عوّل الطبريّ في تاريخه على كتابه «مغازي النبي محمد» مع

---

(١) ينظر: عبد الحميد، **تاريخ الإسلام الثقافيّ والسياسيّ**، ص٥٧.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣/ ٣٢٢.

الرعيل الأوَّل من كتّاب السيرة والمغازي[1] أمثال أبان بن عثمان بن عفّان (ت١٠٥هـ) وعروة بن الزبير (ت٩٣هـ) وشرحبيل بن سعد (ت١٢٣هـ) وموسى بن عقبة (ت١٤١هـ) وابن إسحاق (ت١٥١هـ).

وورد ذكره في أخباره في كتاب «تاريخ الرُّسُل والملوك» في أحداث سنة ١١هـ، في أخبار وفاة النبي محمد، وكذلك في أحداث السقيفة، وفي أخبار بيعة الإمام عليّ سنة ٣٥هـ، وفي أخبار معركة الجمل، وكذلك في أحداث سنة ٣٨هـ، ومقتل محمّد بن أبي بكر (ت٣٨هـ)[2]. ووصلت أخباره عن طريق الراوِيَيْنِ أحمد بن زهير (ت٢٧٩هـ) وعبد الله بن أحمد بن شبويه المروزيّ (ت٢٧٥هـ).

ب: محمّد بن حميد الرازيّ (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م)[3]

هو محمّد بن حميد بن حيّان التميميّ الرازيّ أبو عبد الله الحافظ ابن حميد، صاحب شهرةٍ واسعةٍ في عِلم الحديث والسيرة والمغازي. أخذ علمه عن جماعةٍ من العلماء، أمثال: يعقوب بن عبد الله القمّي وإبراهيم بن المختار والفضل السينانيّ، وقد حدّث عنه: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، ومحمّد بن محمّد الباغنديّ، والبغويّ، وهو من بُحور العلم، ولكنَّه غير معتمدٍ يأتي بمناكير كثيرة[4].

ويقال: «إنّ الطبريّ كَتَبَ عن ابن حميد فوق مئة ألف حديث»[5]. قال الطبريّ: «كنّا نكتب عن محمّد بن حميد الرازيّ، فيخرج إلينا في الليل

---

(١) مصطفى، التاريخ العربيّ والمؤرِّخون، ١/ ٢٥٥.

(٢) مصطفى، م. ن.، ٥/ ٩٤.

(٣) الطبريّ، جامع البيان، ٣/ ١٨١.

(٤) الطبريّ، م. ن.، ٣/ ١٨١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٨/ ٥٠.

مرّات ويسأل عمّا كتبناه ويقرؤه علينا»[1]. ويقال: إنَّ الطبريّ درس عليه التفسير أيضاً[2].

ويروي عنه الطبريّ في حوادث تاريخه باستثناء العصر العباسيّ، وقد ورد اسمه أكثر من ٤٢٥ مرة في تاريخ الرسل والملوك[3].

ج: موسى بن عقبة (١٤١هـ/ ٧٥٨م)

هو من مؤرِّخي المدينة أيضاً الذين كانوا يميلون إلى الحديث، له كتاب في المغازي، وصلت منه قطعة طبعها المستشرق سخاو[4]. ورد ذكره في أخبار بيعة الإمام عليّ بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان[5]، في أحداث سنة ٣٥هـ.

د: عوّانة بن الحكم (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)

كان عالماً بالأخبار والآثار والشعر والنسب[6]، له كُتُب متعدّدة، منها كتاب «التاريخ» و«سيرة معاوية وبني أميّة»[7]. وصلت كتبه عن طريق رواته أمثال الأصمعيّ والهيثم بن عديّ والمدائني، وفي تاريخ الطبريّ ظهر اسمه في أحداث معركة صفّين سنة ٣٦هـ، حتّى بعد مقتل الإمام الحسين سنة ٦١هـ، وآخرها سنة ٦٤هـ في أحداث معركة مَرْج راهط[8].

---

(١) ياقوت الحموي، م. ن.، ١٨/ ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) ياقوت الحموي، م. ن.، ١٨/ ٤٩ ـ ٥٠.
(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.
(٤) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص٤٠.
(٥) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٤/ ٤٣٢.
(٦) ابن النّديم، الفهرست، ص٩١.
(٧) ابن النّديم، تاريخ الرُسُل، ص٩١.
(٨) الطبريّ، م. س.، ٤/ ٥٦٥، ٥/ ١٦٠.

وقد روى عنه هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (ت٢٠٤هـ) ونوح بن حبيب.

هـ: محمّد بن إسحاق بن يسار (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)

صاحب السيرة النبويَّة الّتي ضمّنها مُقتبسات كثيرة من مغازي المتقدّمين أمثال عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) وأبان بن عثمان (ت١٠٥هـ) وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة (ت١٤١هـ) ودخلت تلك النماذج في تاريخ الطبريّ[١].

اعتمد عليه الطبريّ في أخباره عن المغازي وأخبار صدر الإسلام فيما يتعلّق بأخبار الإمام عليّ قبل الهجرة النبويَّة حتى سنة ١٢هـ. ورد اسمه في إحدى وخمسين رواية، معظمها عن طريق الراوية ابن حميد (ت٢٤٨هـ) الذي يُعدّ من شيوخ الطبريّ. ولمحمّد بن إسحاق كُتُب عدّة منها: «المغازي»، وكتاب «الخلفاء» وكتاب «السيرة والمبتدأ».

و: محمّد بن بشّار بندار[٢]

هو أبو بكر محمّد بن بشار بن عثمان بن داود العبديّ البصريّ بندار، ولد سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣م في البصرة، وكان يقول: ولدت عام توفي حمّاد بن سلمة[٣]. روى عنه البخاريّ، ومسلم، وأبو داود، والطبريّ وغيرهم[٤].

كان الطبريّ في جُملة من أخذ أخبار الإمام عليّ بن أبي طالب في

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص٤٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٨/ ٥١.

(٣) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥١١.

(٤) الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء، ٦/ ٢٧٧.

أثناء زيارته البصرة، حيث اشتهر بندار بالحديث بين رجالها، وكان صاحب عِلْمٍ بالأخبار، يقصده المحدّثون من مختلف الأنحاء. وقد ورد اسمه أكثر من ثلاث وثلاثين مرة في تاريخ الطبريّ الذي ينقل عنه في عصر ما قبل الإسلام وعصر الخلفاء الراشديّن. توفّي محمّد بن بشار في رجب سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م[١].

ز: أحمد بن حمّاد الدّولابيّ[٢]

الدّولابيّ هو من أهل دَولاب، بفتح الدال، ولكن النَّاس يضمّونها، وكان له ولد اشتهر بالحديث والأخبار والتواريخ وطاف المدن طلباً للعلم، وهو أبو بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الدّولابيّ، ولد سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م وتوفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م، فهو في سنّ الطبريّ، وله كتاب «الكنى والأسماء».

قال الطبريّ: «كنّا نمضي إلى أحمد بن حمّاد الدّولابيّ وكان في قرية من قرى الري بينها وبين الري قطعة»[٣]. وقال أحمد بن كامل تلميذ الطبريّ: «وكتب ـ يقصد الطبريّ ـ عن أحمد بن حمّاد كتاب المبتدأ، وعليه بنى تاريخه»[٤].

غير أن موارد الطبريّ لا تؤيّد هذا الرأي، ولم نجد في تاريخه ما يُشير إلى أنّه كان قد بنى تاريخه على هذه النسخة، ولكن يرد اسمه في تاريخ الطبريّ مرّة واحدة في سنة ١١هـ/ ٦٣٢م، ويذكر أنه أخذ عنه التاريخ.

---

(١) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥١١.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٦/ ٦٩.
(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٨، ص٥٠.
(٤) ياقوت الحموي، م. ن.، ج ١٨، ص٥٠.

ح: المثنى بن إبراهيم الآمليّ[1]

قال ابن كامل: «فأوّل ما كَتَبَ الحديث ببلده، ثمّ بالري وما جاورها، وأكثر من الشيوخ حتّى حصّل كثيراً من العلم، وأكثر من محمّد بن حميد الرازيّ، ومن المثنى بن إبراهيم الآمليّ وغيرهما»[2]. وقد ورد اسمه أكثر من ٢٨ مرّة في تاريخ الطبريّ وتناول عصر ما قبل الإسلام.

ط: محمّد بن المثنى[3]

بهذا الاسم ورد عند الخطيب البغداديّ[4]، والذهبيّ[5]، وابن العماد الحنبليّ[6]. أما ما ذكره ياقوت باسم (محمّد بن المعنى)[7] فهو خطأ، وكذلك ما ذكره محقّقه بأنّه (المعلى) أيضاً خطأ[8].

هو محمّد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزيّ أبو موسى البصريّ، الحافظ الحجّة، محدّث البصرة. توفي سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م[9].

---

(١) أمّا ياقوت ياقوت الحموي فقد ذكر شهرته الإبليّ: ١٨/ ٥٠.

(٢) روى تفسير عطيّة بن الحارث أبي روق الهمدانيّ من كبار رواة الكوفة ومن المفسّرين المعروفين عن الضحّاك شيخ آخر من شيوخ الطبريّ هو المثنى بن إبراهيم الآمليّ، وقد ورد اسمه المثنى بن إبراهيم في ٢٨ موضعاً من تاريخ الطبريّ (فهرست الطبريّ) كلّها في تاريخ ما قبل الإسلام وفي الإسرائيليّات، عدا موضعاً واحداً هو في القبلة. علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢؛ الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥١٢.

(٤) الخطيب البغدادي، م. س.، ٢/ ١٦٢.

(٥) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ٥١٢.

(٦) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ١٦٢.

(٧) ياقوت الحموي، م. س.، ١٨/ ١٥.

(٨) ياقوت الحموي، م. س.، ١٨/ ٥١.

(٩) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ٥١٢.

أخذ الطبريّ أخباره في السيرة، والّتي تبدأ بمبدأ المبعث، إذ أورد قولاً لعروة بن الزبير أخذه عن شيخه محمّد بن المثنى محدّث البصرة عن الحجّاج بن المنهال المتوفّى ٢١٧هـ/ ٨٣٢م[١]، من رؤساء مدرسة الحديث في البصرة، عن شيخه حمّاد بن سلمة بن دينار البصريّ المتوفّى ١٦٧هـ/ ٧٨٣م[٢]، وهو من كبار المصنّفين للكتب في البصرة.

يرد اسم ابن المثنى في أكثر من اثنين وثلاثين موضعاً من تاريخ الطبريّ، وتتعلّق هذه المواضع بأخبار ما قبل الإسلام، وقد أخذ أكثرها من كُتُب التفسير، وأخذ عنه أيضاً أخبار الإمام عليّ في أثناء زيارته البصرة[٣].

ي: سعيد بن يحيى

هو سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن العاص الأمويّ الكوفيّ، صاحب كتاب «المغازي». يمثّل مدرسة الكوفة في الرواية، وكان يقيم فيها، وفي بغداد. وقد حدّث عن أبيه المتوفى سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م[٤]، وعن ابن إسحاق[٥] وعن عمّه محمّد بن سعيد. وكان يحيى بن سعيد من خاصّة ابن إسحاق، وهو الذي روى عنه كتاب «الخلفاء».

هذه السيرة لابن إسحاق حصل عليها الطبريّ من رواة أهل الكوفة، ومن رجال. عُرف باتصاله بابن إسحاق ـ وبرواية كتبت عنه ـ وهو

---

(١) الذهبيّ، م. س.، ١/ ٣٦٤.
(٢) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ١/ ١٨٩.
(٣) الذهبيّ، م. ن.، ٢/ ٨٦.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/ ١٣٢.
(٥) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/ ١٢٦؛ ٢/ ١٢٦.

سعيد بن يحيى[1] الذي نترجم له هنا. وقد ورد اسمه سبع مرّات في تاريخ الطبريّ[2].

ك: هناد بن السريّ[3]

هو هناد بن السريّ بن مصعب الدارميّ التميميّ الكوفيّ، الزاهد، المحدّث، شيخ الكوفة. ولد في الكوفة سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م[4].

توفي في بغداد في ربيع الآخر سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م، عن إحدى وتسعين سنة[5]، وقد أخذ الطبريّ عنه الحديث، وورد اسمه في تاريخه في تسعة مواضع من عَصْر ما قبل الإسلام إلى خلافة عمر بن الخطّاب.

ل: العبّاس بن الوليد البيروتيّ المقرئ[6]

هو العبّاس بن الوليد بن مسلم بن زيد العذريّ الأمويّ البيروتيّ المقرئ. روى عن أبيه[7]، ومحمّد بن شعيب وجماعة. قال ابن الجزريّ: إنّ الطبريّ «أخذ القراءة عن العبّاس بن الوليد بن مزيد ببيروت، وعن عبد الحميد بن بكّار». كذلك «روى الحروف سماعاً عنه». كما أخذ عنه السيرة النبويّة لابن إسحاق[8]. وقد ورد اسمه في أحد عشر موضعاً من تاريخه، شملت أغلب العصور[9].

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٤٠١.
(٢) الذهبيّ، م. س.، ١/ ٢٤٦؛ ٢/ ١٥٨؛ ٣/ ٢٧.
(٣) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ٥٠٧.
(٤) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ٥٠٧.
(٥) الذهبيّ، م. س.، ٢/ ٥٠٧.
(٦) ياقوت الحموي، م. س.، ١٨/ ١٦٠.
(٧) المسعوديّ، مروج الذهب، ١/ ١٤ ـ ١٥.
(٨) الذهبيّ، م. س.، ١/ ٢٧٩.
(٩) الطبريّ، م.س.، ١٠/ ٣٠٣.

م: عمران بن بكّار الكلاعيّ

هو أبو موسى عمران بن بكّار بن راشد الكلاعيّ البرّاد الحمصيّ المؤذّن. وقد روى عنه جماعة من المحدّثين، وتوفي في حمص سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م. ذكره الطبريّ في موضع واحد من تاريخه[١].

ن: الربيع بن سليمان[٢]

هو أبو سليمان الربيع بن سليمان بن عبد الجبّار بن كامل المراديّ، ولد سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م[٣]، وقد ذكره الطبريّ في تاريخه أربع مرّات[٤].

س: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ، المؤرّخ. ولد في الفسطاط سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. روى عن أسد بن موسى، وسعيد بن عفير وغيرهما. ومن تلاميذه: أبو حاتم الرازيّ، والنسائيّ. وكتب عبد الرحمن كتاب «فتوح مصر وأخبارها»، معتمداً في الدرجة الأولى على روايات تلاميذ الليث بن سعد ومنهم أبوه عبد الله، وابن بكير وعثمان بن صالح، وكلّها روايات شفوية، ثمّ على بعض الرُّواة الآخرين. كما استخدم أحياناً بعض المصادر المكتوبة من ابن بكير، ومن الواقديّ. وقد ورد اسمه في تسعة مواضع من تاريخ الطبريّ[٥].

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبري، ص١٨٧.
(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٨/ ٥٥.
(٣) علي، م. س.، ص١٧٤.
(٤) الطبريّ، تاريخ الرسل، ١/ ١١٤ ـ ٢٩٦؛ ٤/ ١١٧ ـ ١٩٠.
(٥) الطبريّ، م. ن.، ١/ ٣٢٠.

ع: محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم[1]

هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ، وهو أخو عبد الرحمن المذكور. ولد سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م[2]، وتوفي سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م[3]. كتب سيرة عمر بن عبد العزيز وأخباره، وهو منشور. ورد اسمه في تاريخ الطبريّ ثلاث مرّات[4].

ف: يونس بن عبد الأعلى الصّدفيّ[5]

هو أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفيّ[6]، المصريّ، ولد في آخر سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م[7]، وتوفي في ربيع الأوّل سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م[8]. ورد اسمه في ثلاثة وثلاثين موضعاً من تاريخ الطبريّ، شملت العصور كافّة[9].

ص: سيف بن عمر التميميّ الأسيديّ (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

صاحب المؤلفات، نذكر منها: كتاب «الفتوح الكبير والردّة»[10]. وقد استعان به الطبريّ في أخبار الردّة[11]. وله أيضاً كتاب «الجمل

---

(١) ابن النّديم، الفهرست، ص٢٦٥ ـ ٢٩١.

(٢) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥٤٦.

(٣) مصطفى، التاريخ العربيّ، ٢/ ١٦٥.

(٤) الطبريّ، م. س.، ١/ ١٣؛ ٣/ ١٦٨، ١٩٧.

(٥) ابن النّديم، م.س.، ص٢٩١.

(٦) الصدفيّ، نسبة إلى قبيلة الصدف الحميريّة، اليمانيّة الّتي نزلت مصر. مصطفى، م. س.، ٢/ ٢٠٠.

(٧) الذهبيّ، م.س.، ٢/ ٥٢٧.

(٨) الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥٢٧.

(٩) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١٠/ ٤٦٢.

(١٠) ابن النّديم، الفهرست، ص٩٤.

(١١) الطبريّ، م. س.، ٣/ ٢٤٩ ـ ٣٤١.

ومسير عائشة وعليّ»[1]، وهو الكتاب الذي نقل منه الطبريّ روايات سيف عن معركة الجمل[2].

وسيف بن عمر طعن فيه معظم المحدّثين وأصحاب التراجم المتقدّمين فضلاً عن المحدّثين، لسببٍ واحدٍ، أنه الإخباريّ الوحيد الذي تفرَّد برواياته عن شخصيّة ابن سبأ (اليهوديّ) وظهوره على مسرح الأحداث ـ أيام فتنة الخليفة عثمان بن عفان ـ والذي ألّب المسلمين في الأمصار على الخليفة عثمان. ولم يذكر هذه الشخصيّة الّتي دارت حول صحتها الشكوك غيره من متقدّميه ومعاصريه من الرُّواة والمؤرِّخين، ومنه صار الطعن على الشِّيعة بأنهم (سبأية) وألصق بهم هذا الاسم، واتّهموا بأنّ أفكارهم ومعتقداتهم ترجع إليه، وهذا قول فيه كثير من التجنّي والمغالطة.

وعلّق الدكتور جواد علي علي بروكلمان الذي اتّهم هو الآخر سيفاً بأنَّه لم يكن يفحص الأخبار الّتي كانت تقال له، وأنّه كان يبالغ فيها بتمجيد قبيلته تميم، قائلاً: «أمّا ما ادّعاه ـ بروكلمان ـ من أنّ الطبريّ قد لاحظ ذلك عليه ـ عاطفته القبليّة تجاه تميم فكان يحاذر منه، واضطرّ إلى ترك قسم من رواياته، فكيف عرف بروكلمان أنّ الطبريّ قد نبذ روايات سيف في تمجيد تميم؟»[3].

ووضع مرتضى العسكريّ كتاباً بعنوان «خمسون ومائةِ صحابيّ مختلق» تفرَّد سيف بن عمر بذكرهم، وعدداً كبيراً من الرُّواة وقادة الفتوح والمدن والحوادث، (التي ليس لها أصل) بعد أن عني بدراسة

---

(1) ابن النَّديم، م. س.، ص٩٤.
(2) الطبريّ، م. س.، ٤/ ٤٥٥ ـ ٥٥٥.
(3) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص٤٩.

كلّ روايات سيف دراسة مقارنة، وكذلك الرواة الذين يروي عنهم سيف، وتوصّل إلى نتائج قيّمة سطّرها في كتابه المذكور[١].

وتظهر روايات سيف بن عمر في تاريخ الطبريّ في أكثر من مئتين وخمسين مرّة[٢] في حروب الردّة[٣]، والفتوح والفتنة وموقعة الجمل سنة ٣٦هـ. وبلغت روايات الفتنة ثلاثاً وسبعين رواية[٤]، وبذلك يجعله الطبريّ مصدراً مهمّاً في نقل الأخبار، فقد برزت روايات سيف بن عمر عن الإمام عليّ بن أبي طالب في أخباره عن مقتل الخليفة عثمان بن عفّان سنة ٣٥هـ، وبيعة الإمام عليّ وموقعة الجمل سنة ٣٦هـ في أكثر من ثمانين رواية[٥] مع رواياته عن أحداث الردّة وبعض الأخبار المتفرّقة عن الإمام عليّ أيّام خلافة عمر بن الخطّاب[٦].

لقد أكثر الطبريّ الأخذ عن سيف بن عمر عن طريق السريّ، بقوله: «كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب عن سيف بن عمر عن عطيّة عن يزيد الفقعسيّ».

ويبدو أنّ كُتُب سيف بن عمر كانت عند السريّ، وأن الطبريّ قد قرأها أو نقل عنها عن طريق المراسلة. ويبدو أيضاً أنَّ عطيّة ويزيد الفقعسيّ اللذين يروي عنهما سيف هذا هما من مختلقاته، فعطيّة مجهول الحال، ويزيد الفقعسيّ شخصٌ نكرة لا يوجد له ولا لصاحبه ذكرٌ في

(١) العسكريّ، خمسون ومائة صحابيّ مختلق، ص١٢٢.
(٢) الطبريّ، م. س.، ١٠/ ٢٨٠.
(٣) الطبريّ، م. س.، ٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩.
(٤) الطبريّ، م. س.، ١/ ٢٨٠.
(٥) الطبريّ،، م.س.، ٤/ ٤٣٠ ـ ٥٦٢.
(٦) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٣/ ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٢.

كُتُب الرجال والتراجم إلّا في روايات سيف بن عمر[1]. ويتّضح خطّ الراوية سيف بن عمر في أنّه ركّز نفسه للدفاع عن ولاة الخليفة عثمان.

ولا يفوتنا ذكر أنّه على الرّغم من أنّ نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) له كتاب عن وقعة صفّين، إلّا أنّ الطبريّ لم يعوّل عليه في نقل أحداثها، وإنما اقتبس منه أربعة نصوص في أربعة مواضع[2].

ق: محمّد بن عمر الواقديّ (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)

صاحب المغازي والتصانيف الكثيرة الأُخَر، منها: «التاريخ الكبير»، و«الردة»، و«الجمل»، و«الطبقات»، و«فتوح الشام»، و«فتوح العراق»، و«مقتل الحسين» وغيرها[3].

كان من علماء المغازي والسِّير والفتوح، وكتب في أحداث المسلمين الّتي وقعت في صدر الإسلام مثل الردّة والجمل وصفيّن والخوارج، ولكن الأعمّ الأغلب من هذه الكتب لم تصل وإنما وجدت مقتبساتها في تاريخ الطبريّ وفي مؤلفات أُخرَ.

يروي الخطيب البغداديّ في ترجمته أنه قال: «ما أدركتُ رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلّا وسألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل، فإذا أعلمني مضيتُ إلى الموقع أعاينه»[4].

اعتمد الطبريّ على الواقديّ في أخبار السيرة والمغازي والفتوح

---

(١) العسكريّ، خمسون ومائة صحابيّ مختلق، ١٤٧.

(٢) الطبريّ، م. س.، ٤/٤٥٨ ـ ٤٨٧.

(٣) ابن النّديم، الفهرست، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/٦.

وتاريخ الخلافة والخلفاء[1] وخصوصاً فيما يتعلّق بأخبار زمن الخليفة عثمان بن عفّان، ومعركة الجمل، وقصة التحكيم، واستشهاد الإمام عليّ ومدة خلافته، ونقل عنه أخباراً عامة جرت أيّام الدَّولة الأمويّة من حجّ ووفيات وعمّال أقاليم وعوامل طبيعية وأخبار متفرقة.

إنّ إسناد الطبريّ إلى محمّد بن عمر الواقديّ كان عن طريق الحارث بن محمّد[2] الذي يُعدّ أحد شيوخه، أو أنّه يأخذ عنه مباشرة[3] بلفظ: قال الواقديّ، أو ذكر الواقديّ، أو أخبرنا الواقديّ.

ر: عليّ بن محمّد بن عبد الله المدائنيّ (ت٢٢٥هـ)

له مصنّفات عديدة جلّها في التاريخ، من أهمّها: كتبه في «الأحداث» و«أخبار الخلفاء» و«خطب الإمام عليّ بن أبي طالب وكتبه إلى عمّاله» وغيرها[4].

نقل عنه الطبريّ في مواضع عديدة مثل حروب الردّة، والفتوح، ومعركة الجمل، ومعركة صفّين، والنهروان، وكذلك نقل عنه أحداثاً جرت أيّام الدَّولة الأمويّة والدولة العباسيّة، لكنَّ ما يهمّنا هو الأخبار الّتي نقلها الطبريّ، فنرى أنه أخذ عنه بصورةٍ مباشرةٍ وغير مباشرة. فأما المباشرة فهي ستُّ روايات[5]، اثنتان سنة ٣٦هـ في وقعة الجمل، واثنتان سنة ٣٧هـ في واقعة صفّين، وواحدة سنة ٦٦هـ في ثورة المختار الثقفيّ، وواحدة سنة ١٩٣هـ زمن هارون الرشيد.

---

(١) ينظر: الطبريّ، م. س.، ٤/٣٨، ٢٠٩، ٢٦٧، ٣٣٧ ـ ٣٧٧، ٤٠٥ ـ ٤٤٠، ٥٦٠.

(٢) الطبريّ، م. س.، ٤/٢٠٩؛ ٥/١٥٢ ـ ١٥٥، ٣٩٤.

(٣) الطبريّ، م.س.، ٣/٢٤٠؛ ٤/٦٩، ٣٦٣ ـ ٣٧٧، ٤٤٠، ٥٦٠؛ ٥/٧١، ١٠٥، ١٣٠٦.

(٤) ابن النَّديم، الفهرست، ص١٠٠ ـ ١٠٤.

(٥) الطبريّ، تاريخ الرُّسُل، ٤/٥٥٧، ٥٥٨؛ ٥/٦٣، ٩٢؛ ٦/٤٢٠؛ ٨/٣٣٥.

أمّا غير المباشرة فقد بلغت أكثر من أربعين رواية[1]. وجاءت هذه الروايات عن طريق عمر بن شبّة (ت٢٦٢هـ) بلفظ: حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمّد، أو حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أبو الحسن (يقصد المدائنيّ)، أو عن أبي زيد (يقصد عمر بن شبّة) عن أبي الحسن (يقصد المدائنيّ).

هذه هي أهم المصادر الأساسيَّة الّتي اعتمدها الطبريّ في كتابه «تاريخ الرُّسُل والملوك»، وإن كان يتخلّل هذه المصادر الكثير من الرِّوايات لشيوخه وللرواة الآخرين، وشكّلت كذلك الرسائل الّتي حصل عليها الطبريّ من مصادره الأساسيَّة.

ثانياً: الملاحظات على مصادر الطبريّ

سوف نُسجّل بعض الملاحظات الّتي نجدها ضروريةً لاستكمال البحث، وإنْ تطرّق إليها الباحثون في كتبهم وأبحاثهم، وهي كالآتي:

أ: الاعتماد على الرواة:

من المسلّمات المعروفة عن الطبريّ أنّه رسم معالم منهجه في بداية كلامه، وقد برهن على ذلك بقوله: «فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين ممَّا يُنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قِبَلنا، وإنما أتى من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا»[2]. هو بادئ ذي بدء يلمّح إلى أنّه يعوّل على الروايات المتعدّدة، ويصرّح علنا أنّه غير مسؤول عمَّا يرد في

(١) الطبريّ، م. ن.، ٣/ ٢٤١، ٣١٣؛ ٢٦٩/٤، ٤٢٨ ـ ٥٦٢؛ ٥/ ١١٠ ـ ١٧٧؛ ٦/ ١٥٤.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ١/ ٥.

الروايات، متنصلاً من مسؤوليَّة ذلك. وهذه النقطة تُعدّ من المآخذ على تاريخ الطبريّ، لأنّ جانب النقد لم يكن فعالاً لدى المؤرِّخ الطبريّ في إهمال بعض الروايات أو ترجيح بعضها على بعض، ومحمّلاً القارئ مسؤوليَّة ذلك.

وبما أنّ الطبريّ يُعدّ من المحدثين، فقد اتّبع طريقتهم في التأليف، وأخذ معالم كتابه من معالم مدرستهم الّتي تركّز على الإسناد، وتُعدّه الأساس في قبول الرواية أو الحديث أو رفضهما.

ب: الأسانيد والروايات

لقد حذا الطبريّ حذو مدرسة أهل الحديث، فجاءت رواياته مسندةً سواء في الحدث الواحد أو في عدّة حوادث، وذكر سند كلّ رواية موصولاً إلى صاحبه. وعند المقابلة بين الروايات يستعمل تعبير (قال فلان...) ويذكر الرواية، ثمّ يقول: (أما فلان...) ويروي الرواية نفسها[1]، أو يقول: «أما الذي يرويه المحدّثون من أمر فلان...»[2]، إلّا أنّ هذه المقابلة تظهر واضحةً تماماً في الأخبار الّتي ترد في نهايات السنين (الحوليّات) كالوفيَّات ومدّة الخلافة، أو في ذكر بعض السّير، فمثلاً نراه يقول: «واختلف في سنيّ الإمام كذا...»، ثمّ يورد الروايات المختلفة لرواته، كقوله: «فقال بعضهم...» و«حدّثت عن فلان...» و«حدّثنا بعضهم...» و«حدّثني فلان...»[3].

والطبريّ، كما عوّدنا، يذكر روايات مختلفة عن الخبر الواحد، ولكن إذا وصل إلى موضوعٍ مطوّل مختلف فيه، قطعه ليذكر موضوعاً ذا

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٥/ ١٠٢ ـ ١٠٥.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٤/ ٤٩٧.
(٣) الطبريّ، م.ن، ٥/ ١٥١، ١٥٤.

صلة، فإذا ما انتهى منه عاد إلى الموضوع الذي وقف عنده، مُشيراً إلى استئنافه بعبارة «رجع الحديث إلى حديث فلان...»[1]. وهذه الطريقة، في الحقيقة، تعيق القارئ وتشوّش ذهنه في تتبّع الموضوعات، ما يُفقد الموضوع وحدته.

والطبريّ إذا نقل من كتابٍ ذكر اسم المؤلّف ولم يذكر اسم الكتاب، ما فوّت على الباحثين الفرصة في معرفة المصادر المباشرة والأساسيَّة الّتي اعتمدها في كتابه، ويستعمل عبارة مثل: «قال أو ذكر الواقديّ، أو قال محمّد بن عمر...»[2] أو «قال أبو مخنف، أو قال لوط بن يحيى...»[3]، أو «قال هشام بن محمّد الكلبيّ...»[4].

وإذا كان سماعه للرواية مشافهة، قال مثلاً: «حدّثني ابن حميد، أو حدّثنا ابن حميد»[5]، ويكمل سلسلة الإسناد، بينما أهمل في بعض الأحيان سلسلة السند في المواضع الّتي اعتمد فيها على النقل من كتب، أو ربّما بطريق الإجازة برواية بعض الكتب، فأعرض عن ذكر اسم المحدّث وسلسلة الإسناد، كقوله: «حدّثتُ عن فلان»[6]، أو «ذكر لي فلانٌ أو ذكر فلان»[7].

وكان الطبريّ يعتمد أحياناً على المراسلة، وقد ظهر ذلك واضحاً في

(١) الطبريّ، م. ن.، ٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٦.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٢/ ٤٠٧، ٦٤٠؛ ٣/ ١٢٢؛ ٤/ ٣٥٦ ـ ٣٧٢.
(٣) الطبريّ، م. ن.، ٤/ ٥٦٦ ـ ٥٧٣؛ ٥/ ٦ وما بعدها.
(٤) الطبريّ، م. ن.، ٥/ ٣٦٣ ـ ٤٦٧.
(٥) الطبريّ، م. ن.، ٢/ ٢٨١، ٥٢٧، ٥٥١، ٥٧٠، ٦١٥، ٩٣٤؛ ٣/ ١٣، ٥٦، ٥٨، ٦٧؛ ٤/ ٢٢٢، إلخ.
(٦) الطبريّ، م. ن.، ٤/ ١٦١، ٥٦٥؛ ٥/ ١٥١، ١٦٥، ٤٠٠.
(٧) الطبريّ، م.ن.، ٥/ ٦؛ ٥/ ١٤٦؛ ٧/ ١٦٧.

معلوماته عن أحداث الفتنة وعن معركة الجمل الّتي جاءت عند سيف بن عمر التميميّ. فقد اعتمد على مراسلاته مع السريّ بن يحيى، فنراه يقول: «كتب إليَّ السريّ عن شعيب عن سيف بن عمر عن محمّد وطلحة»[1] أو «كتب إليَّ السريّ عن شعيب عن سيف بن عمر عن فلان...»[2].

ونخلص إلى أنّ الطبريّ يعرض روايات عديدة للخبر الواحد، ويجعل الخبر على عُهدة راويه، ولا يعلّق بترجيح تلك الرواية على غيرها، ويترك للقارئ اللبيب أن يميّز بين الغثّ والسمين ليحكم. ولكن الملاحظة الجديرة بالإشارة أنّ الطبريّ ينتقي أحياناً الرواة دون الرواية، وهذا الانتقاء ظهر واضحاً وجليّاً في تعويله على روايات سيف بن عمر التميميّ في أخباره عن أحداث الفتنة ومعركة الجمل، مع علمه بأنّ سيف بن عمر مطعون فيه واتُّهِم بالكذب والزندقة والوضع كما مرّ بنا، ولم يستعن بروايات الواقديّ صاحب المغازي الذي كان له هو الآخر كتابٌ عن معركة الجمل وكان أوعية من أوعية العلم، وذا علم واسع كما أسلفنا. لكنَّ السبب معروف عن عزوف الطبريّ عن التعويل على روايات الواقديّ، لأنّ الأخير اتُّهم بالتشيّع، لذلك سقط الاعتماد عليه في الموضوع الحسّاس الذي كان الأولى بالطبريّ أن يأخذ الراوي الأكثر ثقةً وأمانةً وصدقاً في رواياته، لا أن يركن إلى التهمة البائسة ويُؤثر العزوف.

قد يختلف حجم الموضوعات لدى الطبريّ بحسب أهميّتها وبلوغِ أخبارها لديه، فنراه يُطيل في حادثةٍ ما ويقصّر في أخرى. فقد تناول

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٤/ ٤٣٢ ـ ٤٤٧.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٤/ ٤٣٣ ـ ٤٥٥.

أحداث السقيفة في «ثماني صفحات»[1]، وأفرد بضعة سطورٍ من ضمنها لا تتجاوز العشرة لقضية فَدَكٍ، بينما تناول أحداث معركة الجمل في تسعين صفحة[2]، وموقعة حُنين في مائة صفحة[3].

ج: الأخبار العامّة

كان الطبريّ على عادته عندما يختم حديثاً عن خليفةٍ ما، يذكر الأحداث في عصره، ثمَّ يُخصّصُ القسم الأخير للكلام على سيرته وأوصافه وأخلاقه وما تفرَّد به، لذلك أفرد بعض الصفحات للكلام على بعض سِيَر الإمام عليّ، ومقدّراً مدة خلافته، وذاكراً نسبه وصفته وخبر أزواجه وأولاده، مورداً بعضاً من نوادره[4]. ولم نجده يفعل ذلك مع بقيَّة الأئمّة، بل حتّى مع الخليفة الخامس الحسن بن عليّ، حتى إنّه لم يذكر تاريخ وفاته أيضاً ولا الطريقة الّتي توفّي بها، لأنّ، بحسب اعتقادنا، فيها مساساً كبيراً بمعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية خطّ أحمر بالنسبة إلى متشدّدي عصره.

د: النّصوص الأدبيّة

ونقصد هنا بالنّصوص الأدبيّة كلّ ما يدخل ضمن مسمّى الأدب من قصائد شعريّة وخطب ورسائل. وكُلّنا يعلم ما للشعر من قيمةٍ ومكانةٍ في نفوس الناس، إذ إنّه احتلّ مكانة «بارزة» عند المؤرّخين العرب المسلمين جعلت منه ضوءاً كاشفاً لغوامض طريقهم، وكأنّ الاعتماد عليه أصبح جزءاً من منهجهم ولوناً من ألوان الطريقة الّتي استخدموها

---

(١) الطبريّ، م. ن.، ٣/٢٠٣ ـ ٢١١.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٤/٤٥٥ ـ ٥٤٧.
(٣) الطبريّ، م. ن.، ٤/٥٦٣؛ ٥/٦٣.
(٤) الطبريّ، م. ن.، ٥/١٥٣ ـ ١٥٧.

في كتاباتهم وفي الأعداد الكثيرة الّتي استشهد بها الطبريّ والمسعوديّ وياقوت وغيرهم، ودليلاً من أدلة هذا المنهج[1]. كما أنّ النقلة الّتي أحدثها الإسلام في الحياة العربيّة بكلّ جوانبها كان لها أبلغ الأثر في نموّ الشعر العربيّ وتطوره وتمازجه مع الأحداث، فأصبح شاهداً لأحداث هذا التُّراث من عصر ما قبل الإسلام، مروراً بعصر صدر الإسلام والعصر الراشديّ والأمويّ ثمّ العباسيّ وغيره[2].

لقد أكثر الطبريّ من استعمال متضمّنات كتابه من شعرٍ وخطبٍ ورسائل، وكانت مورداً ثانويّاً من موارده وخصوصاً القصائد والأبيات الشعريّة الّتي جاءت من ضمن الرواية التاريخيّة أو مكمّلة لها، وليكسب الموضوع نوعاً من الحيويّة، كذلك ليسجّل الموقف التاريخيّ، وخصوصاً إذا علمنا أنّ هذه القصائد أو الأبيات أنشدها مساهمون في الأحداث.

هـ: ذكر بعض الخرافات والإسرائيليات

قد يؤخذ على الطبريّ ذكره أحياناً أوهاماً خرافيَّة وإسرائيليات فيما يتعلق ببدءِ الخلق وقصص الأنبياء، من دون أنْ يقدّم لبعضها أو يعلّق على بعضها الآخر أو (قلّ أنْ يلم بجرحٍ وتعديل ونحوه)[3]. وأرى أن الطبريّ سجّل مثل هذه الأوهام الخرافية أو الإسرائيليات لأنها ممّا سمعه أو قرأه لأنَّه رسم لنفسه منهجاً لم يحد عنه وخصوصاً في أخبار الماضي كما ذكر نفسه ذلك في مقدمته: (فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضي ممَّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من

---

(١) ينظر: القيسي، الشعر والتاريخ، ص٣.

(٢) ينظر: العاني، الإسلام والشعر، ص٥.

(٣) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤتَ في ذلك من قِبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا)[١].

ويتبيّن لنا أن الإسرائيليات في آثارنا القديمة مع كثرتها لم تكن المرجع الأوّل في التاريخ القديم، بل كانوا هم وغيرهم كعرب الجزيرة متتلمذين معاً على المعارف التاريخيّة في الأمم الّتي سبقتهم في الرقيّ كالبابليين والمصريين، بل إنَّ البابليين كانوا عرباً تعلّم منهم إخوانهم عرب الجزيرة من دون وساطة اليهود كما تعلّم منهم اليهود. وقد مكّن ذلك الطبريّ من أن يذكر الأنبياء الذين أهملهم اليهود عمداً، ومنهم كثيرون بين عرب الجزيرة في الجنوب والوسط والشمال، كما أهملوا تاريخ الأمم الّتي ظهر فيها أولئك الأنبياء وغيرها من الأمم، ومن هؤلاء (عاد) قوم (هود) في الأحقاف و(ثمود) قوم (لوط) في المدائن. وقد بقيت أخبارهم بالرواية إذ حفظها عرب الجزيرة عن كثير من هؤلاء الأقوام ثم جاء ذكر بعضها في القرآن الكريم فلم تكن الروايات الإسرائيليّة الأكبر ولا الأوّل لتاريخهم بل أهمها مصادر بالعربيّة[٢].

وينقل لنا تاريخ الرافدين القديم وأدبه الحرب الّتي نشبت بين مدينة الوركاء ومدينة أرتا، فورد في الملحمة الّتي وصفت هذه الحرب ما يأتي: (في ذلك الوقت تبع سكّان مدينة الوركاء الملك اينمركار وكأنّهم رجلٌ واحدٌ وعبروا إلى الجبال المؤدية إلى مدينة أرتا، زحفاً مثل الأفعى الّتي تعيش بين بيادر الحبوب وعندما أصبحوا على بُعْدِ ساعة من المدينة جلست قوات مدينة الوركاء وكولاب (لتنال قسطاً من الراحة) وبعد ذلك

(١) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص١٦٥.

(٢) علي، م.ن.، ص١٦٧.

بدأت راجمات الأحجار تمطر أسوار مدينة أرتا بوابلٍ من قذائفها الّتي كان عددها بعدد قطرات المطر الّتي تسقط خلال العام الواحد)[1].

والنص واضح في تحمّله مثل هذه الصور في أنَّ عدد القذائف بعدد قطرات المطر الّتي تسقط خلال العام الواحد، ومن صور المبالغة ما كان عند مؤرِّخي الإفرنج.

وبهذا قال هرنشو: (لقد كان لتنصّر قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧م) وظهور الكنيسة المسيحيّة على الوثنية الرومانيّة في حدود القرن الرابع الميلاديّ أثرٌ عميقٌ في فن التاريخ فقد تحوّل إلى أيدي القساوسة والرهبان وبقي فيهم طوال العصر الوسيط أي زهاء ألف سنةٍ من الزمان، وكان من وراء ذلك أن غدا التاريخ خاضعاً للاهوت مسخَّراً له... وأنه فقد كلّ صِفة علميَّة كان يتصف بها، وأصبح لا يكترث بحال لما هو حق أو محتمل الوقوع وأنه غدا مشحوناً بأخبار الخوارق والكرامات..)[2].

ويعقب فيقول: (فهو من قبيل الزلازل والخوارق وتداول المخلَّفات المقدَّسة ونتاج خنازير سداسية القوائم وما أشبه ذاك)[3].

وأيضاً قال: (الصليبيون خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة.... وعندما رأوا حضارة دنيويّة ترجح حضارتهم رجحاناً لا تصحُّ معه المقارنة بينهما...)[4].

على أن هذا الضرب نادر في تاريخ الطبريّ، فإنه متصلٌ بأزمان قديمة

---

(١) علي، م.ن، ص١٦٩.

(٢) هرنشو، علم التاريخ، ص١٧٠.

(٣) هرنشو، م. ن.، ص١٧٢.

(٤) العزاوي، المنهج التاريخيّ عند المؤرّخين العراقيين في العصر العباسيّ الثالث، ص١٤٣.

وشعوب بعيدة، ومع ذلك فإننا نجده بعد أن يسرد مثل هذه الأخبار يقف منها موقف الناقد لقبولها حتى تثبت عنده من طريق علميّ أو نقليّ، وإلّا فهي مجرّد أخبار لا سند لها من الصحة، ومن ذلك قوله: (وقال آخرون: بل أهبط آدم بسرنديب، على جبل يدعى بوذ. وحواء بجدة من أرض مكة. وإبليس بميسان والحيّة بأصبهان. وقد قيل: أهبطت الحيّة بالبريّة وإبليس بساحل بحر الأبلة[1].

وهذا ممّا لا يوصل إلى علم صحته إلّا بخبر يجيء مجيء الحجّة ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند فإنَّ ذلك ممّا لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والحجّة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء..)[2].

و: اتّباعه نظام السنين في كتابة تاريخه

هذا المنهج اضطره إلى تقطيع الحوادث وتوزيعها على أزمان حدوثها وتمزيق وحدة الحدث، وقد وضّحنا ذلك بشيءٍ من التفصيل لما لهذا النظام من مزايا وهنات[3].

ز: تاريخ المغرب والأندلس

لم ينقل لنا الطبريّ أخبار المغرب عموماً والأندلس خصوصاً. واذا وجدنا شيئاً من ذلك فهو شحيح. وربما يعود ذلك إلى مراجعه الّتي اهتمت بجانبٍ دون آخر. وإذا أدركنا أنَّ منهج المؤرّخين السابقين له تركّز على بغداد والمشرق أكثر ممّا تركّز على بلاد المغرب والأندلس،

---

(١) جب، علم التاريخ، ص٧٢.

(٢) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ١٥٧.

(٣) ينظر: الرسالة، الفصل الثالث، ص١٠٣.

عرفنا سبب قلّة العناية ببلاد المغرب العربيّ والأندلس. ولقد حصل لعلماء المغرب والأندلس ما حصل للمشارقة فتميَّزت تآليفهم التاريخيّة بالعناية بالمغرب أكثر من عنايتها بالمشرق.

خلاصة الفصل الأول

لعلنا بعد هذه الدراسة في عصر الطبريّ وحياته ومصادره في تاريخه (تاريخ الرسل والملوك) نستطيع أنْ نبرز بعض النتائج ما توصلّ إليه هذه الدراسة في هذا الفصل.

إنَّ الدراسة والتمحيص في حياة هذا العالم والمؤرخ، كانت إضاءة ساطعة على حياته (اسمه، ولادته، عائلته، نسبه، أصله، شخصيته، وفاته، مكانته العلميّة، سواء في العلوم الدينيّة منها كانت والتاريخيّة، وفي علوم اللُّغة أو غيرها، مما اشتهر به وذاع صيته).

فكانت إطلالة على دراسة آثاره المخطوطة منها والمطبوعة، وكذلك الوقوف بحذر على الآثار المنسوب له.

كما كانت لنا إطلالة على شيوخ الطبريّ وتلاميذه، وأبرزهم إلى حاجز الوجود وإعطائهم الأهمية في هذه الدراسة، وبيان أثرهم في حياة الطبريّ العلميّة، مما نلقاه من شيوخه وعلماء عصره ومفكريه.

وكانت لنا وقفة عند تلاميذ الطبريّ، وأثره العلميّ فيهم وتأثيرهم به.

كذلك أوضحنا بالدراسة والاستقراء لروايات الطبريّ، ما أعطى لتاريخه الأهمية وبيان القوة والضعف، ومدى الأمانة العلميّة فيه، مع

التأكيد على مزاياه ومآخذ[1]، وعلى أقوال العلماء والمؤرخين الذين جاءوا بعده، إضافة إلى بيان المأخذ الّتي أخذت على تاريخه، وبيان أسبابها ومسبباتها.

(1) ينظر: الرسالة، ص١٧٧ . ١٧٩.

الفصل الثاني

ميخائيل الكبير السريانيّ: عصره وحياته ومؤلفاته

المبحث الأوّل: اليعاقبة في التاريخ

المبحث الثاني: ميخائيل السريانيّ، حياته ومؤلفاته

أوّلاً: نسبه

ثانياً: حياته قبل أن يُرسَّم بطريركاً

ثالثاً: حياته بعد ارتسامه بطريركاً

رابعاً: أسفار ميخائيل السريانيّ واتصالاته

خامساً: مؤلّفات ميخائيل السريانيّ

سادساً: وفاته

المبحث الثالث: مصادر ميخائيل السريانيّ التاريخيّة وأثرها

أوّلاً: مصادره باللُّغة اليونانيّة

ثانياً: مصادر تاريخ ميخائيل السريانيّة

ثالثاً: أثر هذه المصادر في أسلوب ميخائيل السريانيّ

المبحث الأوّل

اليعاقبة في التاريخ

عشية فتح العرب لبلاد الشام (سوريا) وبلاد مابين النهرين (العراق) كانت الكنيسة اليعقوبيَّة (السريانيّة)، مثل النسطوريّة، غير شرعيَّة، وكان رجال الدين فيها يُعدّون خارجين على القانون البيزنطيّ. وكان البطريرك الرومي هو الوحيد المعترف به من الإمبراطوريَّة البيزنطيّة هو والأساقفة الخلقيدونيون أو الكهنة (الروم) وهم الإكليروس المعتمد من الدَّولة البيزنطيّة. كما اختفى النساطرة ـ منذ مدة طويلة ـ وراء الحدود البيزنطيّة وكانوا في أمان من صراع الأباطرة مع الفرس. ومن ناحية أخرى ظلَّ الأرثوذكس السريان هم الأغلبيَّة في بلاد الشام (سوريا)، وكانت تتم مطاردتهم فكانوا يختبون تحت الأرض، كما جاء في قصة يعقوب البرادعي[١].

ومع مجيء العرب، تغيَّرت الصورة تماماً، فإنَّ المسلمين في هذه العقود الأُولى لم يعرفوا شيأً عن الخلافات بين المذاهب المسيحيّة على الرّغم من أنهم اعتبروهم أهل كتاب[٢] ووعدوهم بالحماية وأعطوهم

---

(١) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٢١.

(٢) أهل الكتاب هو اسم يطلق في الإسلام على أصحاب الديانات السماويَّة الّتي يعترف الإسلام بأصلها، وغالباً ما يشار به إلى أتباع ديانة الصابئة المندائيين واليهوديَّة والمسيحيّة. الدوري، النظم الإسلاميّة، ص٤٢.

حريَّة التصرُّف ما داموا لا يتدخلون في شؤون الإسلام، ويدفعون الجزية[1].

وبالنسبة إلى الموقف الجديد في المنطقة الّتي خضع فيها المسيحيّون للعرب فقد كان أساساً قائماً على التعايش السلميّ مع رعاياهم من «أهل الذمّة»[2] (المسيحيّين واليهود) وكانوا يخضعون لنوعين من الضرائب الأوّل: الخراج، أو ضريبة الأرض، وهي مفروضة على الرعايا المسلمين والمسيحيّين من دون تمييز.

والنوع الثاني: الجزية وتدفع عن الرأس، وهي مفروضة على المسيحيّين فقط وتقدر بصفة عملة بدينار من الذّهب على كلّ شخص في مقابل عدم الخدمة العسكريّة. التي تقتصر على المسلمين فقط، كما تقتصر عليهم إيتاء الزكاة.

وقد اختلفت قيمة الجزية فيما بعد على أساس حالة الفرد المالية على الرّغم من أنها كانت عادة قاصرة على الشباب البالغين ويعفى منها النّساء والأطفال والكهنة والرهبان والعجائز[3].

وهكذا صار اليعاقبة تحت الحكم الإسلاميّ على درجة من الحرية الدينيّةِ لم يعهدوها من المسيحيّين البيزنطيّين. وكانت السنوات الأُولى

---

(1) الدوري، م. ن.، ص٢٠.

(2) والمقصود بأنهم أهل ذمة هو كونهم تحت الحماية الإسلاميّة ومسؤوليّة الدولة. ولا تقصر الشريعة الإسلاميّة تلك المسؤوليّة على الدّولة فقط ولكن تصرفها أيضاً على المواطن المسلم فلا يجوز للمسلم الإساءة للذمي تحت عذر أنه من غير المؤمنين بالقرآن أو برسول الإسلام محمّد بن عبد الله، وإنما أوضحت الشريعة أن مسألة الإيمان يحاسب عليها الله وحده يوم القيامة. الدوري، م. ن.، ص٤٢.

(3) علي، دور السريان الفكريّ والثقافيّ، ص٥٤.

من حكم العرب متميزة بروح التسامح الدينيّ والعدالة[1]. كما كانت مصحوبةً بحرص العرب على الاستفادة من التقدُّم الثقافيّ ومحاولة التعلُّم من تلك الشعوب القديمة في المعرفة مهما كانت عقائدهم الدينيّة. وهذا الموقف السليم يفسِّر سبب المكانة الرفيعة الّتي شغلها كلّ من اليعاقبة والنساطرة في بلاط الخلفاء العباسيّين[2].

والعامل الآخر هو توحيد بلاد الشام (سوريا) وما بين النهرين (العراق) وفارس، تحت الحكم العربيّ نفسه. فإن رفع الحواجز القديمة بين المناطق الآسيويّة الّتي كانت تحت سيطرة البيزنطيّين والفرس أعطى اليعاقبة الفرصة للتوسع التبشيريّ بالإنجيل نحو الشرق أي في المناطق الّتي كانت قاصرة على النساطرة. والواقع أنَّ اليعاقبة لم يتمكَّنوا أبداً من تغطية الأرض نفسها مثل الأنشطة التبشيريَّة النسطوريَّة في وسط آسيا والشرق الأقصى ولكن تحت حكم العرب بدأوا العمل من دونَ شكّ بكل اجتهاد في العراق وفارس.

ومن ناحية أخرى فإن من الخطأ القول إنَّ اليعاقبة لم يكن لديهم أي وجود في المنطقة قبل مجيء العرب. فقد كانت أوَّل زوجة لخسرو الثاني «برفيز» (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) الملكة شيرين الشهيرة مسيحيَّة يعقوبيَّة[3].

وخلال الفترة التالية من الجهاد (في نشر المسيحيّة) كان الراهب «ماروتا» (٥٥٩ ـ ٦٤٩م) الذي شهد نهاية حكم الغساسنة، قد ارتقى إلى رتبة مطران تكريت.

وفي الواقع إنَّ النساطرة قد نالوا رضا كلّ من الحكام الفرس والعرب

---

(١) عطية، م. س.، ص٢٢١.

(٢) علي، دور السريان الفكريّ والثقافيّ، ص٨١؛ مخول، الحضارة السريانيّة، ص٤٤٧.

(٣) زغلول، السريان والحضارة الإسلاميّة، ص١١٨.

الذين خلفوهم، وكان الجاثليق النسطوريّ هو الرئيس الوحيد لكنيسة مسيحيَّة يجلس في حاضرة تلك الإمبراطوريَّة (العربيّة) الجديدة (بغداد).

ومع ذلك فإن الموقف الجديد للكنيسة اليعقوبيَّة قد جعلها تتمكن من الازدهار وتتوسَّع خلال فترة السلام العربيّ الأُولى (Pax Arabica) خارج الحدود السوريَّة في مناطق فارسيَّة قديمة.

في البداية بدأت حركات الكنيسة اليعقوبية (التبشيريّة) تزدهر في القرون الأُولى للحكم العربيّ إلى مجيء الفريج الذين قلبوا ميزان السلام في الأرض المقدسة وكلّ الشرق الأوسط[1].

ومع ذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأنَّه لم يكن هناك أي اضطهاد قبل ذلك الوقت، وكقاعدة عامة إنَّ العداء المتقطع للمسيحيين لم يكن سياسة ثابتة في بداية الحكم الإسلاميّ.

وكانت الحروب الصليبيَّة هي العامل الحاسم في ابتعاد المسلم عن روح الاخوة الانسانية مع جاره المسيحيّ، وعلى هذا الأساس فإن موقف الكنائس الشرقيّة والمجتمعات المسيحيّة ـ بما فيها اليعقوبيَّة ـ قد تأثَّر بشدَّة.

وقد أثبتت أواخر القرون الوسطى انتهاء مجدها ونشاطها القديم واختفى اللاهوتيون السريان العباقرة من الوجود ومن ثم أظهرت أقليَّة فقيرة مضغوط عليها ومنحصرة عاشت على ذكريات تراثها الماضي.

وفي القرون الثلاثة الأُولى من الفتح العربي الإسلاميّ من القرن السابع إلى العاشر من تاريخ اليعاقبة مع أنه لم يكن زاهياً مثل تاريخ النساطرة الذين كان علماؤهم يحتشدون في أكاديميَّة دار الحكمة ابتداءً

---

(١) علي، م. س.، ص٥٤.

من حنين بن إسحاق وعائلته ودورهم اللامع في الترجمة للعربيَّة في العلوم المختلفة.

ولم يكن هناك داعٍ إلى وجود لاهوتيين ومفسّرين للكتاب المقدَّس كما كانت عليه الحالُ خلال الفترة البيزنطيّة للدفاع عن الأرثوذكسيَّة، ضدّ الآراء الخلقيدونيَّة الروحية في عهد العرب حيث لم يكن هناك ضغط على الأرثوذكس[١].

وكذلك الوضع نفسه بالنسبة إلى النساطرة إذ وجهوا كتاباتهم سواء بالسريانيّة أو العربيّة إلى سِيَر القديسين والتاريخ والفلك والعلوم والطب. ومن الملاحظ أنه كلّما قويت اللُّغة العربيّة ضعفت اللُّغة السريانيّة وفي النهاية لم تعد سوى لغة القدّاس في الكنائس.

ومن أكبر قديسي اليعاقبة ـ في تلك الفترة ـ ماروثا[٢] مطران تكريت. ومنذ سنة ٦٢٩م حتى سنة ٦٤٩م بعد الفتح العربيّ كان من أوّل من يحمل لقب مفريان المشرق وغطت سلطاته الكنسيّة مساحة تمتد من الحيرة في شبه الجزيرة العربيّة إلى بلاد فارس وحتى ما وراءها.

ويبدو أنَّ الكنيسة اليعقوبيَّة (السريانيّة) قد تقدمت في ميدان التبشير

---

(١) زكار، الموسوعة الشاميّة، ١٧/٥؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

(٢) ماروثا التكريتيّ، ولد في شورزق من قرى بانوهدرا (دهوك شمال العراق الحالي)، اعتنق الحياة الرهبانيَّة في دير ناردوس في المنطقة عينها، ثم أكمل دراسته اللاهوتيَّة في دير زكا ـ قرب الرقة وفي جبل الرها. لدى عودته إلى مسقط رأسه مارس التعليم في دير مار متى إلى أن أصبح سنة ٦٢٩م الأسقف الأكبر (متربوليت)، وتولى رئاسة أبرشيات المملكة الفارسيَّة تحت سيطرة هيرقليوس والّتي اتحدت بكرسي أنطاكية. في العام ٦٣٧م اجتاح العرب للمرة الأولى مدينة تكريت، ثم ثبتوا هذا الفتح سنة ٦٤١م بمعاهدة يبدو أن ماروثا كان أحد المشاركين في وضعها. رايت، الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٠٠؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميّة، ص٤٣٤.

الإنجيليّ (Evangelization) وخير مثال لذلك هو «ايلياس» (Elias) السريانيّ الأرثوذكسي الذي ترك الإيمان بالطبيعتين بعد دراسة مؤلفات القديس ساويروس الأنطاكي وتحوّل إلى الأرثوذكسيَّة ردّاً على رسالة من ليون أُسقف حران.

وأمّا البطريرك الآخر «قيرباقوس» التكريتي (٧٣٩ ـ ٨١٧م) فقد عمل على كسب الأرمنيّين الذين تأثَّروا بأفكار الإمبراطور يوليانوس الجاحد وفي عهد خلفه «ديونيسيوس» (٨١٧ ـ ٨٤٥م) حدث انشقاق في الكنيسة ضدّ نموّها الروحي وكان عن «الخبز السماوي» وقد عارضه الرهبان في رأيه. وبناء على ذلك تم انتخاب «أبراهام» من دير قرطامين (Qartamin) بطريركاً آخر ضدّه بمعرفة الناقمين عليه، وقد عمل على تهدئة الموقف أمام السلطات الإسلاميّة الحاكمة[1].

وعندما هدأت العاصفة قام ديونيسيوس بعدَّة زيارات لتهدئة الشعب ولكسب الحكام ليقفوا إلى صفه في دعواه. وبين عامي (٨٢٥ ـ ٨٢٧م) ذهب إلى مصر ليحصل على خطاب من بن الطاهر والي الخليفة المأمون (العباسيّ) إلى أخيه محمّد الذي كان قد أمر بهدم المباني الكنسيّة الجديدة في أديسا.

وفي عام ٨٢٩ مضى إلى بغداد ثم إلى دمشق طالباً من الخليفة تهدئة الأقباط الثائرين ضدّ الحكم العربيّ، لكنَّ وساطته ذهبت هباءً فقام الخليفة وقائده «الأفشين» بالقضاء على الثورة القبطية بالقوة[2].

ثم قصد مصر وزار آثارها ومسلاتها وأهراماتها ومقياس النيل. وفي

---

(١) رايت، م. س.، ص١٠٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤؛ علي، دور السريان الفكريّ والثقافيّ، ص٨١.

(٢) علي، م. ن.، ص٨١.

سنة ٨٣٥م، زار بغداد مرة أخرى لإعلان الولاء للخليفة المأمون الجديد «المعتصم» وقابل ملك النوبة[١] المسيحيّ الذي كان هناك للغرض نفسه. وخلال مدة حبريته تمزقت الكنيسة بانقسامات داخليَّة كما عانت من الحكام المسلمين.

وعلى الرّغم من ازدياد ضغط الحكام المسلمين على الكنيسة السريانيّة، فإنها تمكَّنت من استعادة قدرٍ كبيرٍ من استقلالها في إدارتها (autonomy). وانتهى تدخل الخلفاء ـ كقاعدة عامة ـ في انتخاب البطاركة وحلت فترة من السماح بعدم تحصيل ضرائب الخراج والجزية من المسيحيّين.

وكان المسيحيّون هم أعضاء المجتمع المتعلمين، ولذلك كانت الحاجة إليهم في المراكز العليا في البلاط العباسيّ في بغداد كما كان يعمل حساب لمكتباتهم ومدارسهم وعلمائهم اليعاقبة الذين سبقت الإشارة إليهم، وعن طريقهم انتقلت المؤلفات اليونانيَّة (المترجمة بمعرفتهم) إلى الثقافة العربيّة.

وكان المسيحيّون بصفة عامة يتمتعون بقسطٍ معقولٍ من حرية التفكير والعمل تحت حكم الخلفاء العباسيّين الأوائل. وكان البطريرك اليعقوبي يتردَّد إلى البلاط[٢]، على الرّغم من أن مفريان (مطران) تكريت كان هو المسؤول عن هذا الجزء من أرض الرافدين وكذلك الشرق الإسلامي بينما سُمِح للجاثليق النسطوريّ بالسكنى في بغداد.

ومارس المسيحيّون الكثير من الأنشطة التجاريَّة في الدولة االإسلامية

---

(١) تقول المصادر القبطية إنه كان ولي عهده، الذي قدم هدايا للخليفة، لأعضاء النوبة من جزية لم تسدد. عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٧.

(٢) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

العربيّة ما زاد من ثروات مجتمعاتهم ممّا كان له أثره على الكنيسة وعلى المؤسسات الديرية بمدارسها ومكتباتها.

عهد ضعف اليعاقبة

لم يستمر التسامح والاعتدال العربيّ إلى ما لا نهاية، فقد حدث ظرفان ساهما في حدوث تغييرٍ كبيرٍ في تعامل العرب مع المجتمعات المسيحيّة في المناطق الخاضعة لهم.

وأولهما: النموّ المثمر في التعليم الإسلاميّ جعل الخلفاء أقل اعتماداً على المسيحيّين في تخصصاتهم فنجد أمثلةً متزايدةً عن قيام الخلفاء والسلاطين بطرد الموظفين المسيحيّين من دون سببٍ سوى الدين.

وثانيهما: تناقص العنصر العربيّ الصرف وضعف الخلفاء في مواجهة تزايد نفوذ العناصر غير العربيّة (الفرس والأتراك) مما كان له أثره في السياسة الإسلاميّة. ويرجع تدخلهم إلى عهد الخليفة المعتصم (٨٣٣ ـ ٨٤٢م). وكان ابناً لجارية تركيَّة[1].

ولكي يتحرَّر الخليفة المعتصم من نفوذ العساكر العرب الخراسانيين ـ الذين كان يدين لهم العباسيّون بتولي الخلافة ـ قام بتكوين حرسٍ خاصّ له من أربعة آلاف من الأتراك والتركمان من وسط آسيا. وقد أساء هذا الخليفة حساب نتيجة قراره هذا.

وحتى في أيامه كَثُر عدوانهم في الحاضرة بغداد فوجد أنه من الضروري نقل كرسي الحكومة شمالاً إلى سامراء على نهر دجلة. وفي القرن التالي ظلَّ نفوذهم يتزايد حتى أنهم استطاعوا أن يقبضوا على

---

(١) زكار، الموسوعة الشاميّة، ١٧/٥؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

معظم السلطة من يد الخلفاء العباسيّين الذين صاروا رؤساء صُوَريين في نهاية القرن ١١م.

وقد أقام الخلفاء أسراً حاكمة ومن أشهرها السلاجقة. وقد زاد ضغطهم على حياة الكنيسة اليعقوبيَّة في شمال العراق كما زادت القرارات الّتي تضايق المسيحيّين ابتداءً من القرن العاشر وما بعده.

وفي الواقع توصف القرون ١٠، ١١، ١٢م بأنها عصور انحدار المسيحيّة السريانيّة وهبوط مستوى الأدب السريانيّ.

ولا نجد شخصيَّة روحيَّة مرموقة في الكنيسة اليعقوبيَّة خلال القرن العاشر. وهناك شخص يدعى يوحنا بن مارون (المتنيح سنة ١٠٠٣) وكان راهباً في دير (Gubos) قرب ملطيَّة وقد وصف بأنَّه «محيط الحكمة» ولكنَّه لا يقارن بشيء بالنسبة إلى الآباء السريان القدماء، العظماء، في المعرفة، وقد كَتَبَ مقالة غير مهمة عن «أمثال سليمان» ولم يكن إسهامه فيها (في الواقع) سوى اعتباره ناسخاً لا مؤلفاً لها.

واستمر جذب الكنيسة السريانيّة والأدب السريانيّ اليعقوبي حتى منتصف القرن الثاني عشر عندما حدث إحياء لها فجأة، بظهور ثلاثة أسماء شهيرة، وهي بحق أعظم رجالها المعدودين في تاريخها وهم: ديونيسيوس بن الصليبي، وميخائيل السريانيّ، وغريغوريوس بن العبريّ[1].

(١) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

المبحث الثاني

ميخائيل السريانيّ، حياته ومؤلفاته

أوّلاً: نسبه

ولد ميخائيل في ملطيَّة[1] في العام ١١٢٦[2]. كان والده إيليّا أحد قساوسة[3] ملطيَّة من عائلة قنداسي[4]، فيما كان عمّه أثناسيوس زكي المتوفّى في العام ١١٦٦م مطراناً[5] لعين زربة[6].

---

(١) ملطيَّة: تقع قرب نهر الفرات في تركيا في منطقة شرق الأناضول، سكّانها خليط من الكرد والترك. كانت معروفة لدى الأكديين، وأصبحت مركزاً مهمّاً للمسيحيَّة منذ القرن السادس وخصوصاً بعد تحوّل مركز الكنيسة السريانيّة الأورثوذكسية في القرن العاشر. زكار، الموسوعة الشاميَّة، ٥/ ١٧؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

(٢) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٣؛ السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ٢/ ١٤٥؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٧٨؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٤٣٤.

(٣) قساوسة: مفردها قسّيس أو قسّ، كلمة آرامية معناها كاهن أو شيخ، وهو دون الأسقف وفوق الشمّاس. والقسّيسيّة درجة لا رتبة، فإنّ الرتب تتقدّم القسّ كرتبة الخور أسقف ورأس الدير ومقدّم الكهنة، وهو خادم الكهنوت عندهم، أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم. معجم اللاهوت الكتابي، إشراف الأب سليم دكّاش وآخرين، ص٦٢٧؛ شلبي، أضواء على المسيحيّة، ص٨٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحيّ، ص١٥٣.

(٤) رشدي، م. س.، ص١٣؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

(٥) المطران: وهو بين الأسقف والبطريرك، ومعناه رئيس الأساقفة المقيم في مدينة كبيرة. وكلمة مطران يونانية الأصل (متروبوليت) معناها رئيس العاصمة. شلبي، م. س.، ص٦٤؛ هيل، م. س.، ص١٣١.

(٦) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ١٢؛ السمعاني، م.س.، ٢/ ١٤٥؛ برصوم،=

لُقّب بالكبير والسريانيّ (بالسريانيّة: ܡܝܟܐܝܠ ܣܘܪܝܝܐ)، ويعرف كذلك بـ«ميخائيل العظيم» (بالسريانيّة: ܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ). وهو أحد أهم بطاركة الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيَّة في العصور الوسطى، إذ كان قائداً اها.

لقّب بالكبير تمييزاً له عن ابن أخيه ميخائيل الصغير وهو يشوع سفتانا[(١)]، أي يشوع ذو الشفتين الكبيرتين الذي تولى كرسي البطريركية[(٢)] في ملطيَّة من ١١٩٩م إلى ١٢١٥م بعد أثناسيوس الذي خلف عمّه[(٣)].

ولكن يذهب صليبا شمعون[(٤)] إلى أنّ ميخائيل الكبير لُقّب بهذا اللقب للأعمال الخطرة الّتي أتى بهاخلال خدمتة[(٥)]. وكان ترتيبه الثاني بعد المئة في عداد البطاركة اليعقوبيّين.

=م.س.، ص٣٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤؛ رشدي، م.س.، ص١٣.

(١) رشدي، م. س.، ص١٣؛ حبي، التواريخ السريانيَّة، ص٣٨؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥؛ بغوليفسكايا، ثقافة السريان، ص٥٦.

(٢) البطريركيّة: كلمة يونانية تطلق على رئيس الآباء (أبو الآباء) ومقدّم المسيحيّين، وهو الرئيس الأعلى للأساقفة، وبقصد التخفيف يلفظ بطرك وتجمع بطارك، ولفظة البطريرك معناها قائد في المملكة البيزنطيّة، والبطرك هو العالم عند اليهود. شلبي، م. س.، ص٩٥.

(٣) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ١٢؛ السمعاني، م. س.، ٢/ ١٤٥؛ زكار، م.س.، ٥/ ١٧؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

(٤) صليبا شمعون، المطران غريغوريوس صليبا شمعون، مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس. قام بنقل عدد من التراث السريانيّ وترجمته إلى اللُّغة العربيّة. أبونا، م. س.، ص٣٤٠.

(٥) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ١٢؛ السمعاني، م. س.، ٢/ ١٤٥؛ زكّار، م.س.، ٥/ ١٧؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

ثانياً: حياته قبل أن يُرسَّم بطريركاً

كان ميخائيل محمود الذِّكر قبل أن يُرسم بطريركاً سنة ١١٦٦م، شأنه شأن الرُّهبان[١] الذين يعيشون في الأديرة[٢]. بدأ حياته راهباً في دير برصوما[٣] بالقرب من ملطيَّة، كما يذكر ابن الصليبيّ الذي كان مطران

(١) الرهبان هم سكّان الأديرة المسيحيّة، ويرد تعريف الراهب في المعاجم اللغويَّة على أنّه أحد الرهبان المسيحيّين، والرهبانيَّة مصدر الراهب، والرهبنة تأتي من الرهبة بمعنى الخوف، وقيل: «ترهّب الرجل أي صار راهباً يخشى الله»، وقيل الراهب هو: «المتعبّد المنقطع في الصومعة»، وقد ورد ذكر الرهبان في القرآن الكريم، لتواضعهم، وقولهم الحقّ واتّباعه والإذعان له، بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. سورة المائدة، الآية ٨٢؛ الفراهيدي، **كتاب العين**، ٤٧/٢؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ١٢٣٧/١؛ الشنشتاوي، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، ٩/١٠؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٤٧٤/٥؛ شوريز، **الكنيسة الكلدانيَّة في التاريخ**، ص١؛.

(٢) الدير هو خان المسيحيّين، وهو المكان الذي يتعبّد فيه الرهبان، كأدائهم الصلاة والتقرّب إلى الله. يرجع أصل كلمة دير إلى اللُّغة الآراميَّة ومعناها البيت أو المنزل. وغالباً ما يكون الدير في الصحارى، أو على رؤوس الجبال، أو مطلاً على الأودية أو على السهول الفسيحة الخضر، وفي المناطق المنقطعة عن الناس. ويكون بالقرب من مصدر مائي، ولا يكون في المدن الكبرى. البكري، **معجم ما استعجم من أسماء**، ٦٠٣/١، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ٣٣/٢: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٦٣٩/٢؛ زيات، **الديارات النصرانيَّة**، ص٩.

(٣) دير برصوما: أسس السريان عدة أديرة باسم مار برصوم الناسك المتوفى في العام ٤٥٣م، وكان رئيساً للأديرة السريانيّة. كان ديره الرئيسي سميساط، ولكن أشهر الأديرة المعروفة باسمه كان دير مار برصوم الذي قام ببنائه الفخم في أواخر القرن الثامن على جبل عالٍ، يطل على مدينة ملطيَّة مشرفاً على سهول مترامية وراء ضفّتي الفرات الشرقيّة والغربيَّة. كان معهداً علميّاً كبيراً وله تاريخ حافل منذ تأسيسه حتى اندثاره في أواسط القرن السابع عشر. رشدي، **ميخائيل السريانيّ**، ص١٣؛ برصوم، **اللؤلؤ المنثور**، ص٣٨٧؛ أبونا، **أدب اللُّغة الآراميَّة**، ص٤٣٤؛ حبي، **التواريخ السريانيّة**، ص٣٨.

آمد[1] في ثبت البطاركة. وكان عمله اليدويّ هو تزويد الدير بالماء، في أثناء أُسقفيّة يوحنّا بماردين ١١٦٣م[2]، ثم تولّى رئاسة دير برصوما الذي اتخذه فيما بعد مقرّه المفضّل[3].

ثالثاً: حياته بعد ارتسامه بطريركاً

بعد اجتماع الأساقفة في دير فسقين[4] بمنطقة جرجار، قرّر المجمع المقدَّس[5]، بالإجماع، اختيار ميخائيل بطريركاً للكرسيّ الرسوليّ من

---

(١) آمد أو آميدا، مدينة عتيقة تقع موقع ديار بكر اليوم، في أقصى ما بين النهرين. عرفت المدينة تاريخيّاً باسمها هذا حتى سيطرة العثمانيين عليها في القرن السادس. أُسّست المدينة كمستوطنة آرامية على ضفاف نهر دجلة، وازدهرت في العصر الرومانيّ فأصبحت مركزاً لولاية بين النهرين الرومانيّة بمحاذاة ولاية أرمينيا الرومانيّة. دخلت المسيحيّة إليها مبكراً فصارت مركزاً مهمّاً للكنيسة السريانيّة الأورثوذكسية. عانت المدينة خلال الحروب الرومانيّة الفارسيَّة كونها تقع في منطقة حدودية. رشدي، م. س.، ص١٣؛ أبونا، م. س.، ص٥٥؛ حبي، م. س.، ص٣٨؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ الارو، مصادر النصرانيّة، ص٩٧ ـ ٩٨؛ شيخو، النصرانيّة وآدابها، ص٢١٣؛ عيسى، الحملات الصليبيّة، ص٢٣٦.

(٢) عطية، م. س.، ص٢٤٥؛ بغوليفسكايا، ثقافة السريان، ص٥٦؛ كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص٣٤٦، أبونا، م. س.، ٢/ ١٥.

(٣) رشدي، م. س.، ص١٧؛ زكار، الموسوعة الشاميّة، ٥/ ١٧؛ عطية، م. س.، ص٢٤٧؛ بغوليفسكايا، م. س.، ص٥٦؛ كامل، م. س.، ص٣٤٦.

(٤) دير فسقين ويقال له دير الحفاة على نهر الفرات قرب دير مار أبحاي يوجد في الرقة بسوريا، كان موجوداً نحو العام ١١٦٠م، وكان عامراً في العام ١٥٦٥م، ثم انقطعت أخباره. أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٢/ ١٥.

(٥) المجمع المقدَّس هو مجمع محلّي برئاسة البابا يضمّ الأساقفة ورؤساء الأديرة. يوجد كذلك ما يسمّى: المجمع المسكوني ـ المجمع المحلي. وينبغي بالطبع التفرقة بين مصطلح المجمع المقدَّس الذي يضمّ الآباء الأساقفة، والمجمع (مجمع القديسين) الذي يتم فيه القدّاس الإلهي، وهو يضم أسماء القديسين السابقين والمجامع الإقليمية أو المحليّة أو العامّة Provincial Councils الّتي تضم أساقفة كنيسة واحدة (بلد واحد). يجتمع البابا (البطريرك)=

بين ثلاثة من المرشحين، وهم: ميخائيل وأبو غالب وانتاسيوس سهدا (الذي اختير بطريركاً بعد وفاة ميخائيل). وكان من بين مَن أيّد انتخابه بطريركاً رئيس الدير وأُسقف بيت المقدس وابن الصليبي[1]. فرُسم في دير برصوما في ١٨ تشرين الأوَّل سنة ١١٦٦م. وكان ترتيبه المئة في عداد البطاركة اليعقوبيّين[2]. وقد ألقى ابن الصليبي خطبة في احتفال رسامة ميخائيل.

لا تشتمل هذه الخطبة على أي بيانات ابن الصليبي التاريخيّة عن

=مع الأساقفة لتدبير شؤون الكنيسة أو ما يواجه الكنيسة من أخطار، وهو يقابل اليوم اجتماعات المجمع المقدَّس برئاسة البابا. عرفت المجامع في اليهوديَّة، فقد عقد رؤساء كهنة اليهود مجامع مناوئة للسيد المسيح، كما اعتاد السيد المسيح أن يجتمع بتلاميذه ويفسّر لهم أقواله السماويَّة ولا سيّما الأمثال عندما يعسر عليهم فهمها. وكانوا يسألونه في الخفاء. واجتمع بهم في العشاء الأخير (ويُسمَّى أيضاً عشاء الربّ الأخير والعشاء السرّي) وكذلك أيضاً بعد قيامته، ووعدهم بإرسال الروح القدس الذي حلّ عليهم في يوم الخمسين، وأخذت المسيحيّة بالنظام اليهوديّ. فكان أوَّل مجمع في التاريخ الكنسيّ المسيحيّ هو الذي عقدته الكنيسة في أورشليم نحو العام ٥٠م برئاسة القدّيس يعقوب الرسول أسقف أورشليم، ثم أخذت الكنيسة الجامعة في العالم عن الرُّسُل القدّيسين هذا التقليد، فكانت تعقد المجامع كلما وقع خلاف في البيعة أو انتشرت بدعة جديدة أو حدث ما يستدعي الدعوة إلى مثل ذلك الاجتماع. ترى الكنائس الشرقيّة الأورثوذكسية التالية: القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة أنّ المجامع المسكونية الأربعة الأولى هي: مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأوَّل ومجمع أفسس ومجمع أفسس الثاني. أمّا في نظر الكنيستين الرومانيّة الكاثوليكيّة والبيزنطيّة الأورثوذكسية فإنّ مجمع خلقيدونية هو المجمع المسكوني الرابع وأحد المجامع المسكونية السبعة. عطية، **تاريخ المسيحيّة الشرقيّة**، ص٢٤٥؛ الارو، **مصادر النصرانيّة**، ص٣٤٥؛ شيخو، **النصرانيّة وآدابها**، ص١٥٣؛ أحمد، **الإمبراطوريّة البيزنطيّة**، ص٨٧؛ أبونا، **تاريخ الكنيسة السريانيّة**، ١/ ١١.

(١) ينظر: **الرسالة**، الفصل الثاني، ص٧٦ ـ ٧٩.

(٢) ميخائيل السريانيّ، **تاريخ ميخائيل**، ١/ ١٢؛ رشدي، **ميخائيل السريانيّ**، ص١٣؛ السمعاني، **المكتبة الشرقيّة**، ٢/ ١٤٥؛ زكار، **الموسوعة الشاميّة**، ٥/ ١٧؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

ميخائيل، وجاء فيها أنّه يتحلّى بكلّ الصفات والخصال الّتي تتطلّبها هذه الوظيفة[1]. وقد طلب ابن الصليبي فيها إلى الحاضرين أن يسهّلوا له القيام بأعباء وظيفته بطاعتهم له، وأن يكونوا قدوة في سلوكهم. واختتم خطبته بالدعاء للأمراء والرعاة. ولم يحدّد في هذه الخطبة اسم شخص بعينه، وهي الطريقة المتّبعة عادة في الكنيسة[2].

وقد أضاف ميخائيل هذه الخطبة إلى كتابه عن الطقوس الدينيّة الخاصّة باليعاقبة لتُتلى عند رسامة أي بطريرك أو أُسقف جديد[3].

انتقل ميخائيل بعد ذلك إلى دير مار حنانيا، وجعل من ماردين مقرّاً للبطريركية بدلاً من آمدالّتينُقل إليها ابن الصليبي.

رابعاً: أسفار ميخائيل السريانيّ واتصالاته

قصد ميخائيل الرُّها وقيسوم ودير بارد في ملطيَّة، ونظر في الأمور المنسوبة إلى أُسقف جيحون وشريكه وانتهى إلى إدانته. ثمّ انتقل من فسليفية إلى بيت المقدس واحتفل بتكريس شمّاس[4] في دير ماجدلين الذي كان يقيم به. وتوجّه منها إلى أنطاكية، حيث أقام سنة رُسم في أثنائها ثلاثة أساقفة، ثمّ غادرها في العام ١١٦٨م إلى دير برصوما، حيث عقد مجمعاً رُسم فيه أبو غالب الراهب أُسقفاً لجيحون، وأصدر

---

(١) بغوليفسكايا، ثقافة السريان، ص٥٦؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

(٢) رشدي، م. س.، ص١٣؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ١/ ١٣٥ ـ ١٦٥؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٨٠؛ بغوليفسكايا، م. س.، ص٥٦؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

(٣) رشدي، م. س.، ص٢٣؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

(٤) شمّاس، هي كلمة سريانيّة وتقال باليونانيّة «دياكونوس diakonos»، جميعها تعني (خادم)، معناه خادم، والفعل اليونانيّ منها هو «دياكونيو diakoneo»، معناه يخدم. ألارو، مصادر النصرانيّة، ص٥٩٦.

المجمع قراراً يمنع اتصال الأساقفة والرهبان بالنِّساء. وفي العام ١١٧٠م قصد دير مار حنانيا حينما علم بطرد جبرائيل الشيخ رئيس دير برصوما والتجائه إليه. وفي العام ١١٧١م حطّ رحاله في دير برصوما، حيث بنى صومعةً[١] للبطاركة ولإقامة القاصدين.

كانت علاقات ميخائيل السريانيّ بالحكّام السلاجقة والأيّوبيّين جيّدة. وأقام علاقات حسنة بالفرنجة، نظراً إلى معاشرته قادتهم، خلال مدّة بطريركيّته الغنيّة بالأحداث[٢]. وخلافاً لموقف الأرمن والمرادنة، رفض الخضوع لسلطان كنيسة روما والبابويّة، وظلّ متمسّكاً بمذهبه اليعقوبيّ[٣].

أ: سفره إلى القدس وأنطاكية في العام ١١٦٨م

قام البطريرك ميخائيل الكبير في ربيع العام ١١٦٨م برحلة إلى بلدان سوريا ولبنان وفلسطين، كان يريد من خلالها الاحتفال بعيد الفصح[٤]

---

(١) صومعة، وهي المكان الذي ينقطع فيه الراهب للتنسّك والعبادة، لذا قيل عن الصَّومعة إنها دير الراهب، وأصل الكلمة حبشيّة ومعناها الدير أو القلاية أو القلعة. ويختلف بناء الصَّوامع بين مكان وآخر، فإذا كان الدير قائماً في السهل بُنيت بناء، أمّا إذا كان الدير قائماً في الجبل فإنّها تحفر فيه. ويختلف عدد الصَّوامع بين دير وآخر. الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص٢٠٠؛ شيخو، م.س.، ص٢١٣.

(٢) رشدي، **ميخائيل السريانيّ**، ص١٩؛ زكار، **الموسوعة الشاميّة**، ١٧/٥؛ عطية، **تاريخ المسيحيّة الشرقيّة**، ص١٧١.

(٣) زكّار، م. س.، ١٨/٥؛ عطية، م. س.، ص١٩.

(٤) عيد القيامة: ويعرف بأسماء عديدة أخرى أشهرها عيد الفصح وأحد القيامة، هو أعظم الأعياد المسيحيّة وأكبرها، يستذكر فيه قيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه وموته، كما هو مسطورٌ في العهد الجديد، وفيه ينتهي الصوم الكبير الذي يستمرّ عادةً أربعين يوماً؛ كما ينتهي أسبوع الآلام، ويبدأ زمن القيامة المستمرّ في السنة الطقسيَّة أربعين يوماً حتى عيد العنصرة. شبلي، **أضواء على المسيحيّة**، ص١٤٣.

في القدس وزيارة أبناء رعيّته السريان، ويقول عن نفسه: «قصد البطريرك قيليقية ومنها إلى أنطاكية، والتقى على باب المدينة بولاتها الذين رحّبوا به ترحيباً جيّداً، ولكنَّه لم يكن راغباً في الدخول إليها بسبب قرب حلول العيد، لذلك استعجل بالتوجّه إلى القدس، فغادرها متوجّهاً أوّلاً إلى اللاذقيّة ثمّ سافر منها إلى صور، ووصل أخيراً إلى القدس، يوم الخميس من الأسبوع المقدَّس»[1]. بعد أن أدّى صلاته في منطقة الجمجمة وفي كنيسة القيامة[2]، ترأس يوم الأحد مراسم تكريس الزيت المقدَّس في كنيسة مريم المجدليّة[3]. والتقى في الليلة السابقة ليوم الأحد الكبير (عيد القيامة المصادف ٣١ آذار ١١٦٨م) بطريرك أموري دي نيسل، واستُقبل استقبالاً مشهوداً[4].

عاد ميخائيل إلى أنطاكية وتوجّه لزيارة البطريرك اللاتينيّ إيمري دي ليموج[5] الذي كان قد لجأ إلى دير القُصير، الواقع على مسافة اثني

(١) عيسى، الحملات الصليبيَّة، ص١٣٦.

(٢) كنيسة القيامة أو القبر المقدَّس، من أهم المزارات المسيحيّة المقدَّسة في الجزء القديم من بيت المقدس لأنه يعتقد أنها بُنيت جنب المكان الذي صُلب فيه المسيح ودُفن فيه أيضاً. تعرضت الكنيسة للحرق سنة ٦١٤ لما غزا الفرس بيت المقدس بقيادة الملك خسرو الثاني لكنَّ بعلما استردها البيزنطيّون سنة ٦٣٠ رممها الإمبراطور هرقل. في سنة ٦٣٨ استولى العرب على القدس لكنَّ الكنيسة نجت من التدمير والتخريب. وفي سنة ١٠٠٩ أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها. شلبي، م. س.، ص٨٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحيّ، ص١٥٣.

(٣) مريم المجدلية، تعدّ من أهم التلميذات ليسوع المسيح، وتعدّ رمزاً للإنسان الخاطئ الذي يتوب. لها مكانة عالية. هي أوّل من ظهر له المسيح بعد موته، واعتُرف بمريم المجدليَّة قدّيسة ويُحتفل بها في ٢٢ تموز من كلّ عام. ألارو، مصادر النصرانيَّة، ص٩٧ ـ ٩٨.

(٤) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ٣/ ٣٣٢؛ عيسى، م. س.، ص٢٣٦.

(٥) إيمري دي ليموج: البطريرك اللاتيني في إنطاكية الذي قبض عليه من قبل رينو دي شاتيون (أرناط) المغامر الصليبي، وأنزل به أشدّ العذاب، لأنه سبق وتجرأ على التقدّم بطلب=

عشر كيلومتراً من المدينة، فرحّب به هذا البطريرك ترحيباً ودّياً، وكان قد أُقيل من مهمّته وأُبعد من المدينة، بعدما تمّ في العام ١١٦٥م تعيين بطريرك يونانيّ لمدينة أنطاكية، هو البطريرك أثناسيوس، بأمر من الإمبراطور البيزنطيّ ومن الأمير بوهيموند الثالث.

رجع ميخائيل من القُصير إلى أنطاكية واستُقبل أيضاً استقبالاً حافلاً من قِبَلِ رجال الدين اللاتين، ومكث فيها زهاء سنةٍ كاملة، واحتفل بعيد القيامة في العام ١١٦٩م. وغادر من هناك متوجهاً إلى أنطاكية ووصل أوّلاً إلى القُصير، وزار بطريرك الفرنجة الذي رحّب به بسرورٍ كبيرٍ. ولمّا كان هذا البطريرك ممتعضاً من بطريرك اليونان الموجود في أنطاكية، فقد استقبل بطريركنا باحتفالٍ كبيرٍ كما لو كان يريد من عمله هذا إهانة اليوناني. وبقي ميخائيل هناك سنة كاملة، وكرّس الزيت المقدَّس، ورسم ثلاثة أساقفة[1].

كان البابا ألكسندر الثالث[2] والإمبراطور كومنين[3] يجريان

=الزواج من كونستانس، فربط البطريرك على جذع شجرة بعد أن وضع على رأسه مقداراً من العسل، ثم تركه في حرارة الشمس المحرقة يتألم من لسعات الذباب والحشرات، ولم ينقذه سوى ملك بيت المقدس الذي أرسل إلى أرناط يطالب بإطلاق سراحه. رستم، كنيسة مدينة الله، ٢/٢٦٨؛ عاشور، الحركة الصليبيّة، ٢/٦٤٩.

(١) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٣؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

(٢) البابا ألكسندر الثالث (١١٠٥ ـ ١١٨١م)، وُلِد باسم رولاندو Rolando (أو أورلاندو) من سيينا، تسلّم كرسي البابوية ما بين ١١٥٩م و١١٨١م. عرف عنه نشاطه التبشيريّ في بحر البلطيق، وحاول حلّ أزمة الكنيسة في فنلندا. عقد في العام ١١٧٩م مجمعاً مهمّاً في التاريخ الكنسيّ يقضي بتعيين البابا بتصويت ثلثي الكرادلة. كما دعا إلى حملة صليبية بعد ضمّ نور الدين زنكي مصر، لكنّه لم ينجح في ذلك. عطية، م. س.، ص٢٤٥؛ عيسى، الحملات الصليبيّة، ص١٣٧.

(٣) يوحنا الثاني كومنينوس، إمبراطور بيزنطي ولد في أيلول ١٠٨٧م ومات في العام ١١٤٣م. اعتلى عرش الإمبراطوريّة من ١١١٨م إلى ١١٤٣م. كان الابن الأكبر لأليكسيوس الأوّل=

مفاوضات جدّية في تلك الفترة للوصول إلى توحيد الكنائس اللاتينيَّة والأرثوذكسيَّة، وكتب ميخائيل بهذه المناسبة رسالة تحتوي على صورة إيمانه قُرئت أمام الإمبراطور كومنين، فدعاه هذا الأخير إلى مقابلة القاصد اليونانيّ ثريانوس (Therianus) والمجيء إلى القسطنطينيّة، لكنَّه رفض الدعوة، وغادر أنطاكية والتحق بمقرّ إقامته في دير مار برصوم صيف العام ١١٦٩م[1].

كان البطريرك ميخائيل في كنيسة دير مار حنانيا حين وقع زلزالٌ كبيرٌ في ٢٩ حزيران ١١٧٠م، أدّى إلى تدمير مدن حلب وحمص وحماه واللاذقية وطرابلس وشميشاط، ومقتل ما يقرُب من خمسين شخصاً في أنطاكية[2]. وتوفي فيها أيضاً البطريرك اليونانيّ أثناسيوس تحت أنقاض كنيسة اليونان الكبيرة الّتي انهارت بفعل قوّة الزلزال. ورأى حاكم أنطاكية بوهيموند الثالث في هذا الزلزال عقاباً من الله على المنطقة. وتلقّى ميخائيل أخباراً من البطريرك اللاتينيّ إيمري دي ليموج، الذي كان قد مُنع من الإقامة بالمدينة، يعلمه فيها أنّه عاد مجدّداً إلى أنطاكية مقرّ إقامته، بعد وفاة منافسه البطريرك اليوناني[3].

ويقول مؤرِّخنا ميخائيل في هذا الصدد: «قام الأمير وحاكم هذه المدينة بقصّ شعره ولبس المسوح وجمع السكّان وشخصوا إلى القُصير،

=كومنينوس. كرس جهود الإمبراطوريَّة للتعافي من معركة ملاذكرد. حقق العديد من الإنجازات العسكريّة ضدّ السلاجقة وفي البلقان، ورسّخ السلطة البيزنطيّة في الإمارات الصليبيَّة الناشئة مثل كونتية الرَّها وإمارة أنطاكية، ونجح في استعادة بعضٍ من سمعة الإمبراطوريَّة البيزنطيّة.. رستم، كنيسة مدينة الله، ٢/ ٢٦٨؛ عاشور، الحركة الصليبيَّة، ٢/ ٦٤٩، ألارو، مصادر النصرانيَّة، ص٣٧٢.

(١) رشدي، م. س.، ص١٩؛ عطية، م. س.، ص٢٤٦.

(٢) رشدي، م. س.، ص١٥؛ عطية، م. س.، ص٢٤٦.

(٣) رشدي، م.س.، ص١٥؛ عطية، م.س.، ص٢٤٧.

ليطلب العفو من بطريركهم، والتمسوا منه أن يدخل الكنيسة، ولكنَّه صرح: لا أدخلها ما لم تُخرجوا البطريرك اليوناني. وعندما دخلوا إلى الكنيسة، وجدوا هذا الأخير مسحوقاً بسبب الهزّة، وحملوه بعد أن وجدوه يتنفّس إلى خارج المدينة، ولكنَّه توفي أثناء الطريق، وعاد إيمري عندئذٍ إلى أنطاكية، وأُعيد بناء أسوار المدينة وكنيستها.

أما بالنسبة لنا، أي النزر القليل من شعبنا الذي كان متواجداً في هذه المدن، فقد منحنا الله نجدة كبيرة: ربما لأنَّه لم يكن ثمّة ملكٌ من شعبنا ولا غنيّ، وقد حافظ الله في حلب على كنيستنا عندما انهدمت المدينة بأكملها ولم يسقط من هذه الكنيسة حتى حجر واحد، وفي أنطاكية، سلمت ثلاث كنائس، هي كنيسة أم الربّ وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوم. وسلمت أيضاً الكنيسة الصغيرة الّتي كانت لنا في جبلة، وكذلك الأمر في اللاذقية وطرابلس. لقد حدث هذا لتعظيم وتشجيع بقيَّة أهالينا من الأرثوذوكس»[١].

ب: موقف ميخائيل السريانيّ من قوانين السريان

حدث صراعٌ خطر نحو العام ١١٧٤م بين البطريرك ميخائيل السريانيّ وإيوانيس دنحا (١١٣٨ ـ ١١٧٦م)، رئيس أساقفة الرقة. كان البطريرك يريد التقيّد بتطبيق قوانين كنيسته وشرائعها، وأيقن أنّ هذا الأُسقف يضع العراقيل أمامه، فطلب المجمع الكنسيّ إليه تصحيح سلوكه أو ترك الكنيسة ومغادرتها[٢]. لم يجد دنحا هذا إلَّا أن يتوجّه إلى والي ماردين مقدّماً إليه شكاوى يتهم فيها بطريركه، فطرده الوالي بطريقة مهينة،

---

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ٣/ ٣٣٩.
(٢) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٣؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

فتوجّه هذه المرّة إلى أتابك الموصل سيف الدين غازي[1]، وجدّد أمامه اتهاماته السابقة ضدّ البطريرك. تم توقيف ميخائيل، وأحضره الجنود إلى معسكر نصّيبين لتقديمه أمام مساعد الأتابك، فمثل أمامه مع عددٍ من الأساقفة الرهبان جاؤوا معه لهذا السبب[2]. وعلم ميخائيل أنّ سيف الدين غازي بن قطب الدين كان قد أصدر أمراً إلى دنحا يؤكّد فيه تعيينه رئيساً لأساقفة المدن الواقعة في منطقة بلاد الرافدين[3]. ولم يكن قادراً على قبول فكرة أن يستولي أُسقف ما على أبرشيةٍ[4] عن طريق الرشوة أو الفرض من قبل أميرٍ من الأمراء خلافاً لقانون المسيحيّين المعمول به[5].

ويروي البطريرك ميخائيل القصّة بالتفصيل: «عندما وصلنا إلى المعسكر، قادوني إلى مساعد الأمير سيف الدين، الذي بدأ بالحديث معي بهدوء قائلاً لي: لا يحقّ لكم، وقد وضعكم الله تحت إمرتنا، أن تقاوموا الإرادة الملكيّة. فعليك أن تنفّذ إرادة الملك الظافر قبل أن تُهان وتُسلّم للتعذيب. فقد أمرنا أن يكون هذا المطران راعياً للمدن الّتي تقع ضمن نطاق نفوذه وهي ما بين النهرين والرقّة وحران وسروج ومنطقة الخابور.

---

(١) سيف الدين غازي (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، تولى أتابكية الموصل في الفترة (٥٦٥ ـ ٥٧٦هـ/ ١١٦٩ ـ ١١٨٠م). شباور، السلاطين في المشرق العربي، ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) رشدي، م. س.، ص١٣؛ عطية، م. س.، ص٢٤٦.

(٣) رشدي، م. س.، ص١٣؛ زكّار، الموسوعة الشاميّة، ٥/ ١٧؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥؛ ؛ بغوليفسكايا، ثقافة السريان، ص٥٨.

(٤) الأبرشية (Eparchy) في المسيحيّة الشرقيّة هي وحدة قطاعية كنسية مسؤول عنها المطران أو الأسقف. وهي وحدة رئيسيّة من الحكم الكنسيّ. الأبرشية المهمة (من حيث الحجم، أو التأريخ، أو كلاهما) تسمّى بالمطرانية (Archeparchy). الأبرشانة (Congregationalism) نوع من تنظيم كنسي تتمتع به كلّ أبرشية باستقلال ذاتي. شلبي، أضواء على المسيحيّة، ص٦٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحيّ، ص٩٦.

(٥) رشدي، م.س.، ص٢١؛ عطية، م.س.، ص٢٤٥.

يجب عليك بالتالي أن تذعن إلى ما هو منصوص عليه وعُدْ بسلام إلى بلدك، وإلاّ فإنّ الأمور ستجري بشكل آخر»[1]. وعندها أجاب ميخائيل: «بالنسبة لي، استمدت القوّة من الله، واستعددت بسرورٍ لمواجهة الموت. وقد أجبته بجرأة: هناك ثلاثة كُتُب تحتوي على الشرائع: التوراة للعبرانيّين، والإنجيل للمسيحيّين، والقرآن للمسلمين. فافحص هذه الكتب الثلاثة بأجمعها وخاصّة كتابكم وسوف ترى بأن الله لم يأمر الملوك أبداً بتوجيه شؤون الإيمان بحدّ السيف، لأنّ الإيمان يُكتسب بحريّة وليس عن طريق الإجبار بالقوّة. لذلك، فإنّ أيّاً من الملوك العادلين الذين حكموا، ومنذ أن منح الله المسلمين دولة إسلاميّة، وأيضاً منذ عهد محمّد ولغاية اليوم، لم يدسْ أحدهم بقدميه على شريعة الله، بل إنّهم تقيّدوا بتعليماتها. وقد فرضوا بإذن الله على المسيحيّين أنواعاً متعدّدة من الضرائب والاستعباد البدنيّ، ولكنّهم لم يمنحوا أنفسهم قطّ السلطة في الأمور المتعلّقة بالإيمان. والآن، وإذا أردت أن تغيّر ما فعله الملوك الذين سبقوك، فاعلم عندئذٍ بأنّك تتعارض في هذه الحالة ليس معي وإنما مع النبيّ موسى ومع المسيح ومع محمّد، إذ إنَّك تدمّر وتلغي كَتبهم الثلاثة، أي إرادة الله. بل وإنّ ما هو أشرّ من ذلك، هو أنّك تسهّل عمل من ليس له إرادة، وإذا أردت، يمكنك اكتشاف الكاذب بكلّ سهولة: إنّ المدن الّتي تقول لي الآن بأنها قد مُنحت له، ما زالت تحت نفوذكم. وبما أنّكم قد منحتموه أمراً بإدارة الشؤون الدينيّة لهذه المدن، فلماذا يرفضه أهلها؟ وذلك لأنَّه قد ارتكب أعمالاً مخالفة لإيماننا ولأنّه غير مخلص من وجهة نظرنا. إنّه يلجأ إلى السلطة الملكيّة لإجباري على أن أدوس بقدميّ أمر الله وأدمّره وأُلغيه، لكنَّ قطع رأسي

---

(1) عيسى، الحملات الصليبيّة، ص١٣٦.

لا يمثّل لي إلّا شيئاً بسيطاً. وأنا أقدّم رقبتي وأقول لك الآن: ها أنا ذا أمدّ عنقي بمحض إرادتي، فأصدر الأمر بقطعه، إذ إنّني لن أنتهك أبداً تعاليم الشريعة»[1].

«تأثّر مساعد الأمير بهذه الكلمات، وتوجّه إلى سيّده سيف الدين للتباحث معه حول هذا الموضوع. دخل مساعد الأمير عندئذٍ إلى خيمة الملك، وخرج بعد أن تلكأ لفترة طويلة، وأخذني بيدي وأدخلني إلى الخيمة لوحدي، بحيث إنّه لم يترك أي أُسقف أو راهب يدخل معي. وبعد أن صلّيت طويلاً من أجل الملك، أجابني مساعده بلطف قائلاً لي: (صلِّ أيُّها البطريرك لأجل الملك سيف الدين، إذ إنّه أصدر الأمر: نفّذ شريعتك، ولا أحد يمنعك من إنجاز ذلك)، فكررت دعائي وشكري، وخرجت وأنا أمجّد الربّ ذارفاً الدموع تأثّراً برحمته»[2].

ثمّ تسلّم ميخائيل، على الرّغم من اعتراضات أثارت البلبلة من قبل دنحا، أمراً مكتوباً من قِبَل الأمير سيف الدين، على شكل إقرار رسمي يعترف باللقب الممنوح له وبوظيفته. وعاد بسلام إلى البطريركية محلّ إقامته في دير مار برصوم[3].

نجح ميخائيل، الذي كان مُجبراً على المواجهة مع الأمراء المسلمين، في المحافظة على تقاليد الشعب السريانيّ والعمل على التقيّد بالقواعد الكنسيّة والتشريعات والمحافظة على حريّته في العمل. أمّا المطران دنحا، فقد طلب الاعتذار بعد ذلك إلى البطريرك ميخائيل، وما لبث أن توفّي.

---

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ٣/ ٣٥٠.
(٢) عيسى، الحملات الصليبيّة، ص٢٣٦.
(٣) عيسى، م.ن.، ص١٣٩.

ج: موقف ميخائيل السريانيّ من المجمع الكنسيّ الثالث في لاتران[1]

باشر ميخائيل الكبير في العام ١١٧٧م القيام بسفر آخر إلى عدد من الدويلات. وخلال إقامته بمدينة أنطاكية[2]، كان عليه أن يعالج قضية خطرة كانت تمسّ صميم الكنيسة اللاتينيَّة. كان أُسقف مدينة طرطوس، المبعوث من قبل البطريرك اللاتيني إيمري دي ليموج، قد اتصل به خلال صيف العام ١١٧٧م ليدعوه إلى الذهاب معه إلى روما. وكان البابا ألكسندر الثالث قد طلب انعقاد المجمع الكنسيّ في لاتران للتمكّن من إعادة تنظيم القوانين الكنسيّة وتسوية قضية الكاثاريّين (الألبيجيّن)[3] الذين اتّهمتهم الكنيسة بالكفر.

(١) لاتران، أحد قصور روما، كان مقاماً للبابوات مدة عشر سنوات تقريباً، أوّل من أقامه قسطنطين من أجل صديقه أزيبوس بطريرك روما. وبنى له كنيسة وأغدق عليه الأموال والأراضي. عطية، **تاريخ المسيحيّة الشرقيّة**، ص٢٥٠.

(٢) أنطاكية: باليونانيَّة Αντιόχεια، بالسريانيّة: ܐܢܛܝܘܟܝܐ، مدينة تاريخيّة تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط في لواء الإسكندرون الواقع تحت السيادة التركيَّة. تُعدّ إنطاكية إحدى أهم المدن في تاريخ سورية، إذ كانت عاصمة سورية قبل الفتح الإسلاميّ في القرن السابع، وما زالت حتى اليوم عاصمة للكنائس السوريَّة المسيحيّة. كانت إنطاكية في العصر الهلنستي عاصمة الإمبراطوريَّة السلوقية وفي العصر الرومانيّ تصاعدت أهميتها حتى صارت ثالث أكبر مدينة في العالم بعد روما والإسكندريَّة . نقل العرب العاصمة من إنطاكية إلى دمشق. لأنطاكية أهميَّة كبيرة لدى المسيحيّين في الشرق، فهي أحد الكراسي الرسولية إضافة إلى روما والإسكندريَّة والقسطنطينية والقدس. وبطاركة الطوائف الآتية يلقبون ببطريرك أنطاكية: السريان الأرثوذكس، الأرثوذكس الشرقيّون، السريان الكاثوليك، الروم الكاثوليك، السريان الموارنة. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/ ١٢٦؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ١/ ٣٥٤؛. رستم، كنيسة مدينة الله، ٢/ ٢٦٨؛ عطية، **إمارة إنطاكية الصليبيَّة والمسلمون**، ص١١٧.

(٣) (الألبيجيون) الكاتاري أو الكاثاري (التطهرية) أو الألبيجية Cathares ou Albigeois: =

لم يلبِّ إيمري دي ليموج وميخائيل الكبير الدعوة، بينما غادر أساقفة قادمون من الكنائس اللاتينيّة في المشرق في أيلول ١١٧٨م وتوجّهوا إلى مدينة روما. وكان من بينهم المطران والمؤرّخ وليم الصوري (١١٣٠ - ١١٨٤م)، الذي ألف كتاباً عن تاريخ المشرق اللاتيني في القرن الثاني عشر. وانعقد المجمع في الفترة الواقعة بين ٥ و١١ آذار ١١٧٩م، ووجّه إليه ميخائيل الكبير مجلّداً كاملاً حرّره شخصيّاً لهذا المجمع[١].

وأرسل إلينا بطريرك أنطاكية، أسقف طرسوس وكاهنَيْن لاتينيين

=الكاثارية كلمة إغريقية تعني (الطاهر) وعقيدتهم أن هذه البدعة بقيت حيّة في الإمبراطوريّة البيزنطيّة تحت أشكال أخر، كما لقبوا بالألبية أو البيجنسية نسبة إلى بلدة (ألبي) في فرنسا، والّتي كانت معقلاً حصيناً لهذه الحركة وانتشرت في الجنوب الفرنسي وشمال إيطاليا. ويعمل الكاثاريون بالعقائد الآتية: يرون أن هناك إلهين، إله الخير وإله الشرّ، وأنّ الشيطان إله الشرّ ما هو إلّا الابن الأكبر لله ولأنه تسامى وتكبّر على الله أبيه فقد أنزله الله ووضعه في العالم المادي فأصبحت المادة شراً. أمّا المسيح فهو ابن الله الأصغر. ويعتقدون أن الروح القدس حلّ في جسد المسيح بالعماد (إنكار التجسّد)، فلم يكن قبله إلّا إنساناً عادياً، وهم لا يعترفون بمريم أم المسيح سوى بعملية إنجابه، فلا دور لها بعد إنجابه، ويرفضون الصليب وتكريمه، ويعتبرونه بغيضاً، كما أنكروا الطقوس ورفضوا الجحيم وقيامة الأموات، وأنكروا الزواج وتناول اللحم وحبّذوا الانعزال. تسامحت الكنيسة والسلطات في فرنسا مع طائفة الكاثاري أوّل الأمر، وقد عقدت مجالس عامة للحوار بين فقهاء الكاثاري وأساقفة كاثوليك، ولما جلس إنوسنت الثالث على كرسي البابوية في العام ١١٩٨م، رأى في هذه التطورات خطراً محدقاً بالكنيسة. لذلك بعث إليهم بموفد ليردّهم إلى الكاثوليكية، إلّا أنهم قتلوا موفده، فقامت حملة صليبية بالتعاون مع ملك فرنسا، كانت نتيجتها إبادة جماعية، إذ انتهت حركة الأليبجيين بمذبحة، ففي مدينة بيريبه، قتل بحدّ السيف أكثر من ٧٠٠٠ من الرجال والنّساء والأطفال، ولم يكن إنوسنت الثالث راضياً كلّ الرضا عن هذه الأعمال. الموسوعة الميسرة في الأديان، ص١٥٦؛ الشلبي، أضواء على المسيحيّة، ص١٣٢؛ فارس، حقائق أساسيّة عن إيمان المسيحيّ، ص٢٥٢؛ الارو، مصادر النصرانيّة، ص٨٢٥-٨٣٠.

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ٣/ ٣٧٧ - ٣٧٨؛ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٦؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ عيسى، الحملات الصليبيّة، ص٢٤١.

وطلب منّا الذهاب معه لتسوية هذه القضية. واستفسرنا عن الموضوع ثمّ علمنا بأنّ الشيطان قد تمكّن من إيقاع بعض الرجال من الجنس الأوروبي الموجودين في ذلك البلد والذين كانوا معروفين بمحبّتهم للفقراء، في فخّ الهرطقة. وادّعى هؤلاء الرجال بأنّ من غير الممكن أن يصبح الخبز والخمر جسد الرب، وبأنّه لا توجد فضيلة إلّا فضيلة الإحسان والرحمة تجاه الفقراء، والإحسان هو وحدة النّاس مع بعضهم البعض. الكثير من النّاس قد انضمّوا إليهم، إلى درجة أنّ عددهم زاد عن الآلاف وعشرات الآلاف، وانضمّ إلى صفوفهم أيضاً أساقفة وكونتات وسادة إقطاعيون. وأخذوا يقيمون في تجمّعاتهم أعمالاً مخجلة جدّاً، لأنّهم وضعوا نساءهم تحت تصرّف بعضهم بعضاً.

خامساً: مؤلّفات ميخائيل السريانيّ

كان ميخائيل كاتباً مكثراً سهل الأسلوب، وشاعراً مُقلاً، ولكن شعره كان خالياً من الفنّ والإبداع[1]. ويُعدّه إغناطيوس إفرام برصوم صاحب «اللؤلؤ المنثور» من شعراء الطبقة الثالثة[2]. كَتَبَ في الدين والجدل والتاريخ والأدب. وقد ترك من كلّ ذلك مجموعة كبيرة كانت الناحية الدينيّة هي الطابع الغالب عليها.

أ: أعماله الدينيّة

١ ـ كتاب في الاستعداد لتناول القربان أشار إليه رينودو في ج٣ ص٥٠ من كتابه ليتورجيات[3] شرقيّة، يقول عنه: إنّه كتاب قيّم من كُتُب

---

(١) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨؛ رشدي، م. س.، ص١٩.

(٢) رشدي، م. س.، ص١٦؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٠؛ أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٣/ ٤٧.

(٣) ليتورجيات: الكلمة اليونانيّة «ليتورجية» (الليتورچية «ليتورية» ـ جمع ليتورچيات) أي=

اللاهوت[1]. وقد أعاد الإشارة إليه في ص٤٨ ووصفه بأنّه كتاب ممتاز في الاستعداد لتناول القربان وفي الواجبات الأخرى للحياة المسيحيّة في الإيمان، وفي الطريقة الّتي يستطيع بها الإنسان أن يكون تلميذاً كاملاً للمسيح. ويتناول الكتاب بعض قواعد التوبة كأن يشغل المرء بخطيئته ويعترف بها أوّلاً لرئيس الدين أو الأب الروحانيّ. ثمّ يتلقّى القوانين الكنسيّة، فإذا وصل إلى هذه المرتبة أمكنه أن يتلقّى الكهنوت. ويهاجم الكتاب في غير موضع عادةً شائعةً عند المسيحيّين وهي إهمال الاعتراف أمام القسّيس[2].

٢ ـ مجلّد به حسابان بخطّه كتبه في العام ١١٩٠م، يبدأ عن تقديس البيعة وينتهي عن العنصرة[3] وأعياد العذراء[4]، والرسل والملافنة، وأحد الشهداء وغير ذلك من المسائل.

=«خدمة»، يُقصد بها العبادات والصلوات الاجتماعيَّة بكلّ أنواعها، ولكن استقر الرأي على إطلاق هذا الاصطلاح على القداس الإلهي تحديداً. ألارو، مصادر النصرانيَّة، ص٤٣٢.

(١) علم اللاهوت هو علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيّون على التحليل العقلاني لفهم المسيحيّة بشكل أوضح، ولكي يقارنوا بينها وبين الأديان أو التقاليد الأخر، وللدفاع عنها في مواجهة النقد، ولتسهيل الإصلاح المسيحيّ، وللمساعدة في نشر المسيحيّة، ولأسباب أخر متنوعة. ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي والأدبي والتاريخيّ والفلسفي والطبيعي وغيرها. صليبا، المعجم الفلسفي، ٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٢) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٩.

(٣) العنصرة: عيد الخمسين أو (عيد العنصرة) هو عيد مهم في التقويم الإسرائيلي القديم يحتفل بنزول وحي ناموس موسى. وقد أدخله المسيحيّون ضمن الأعياد المسيحيّة لإحياء ذكرى حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح الاثني عشر. يُشير عيد الخمسين في الكنائس الشرقيّة إلى الخمسين يوماً بين عيد الفصح وحتى عيد العنصرة، لذا يُطلق على الكتاب الذي يحتوي على النّصوص الطقسية الخاصة بهذه الفترة كتاب الخمسين. كما يطلق على هذا العيد أحد العنصرة أو عيد المسيح أو أسبوع العنصرة. ألارو، م.س.، ص١٠٥.

(٤) أعياد العذراء مريم هي عبارة عن قائمة أو سجلّ تظهر فيها الأعياد والتذكارات الّتي يحتفل=

٣ ـ ليتورجيّة على حروف الأبجدية مطلعها «اللهم يا ضابط الكلّ وربّ الكلّ اجعلنا أهلاً للدنوّ من هذا السرّ الإلهيّ العظيم». بقي لنا منها نسخة محفوظة في مكتبة الفاتيكان، ونسخة أخرى محفوظة في المكتبة الأهليّة بليدن. وقد نقلها رينودو من السريانيّة إلى اللاتينيَّة في الجزء الثاني من كتابه «ليتورجيات شرقيّة» ص٤٣٧[١].

٤ ـ أنافورا[٢] مطلعها «الله القادر على كلّ شيء وربّ الكلّ». نشرها رينودو مع ترجمة لاتينيَّة للنصّ السريانيّ في الجزء الثاني من كتابه ص٤٣٨[٣].

وقد بقيت لنا منها نسخة في مخطوطة وادي النطرون جزء٣ ورقة ١٢٦. ولاحظ رينودو أنّها مُرتّبة ترتيباً أبجدياً.

٥ ـ رسالة عن رسامة القساوسة بالسريانيّة، تُرجمت إلى الأرمنيّة

=بها المسيحيّون حول العالم وفق المنشورات الكنسية بأعياد متعلقة بمريم العذراء. هذه الأعياد متنوعة وكثيرة للغاية، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: الأعياد المريميّة الكبرى ويبلغ عددها سبعة أعياد وتأتي أهميتها من كون جميع الكنائس في العالم تحتفل بها؛ القسم الثاني هو الأعياد المرتبطة بمراحل من حياتها، كالزيارة إلى إليصابات أو تقدمتها إلى هيكل سليمان، ويختلف الاحتفال بها حسب الرعايا والطوائف وحسب البلدان أيضاً؛ القسم الثالث هو الأعياد الخاصة بذكرى ظهورها أو طلب شفاعتها لبلد أو منطقة». ألارو، م. س.، ص٨٢٩؛ شلبي، أضواء على المسيحيّة، ص١٥٦؛ هيل، تاريخ الفكر المسيحيّ، ص٨٣.

(١) رشدي، م.س.، ص١٩برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٨٩؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٤٣٤.

(٢) أنافورا «تعني القداس الإلهي» أو تقديم الأسرار أو «رفع القرابين» أو «إصعاد القرابين»، ويقصد بها الجزء الخاص بالتقديس. ومن بدايتها يبدأ ما يطلق عليه قداس المؤمنين. شيخو، النصرانيّة وآدابها، ص١٩٠.

(٣) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٩؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٨٩؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميّة، ص٤٣٤.

وأُضيفت إلى نشرة مختصرة لتاريخ ميخائيل ظهرت في القدس في العام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١م. وأقدم مخطوطات الرسامات هي نسخته الّتي كتبها في العام ١١٩٠م والموجودة في مكتبة باريس الرقم ١١٣. وقد قام هو وغيره من رجال الدين بضبط طقوس الرسامات الكهنوتيّة والأعياد وعملوا على توحيدها بعد أن كان في نصوصها بعض الاختلافات[١].

وقد بقي لنا منها مخطوطة سريانيّة محفوظة في دير الزعفرانة، وأخرى محفوظة في مكتبة الفاتيكان تحت الرقم ٥١[٢].

٦ ـ مواعظ لبعض الأعياد وأيّام الآحاد بالسريانيّة. وقد ذكر صاحب تاريخ الرها أنّ ميخائيل نسخ بخطّه مجموعة المواعظ السنويّة، وأضاف إليها من إنشائه مواعظ للأعياد وأيّام الآحاد الّتي لا توجد لها مواعظ في هذه المجموعة[٣].

٧ ـ لائحة من الأوامر والتعليمات الكثيرة الّتي كتبها بقلمه، وتشتمل على مذكّرة عن مفاوضات الاتحاد مع اليونانيّين، وعلى قرار بطرد أحد الخارجين على الكنيسة أصدرت مفريان[٤]. بقي لنا منها نسخة غير كاملة. وقد ذكر رينودو في ص ٤٤٨ من كتابه أنّ هذه الأوامر مرتّبة وفْقَ الحروف الأبجديّة[٥].

---

(١) رشدي، م.س.، ص١٩؛ برصوم، م.س.، ص٣٨٠؛ أبونا، م.س.، ص٤٣٤.

(٢) بغوليفسكايا، ثقافة السريان، ص١٤٦؛ أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٣/ ٤٧.

(٣) رشدي، م. س.، ص٢٠؛ برصوم، م. س.، ص٣٨٩.

(٤) المفريان (بالسريانيّة: ܡܦܪܝܢܐ مَفريانا أو مفريونو) هو لقب يعطى لرجال دين في الكنائس السريانيّة. تعدّ مرتبة المفريان الثانية في الشأن بعد البطريرك. يعود أصل التسمية إلى السريانيّة وتعني «حامل الثمار» أو «المبدع»، وكانت تستعمل منذ القرن الثالث في الكنائس الواقعة في بلاد فارس وخارج سيطرة الإمبراطوريّة الرومانيّة. كما كانت تستعمل أحياناً لوصف الكتّاب واللاهوتيين السريان. يستعمل اللقب اليوم في الكنيسة السريانيّة الأورثوذكسية وبعض الكنائس في الهند. شيخو، النصرانيّة وآدابها، ص٧٩.

(٥) رشدي، م. س.، ص٢٠.

٨ ـ اعتراف بالعقيدة. بقي لنا منه ترجمة باللُّغة الأرمنيّة نُشرت ملحقةً بطبعةٍ مختصرة لتاريخ ميخائيل باللُّغة الأرمنيّة الّتي ظهرت في القدس في العام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١م[١].

٩ ـ تسعة وعشرون قانوناً وضعها بالسريانيّة في دير مار حنانيا. ويذكر السمعاني أنّها واحد وثلاثون قانوناً ثمّ زاد عليها اثني عشر قانوناً وضعها في العام ١١٧٤م لرهبان دير مار متّى[٢]، وقد فقدت كلّها. ويُعدّه ابن العبريّ من بين مَن وضعوا القوانين الكنسيّة[٣].

١٠ ـ شرح قانون الإيمان اليعقوبيّ. وقد كتبه باللُّغة اليونانيَّة إلى تيوريانوس، وهو أحد شروح ثلاثة باللُّغة اليونانيَّة. بقي له شرحٌ يبدو أنّه مختلفٌ عن السابق في ترجمة عربيَّة تُنسب إلى أسقف يدعى موسى، وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان الرقم ٨٣ ج٤[٤].

١١ ـ جمع الطقوس الكنسيّة والطقوس الكهنوتيّة اليعقوبيَّة وراجعها ورتّب محتوياتها في كتاب يشتمل على ستة وأربعين موضوعاً على الصورة الّتي توجد بها في مخطوطة الفاتيكان الرقم ٥١. وقد جَمع هذه الطقوس من الكتب القديمة وهذّبها بالإضافة والحذف[٥].

١٢ ـ نسخ إنجيلاً بالخط الإسطرنجيلي[٦] وشّيت صفحاته بماء

---

(١) رشدي، م. س.، ص٢١.

(٢) دير مار متى (بالسريانيّة: ܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܡܬܝ) وهو دير أثري يقع على جبل الألفاف شمال مدينة الموصل. يُعدّ من المعالم المعروفة في العراق. يتبع الدير مطرانية السريان الأرثوذكس. يقع دير مار متى الناسك شمال شرقيّ الموصل بمسافة ٣٠ كلم. أسّسه القديس مار متى في أواخر القرن الرابع الميلاديّ. أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٣/١٥٣.

(٣) رشدي، م. س.، ص٢١؛ برصوم، م. س.، ص٣١٨.

(٤) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٨٠؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٤٣٤.

(٥) السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ٢/١٤٥؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٩.

(٦) الخط الأسطرنجيلي ويقال له (بالسريانيّة: ܐܣܛܪܢܓܠܐ، نسخ حرفي: أسطرنجلا) هو=

الذهب وجلده بالفضة. وفي مكتبة باريس مجلدان بخطّه الرقم ١٦٧ و١١٣.

ب: أعماله في الجدل

١ ـ رسالةٌ في الجدل في الردّ على مارق قبطيّ يعقوبيّ اسمه مرقس بن قنبر[1]. وقد وضعها بعد أن نشأ خلاف في مصر في العام

=أحد خطوط السريانيّة الثلاثة، ويُعدّ أقدمها، إذ عثر على أقدم رقيم بهذا الخط سنة ٦ ميلادية. استخدم هذا الخط حصرياً بكتابة الأناجيل السريانيّة، ولعلّ أبرز مخطوطة كتبت به هو إنجيل البشيطتا في القرن الثاني الميلاديّ. يختلف الباحثون في أصل تسمية هذا الخط، فبعضهم يعزوه إلى اللفظة السريانيّة ܣܪܛܐ ܐܘܢܓܠܝܐ سَرطا إيوَنجليا، أي «خط الإنجيل»، بينما يعتقد آخرون بعودته إلى اليونانيّة Στρογγύλη سترونجيلي بمعنى «المدور» نسبة إلى شكله.. برصوم، م. س.، ص٤٨٩؛ أبونا، م.س.، ص١٢٤.

(١) مرقس بن قنبر عاش في القرن الثاني عشر، رسمه أسقف دمياط كاهناً على أحد بلاد الصعيد في مصر، وكان حائزاً قسطاً من العلوم والمعرفة فضلاً عن معرفة اللغتين العربيّة والقبطية. كان يحسن اللُّغة اليونانيَّة، فترجم منها بعض الكتب ونقلها إلى العربيّة، وألَّف أيضاً جملة كُتُب نادى فيها بمبادئ مخالفة لمبادئ الكنيسة المرعية، فجاهر بعدم فائدة البخور. طلب الأساقفة والشعب من البابا يوحنا الخامس أن يحرمه، فتمهل عليه لعلَّه يرجع عن غيّه، ولكنَّه سمع عنه فيما بعد أنه ترك زوجته وصار راهباً طمعاً في الحصول على رتبة الأسقفية، فتأكد البطريرك من سوء تصرفه وحرمه وقطعه من شركة الكنيسة، فلم يبالِ بذلك بل دأب على القيام بالوعظ والتبشير. ولما كان يتبعه كثيرون قاوم أيضاً عادة الختان بحجة أنها خاصَّة باليهود لا المسيحيّين. لما تبوأ البابا مرقس بن زرعة الكرسي البطريركي، كَتَبَ إليه أساقفة الصعيد وعلماؤه يرجون منه أن يتلافى الخطر المحدق بالكنيسة جراء الفتن الّتي يجتهد مرقس في إيقاظها، فاستقدمه البطريرك ونصحه، فقبل النصيحة واعترف بخطئه، فحلّه من حرمه ورجع إلى بلدته. ولكنَّه عاد إلى سيرته الأولى، فلما رأى البطريرك ذلك عقد مجمعاً من ٦٠ أسقفاً وافق فيه على تحريمه وتجريده من رتبته الكهنوتيَّة. طلب مرقس من الحكومة المصريَّة أن تنظر في دعواه، فرغب الحكام أن يتدخلوا في أمره، ولكن البطريرك والأساقفة أبوا بالكلية قبول طرح المسألة أمام الحكّام، وارتضوا بتحكيم الأب ميخائيل بطريرك أنطاكية، فسعى هذا جهده لإيجاد الصلح ولكنَّه لم يفلح. وبعد ذلك رأى مرقس بن قنبر أن يرتمي في أحضان الكنيسة الملكانيَّة، وكانت حينئذ ضعيفة النفوذ، فرجع مرقس منها بعد=

١١٧٧م حول (ضرورة الاعتراف) بين مرقس بطريرك الإسكندريَّة ومرقس بن قنبر. وقد ضاعت هذه الرسالة الّتي يحتمل أنه كتبها بالعربيّة[١].

٢ ـ مقالة كتبها في العام ١١٧٨م نقض فيها بدعة الألبيجيين[٢] الّتي ظهرت في فرنسا[٣].

ج: أعماله في التاريخ

١ ـ كتاب في التاريخ العام كتبه من بدء الخليقة حتى العام ١٩٥[٤]. وقد أفردنا له الفصل الثالث.

٢ ـ كتاب في التاريخ الكنسيّ بالسريانيّة، ولكنَّه مفقود بأكمله نستدل عليه من ابن العبريّ، الذي يذكر تسجيل ميخائيل بعض أمور معيّنة في كتابه عن تاريخ الكنيسة، ولم ترد هذه الأمور في حوليّاته السريانيّة الّتي وصلت إلينا[٥].

٣ ـ مقالتان عن عمّه أثناسيوس وزكي وأبيه إيليا[٦].

=قليل نادماً طالباً من البطريرك أن يقبل توبته، ولكن الأقباط ازدروه لكثرة تلوّنه، وكان أتباعه قد رجعوا إلى كنيستهم الأصلية، فعاد ثانية إلى الكنيسة الملكانيَّة ولكنّها لم تقبله لعدم ثباته، فبقي مدة حياته مطروداً. ألارو، **مصادر النصرانيَّة**، ص٢١٥؛ عطية، م.س.، ص٢٥٥.

(١) أبونا، م. س.، ص٤٣٤.

(٢) ينظر: **الرسالة**، الفصل الثاني، ص٦١.

(٣) برصوم، م. س.، ص٤٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤.

(٤) ينظر: **الرسالة**، الفصل الثالث، ص٨٣ ـ ٩٥.

(٥) برصوم، **اللؤلؤ المنثور**، ص٤٨٠؛ أبونا، **أدب اللُّغة الآراميَّة**، ص٤٣٤.

(٦) برصوم، م. س.، ص٤٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤.

٤ ـ ميمر[1] باللُّغة السريانيّة وصف فيه مناقب المعلم ديونيسيوس بن الصليبي (المتوفى في العام ١١٧١م)، وقد تحدّث فيه أيضاً عن مصنّفاته[2].

٥ ـ أعاد كتابة سيرة ما أقحاي أُسقف نيقية في العام ١١٨٥م. وهي سيرة أُسطوريّة كتبها يوحنا روفرس، وقد بقي لنا منها نسخةً في مخطوطة المتحف البريطاني الرقم ٩١٠، والرقم ٨ في فهرس رايت ص ١١٢٤، ونسخة أخرى في أكسفورد الرقم ١٦٣، وثالثة في الفاتيكان الرقم ٣٧ فهرس ١٢ ج٢، ص٢٤٧، وفي المكتبة الشرقيّة ج٢ ص٥٠٥، ع٢.

د: أعماله في الأدب

١ ـ قصيدة سروجيّة (من اثني عشر مقطعاً) كتبها في العام ١١٦٧م عن مآثر يوحنّا مطران ماردين (١١٢٥ ـ ١١٦٥م) رثاه فيها. منها نسخة في دير الزعفرانة الرقم ٢٠٦ مكتوبة في القرن الرابع عشر، ونسخة أخرى في المكتبة البطريركية في أنطاكية[3].

٢ ـ ميمر على الوزن الخماسي في قضية الفتاة التلعفريّة التقيّة[4].

سادساً: وفاته

توفّي ميخائيل في ٧ تشرين الثاني ١١٩٩م بعد أن جلس على كرسي البطريركية ثلاثة وثلاثين عاماً وعشرين يوماً عن عمر قارب ثلاثة

---

(١) ميمر: هي كلمة سريانيّة معناها (قول)، وهو مقال أو سيرة قديس، والجمع ميامر. وهي قصيدة تقرأ ولا تُنشد وتكون تعليميَّة قصصيَّة. ألارو، مصادر النصرانيَّة، ص٧٥٩.

(٢) برصوم، م. س.، ص٤٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤.

(٣) برصوم، م. س.، ص٤٨٠؛ أبونا، م.س .ص٤٣٤.

(٤) برصوم، م. س.، ص٤٨٢.

وسبعين عاماً. دُفن في كنيسة دير برصوما الجديدة في مقبرة بناها لنفسه أمام المذبح الشمالي. وقد وصفه ابن العبريّ بأنَّه كان رجلاً عظيماً عالماً بالكتب المقدَّسة، وذا هيكلٍ ضخمٍ ووجهٍ مليحٍ وصوتٍ واضحٍ عذب[1].

(١) ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ١/ ٥٦٥؛ برصوم، م. س.، ص٣٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٢.

المبحث الثالث

مصادر ميخائيل السريانيّ التاريخيّة وأثرها

لكتاب ميخائيل في التاريخ مركز خاص. وهو أكثر مؤلفاته أهمية، استهلّه من بداية الخليقة وانتهى فيه إلى أواخر حياته. وقد اختلفت الآراء حول السنة الّتي انتهى عندها الكتاب. فيذكر رايت[1] أنّ ميخائيل انتهى فيه عند سنة ١١٩٦م. ويذهب دوفال[2] إلى أنّ الكتاب وضع في العام ١١٩٦م ولكنَّه أوقف فيه سرد الحوادث منذ سنة ١١٩٣م. وقد ترك الكاتب بياضاً ليدوّن فيه الحوادث ولكن لسبب لا نعرفه لم يتمكن من ذلكِ.

وأخذ برصوم[3] برأي دوفال في أنّ الكتاب يبدأ بالخليقة وينتهي عند سنة ١١٩٣م. أما بومشتارك[4] فيذكر أنّه ينتهي في تاريخه عند سنة

---

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/٢٦؛ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٣؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص٣٥ ـ ٦٥؛ السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ٢/١٥٥؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٨٠؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٤٣٤؛ حبي، التواريخ السريانيّة، ص٣٨؛ رايت، الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ، ص٣٣.

(٢) Palmer, Andrew, *The Seventh Century In The West - Syrian Chronicles*, p.105.

(٣) برصوم، م. س.، ص٣٨٢.

(٤) رشدي، م. س.، ص٣٤.

١١٩٤ ـ ١١٩٥م. ونرى الصددي في خاتمة الترجمة الكرشونية ويقول إنه من بدء الخليقة إلى سنة ١١٩٥م.

وقد رجعنا إلى تاريخ ميخائيل[١] نفسه، فوجدناه يذكر في آخر فقرة من الكتاب كانون سنة ١٥٠٦ يونانية المقابلة لكانون الأوَّل ١١٩٤م أو كانون الثاني ١١٩٥م. ولكن المرجّح أنه قصد كانون الأوَّل لأنَّه لم يشر إلى أنه كانون الثاني كما تجري به العادة، أي كانون الأوَّل سنة ١١٩٤م.

ألَّف الكتاب بالسريانيّة في عدة مجلدات تشتمل على واحد وعشرين كتاباً، وكلّ كتابٍ مقسّمٍ إلى فصول ينتهي آخر فصل منها سنة ١١٩٤. وقد ألحق ميخائيل بكتابه لوائحَ بأسماء الأساقفة والملوك وما إلى ذلك.

يتناول هذا المبحث دراسة المصادر التاريخيّة الّتي عوّل عليها ميخائيل الكبير في تأليف تاريخه، مع تحليل لمحتوياته، ليتسنّى لنا تحديد طرائق المؤرِّخ في ترتيب أخباره، وتتبّع مناهج تفكيره في انتقاء الخبر الملائم والرواية المناسبة. وإنّ ما يسهّل الأمر على الباحث في هذه المصادر، هو أنّ المؤرِّخ يُشير بين الحين والآخر إلى مصادره، تارةً بذكر اسم الكتاب، وطوراً بالإشارة إلى اسم الكاتب، لقبه، أو كنيته[٢].

وقد ثبت بعد إحصاء الأسماء والعناوين المتناثرة في تاريخ ميخائيل السريانيّ، أنه اعتمد نحو ثلاثين مصدراً، بين تاريخ معروف، وتاريخ مفقود، وكتب لاهوتيَّة، وتفسيريّة، وفلسفيّة وطبيّة. ولما كان نطاق البحث في هذه الرسالة ينحصرُ في مصادره التاريخيّة فحسب، وجدتُ من الضرورة بمكانٍ، أن أتفرّغ لتحديد المراجع التاريخيّة، من دون

---

(١) برصوم، م. س.، ص٣٨٠؛ أبونا، م. س.، ص٤٣٤.
(٢) ميخائيل الكبير، م.س.، ١/ ٣٢، ٤٩، ٢٤٩، ٢٨٢.

التركيز على المراجع الأخرى. وفيما يلي ثبت بمراجعه التاريخيّة، مع دراسة تحليلية لها.

مصادر تاريخ ميخائيل السريانيّ

يأتي ميخائيل السريانيّ في تاريخه على ذكر أسماء المؤرّخين الذين نقل عنهم جلّ أخباره. ومن بين هؤلاء مَنْ كَتَبَ باليونانيَّة والسريانيّة والفارسيَّة. لذا قسمنا هذه المصادر إلى قسمين:

أوّلاً: مصادره باللُّغة اليونانيَّة

أ: فلافيوس يوسيفوس

فلافيوس يوسيفوس (باللاتينيَّة: Josephus Flavius) أو يوسيببوس أو باسمه العبريّ الأصليّ يوسف بن ماتيتياهو (יוסף בן מתתיהו) (١٠٠ ـ ٣٨ للميلاد تقريباً). كان أديباً مؤرّخاً وعسكريّاً يهوديّاً، عاش في القرن الأوّل للميلاد. اشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهودا والتمرّد اليهوديّ على الإمبراطوريّة الرومانيّة، والّتي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأوّل للميلاد، وانهيار مملكة يهوذا، وظهور الديانة المسيحيّة، والتغييرات الكبيرة في اليهوديَّة بعد فشل التمرد بالرومان ودمار هيكل هيرودس[١].

اعتمد ميخائيل السريانيّ على مؤلفات يوسيفوس، وخصوصاً في الفقرات الّتي يناقش فيها موضوعات التاريخ الدينيّ، وعلوم الكتاب المقدَّس، من الخليقة إلى خراب بيت المقدَّس في العام ٧٠م[٢]. ومن هذه المؤلّفات:

---

(١) W. Wright, *Short History Of Syriac Literature*, 267.

(٢) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ٠٩٣.

١ : الحروب اليهوديَّة

هو مؤلّف ضخم، صنّفه المؤرّخ على الأرجح بالآراميَّة، وترجمه فيما بعد إلى اليونانيَّة ما بين العام ٧٧/ ٧٨م[١]. تبتدئ هذه المجموعة بمقدّمة مُسهبة، تتناول الأحداث التاريخيّة من فترة حكم أنطيوخوس إبيفانيوس[٢] (١٧٥ ـ ١٦٣ق.م) إلى زمن نشوب الحرب اليهوديَّة في فلسطين. أما الجزء الأخير من هذه المجموعة، فيُعدّ مشاهدات عيانية شخصيّة لأحداث زمانه، بالإضافة إلى اعتماده كتّاباً آخرين[٣].

لا تخلو مجموعة يوسيفوس من بعض التحيّز، فمع أنه يتعهد بحياد تام في مقدّمة تاريخه، يبقى مصنّفه مدوناً من زاوية معينة، ومن وجهة نظر رجل يهودي يؤرّخ أحداث قومه. لذا تراه يحذف كليّاً، أو يقلّل من أهميَّة بعض الأحداث الّتي من شأنها أن تُثير حفيظة الرومان، كحركة المقاومة الّتي أثارها حزب المتعصّبين zealots والدعوة إلى تجديد الآمال بمجيء المسيح.

٢ : أخبار اليهود القديمة.

انتهى المؤلف من كتابته في العام ٩٤م، بعشرين جزءاً[٤]. فيأتي على ذكر تاريخ الأُمَّة اليهوديَّة منذ بداية الخليقة إلى نهاية الحرب اليهوديَّة الرومانيّة واندحار اليهود[٥]. ويتكئ يوسيفوس في تدوين أحداثه الدينيّة من القرن الرابع قبل الميلاد، في أكثر الأحيان على ما جاء في الكتب

(١) كيرلس، تاريخ الفكر المسيحيّ عند آباء الكنيسة، ص١٥٠.
(٢) حبي، التواريخ السريانيّة، ص١٥.
(٣) W. Wright, *op.cit.*, 267.
(٤) طرازي، عصر السريان الذهبيّ، ص٨٤.
(٥) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢١.

المقدّسة. أما بالنسبة إلى الفترة الّتي تعقب القرن الرابع ما قبل الميلاد، فيعتمد كليّاً على حوليات ديونيسيوس هاليكرناسوس Dionysius Halicarnasus (القرن ٧ ق. م) المعروفة بـ«الأخبار الرومانيّة».

ب: أوسابيوس القيصريّ

يُعدّ أوسابيوس القيصريّ أبا التاريخ الكنسيّ ومؤسّس فكرة نشر أقوال الآباء وكتاباتهم[١]. يُعدّ عمله «التاريخ الكنسيّ» أساساً قامت عليه مدرسة المؤرِّخين الكنسيّين في العالم كلّه[٢]، على الرّغم من اتجاهاته شبه الأريوسية[٣]، وبعض الأخطاء التاريخيّة. وُلد في العام ٢٦٣م في

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/٣٢، ٤٩، ٢٤٩؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص١٥، ١٧، ٣٧.

(٢) القيصري، تاريخ الكنيسة، ص١٩؛ طرازي، عصر السريان الذهبيّ، ص٨٤.

(٣) الآريوسيَّة، مذهب مسيحي وإحدى الطوائف الّتي لم يَعُد لها وجود في الوقت الراهن. تنسب إلى آريوس (نحو ٢٥٠ ـ ٣٣٦م)، أحد كهنة الإسكندريَّة. تتمحور تعاليمها المختلفة عن سائر الطوائف في علاقة أقانيم الثالوث الأقدس بعضها ببعض، وطبيعة هذه الأقانيم. في العام ٣٢٥م عُدّ آريوس هرطوقاً في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور قسطنطين، وكان قد دين قبلها في مجمع محلّي عقد في الإسكندريَّة في العام ٣١٦، ومجمع محلي آخر عقد في إنطاكية في العام ٣٢٠. لكنَّ هذه الإدانة لم تكن نهائية إذ تمت تبرئة آريوس في العام ٣٣٥م في مجمع محلي عقد في صور، إثر اعترافه بصيغة قانون الإيمان الخاص بمجمع نيقية: موجود مع الآب قبل كلّ الدهور، وإن لم يناقش أو يذكر تتمة هذه العبارة: مساوٍ للآب في الجوهر. ظهرت خلال هذه الفترة مرحلة جديدة من الآريوسية أطلق عليها اسم نصف الآريوسية. قام مجمع القسطنطينية الأوَّل في العام ٣٨١م بوضع حرم نهائي على أي شكل من أشكال الآريوسية. إن تأخر الإدانة النهائية للآريوسية يعود بشكل أساسي للأباطرة الذين توالوا على عرش الإمبراطوريَّة البيزنطيّة من ٣٢٥ إلى ٣٨١م، إذ إنَّ كلّاً من قسطنطين الثاني وفالنس كانا آريوسيين أو شبه آريوسيين. وعلى الرّغم من أنّ الآريوسية قد انقرضت من الشرق في أعقاب مجمع القسطنطينية الأول، فإنها ظلت في الغرب وخصوصاً في ألمانيا وبعض مناطق البلقان نتيجة فرضها من قبل ملوك القوط الشرقيّين على القبائل الواقعة تحت حكمهم، ولم تندمج في بنية الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة إلّا تدريجياً وبحلول القرن=

قيصريّة فلسطين، الّتي كانت مركزاً مهمّاً للعلم والمعرفة. فقد أسّس العلاّمة أوريجانوس مدرسته فيها بعد تركه الإسكندريَّة[1]. واهتمّ بمفيليوس[2] بتأسيس مكتبة تقوم على مؤلّفات معلّمه أوريجانوس الذي كان يكرمه جدّاً، ساعده في ذلك تلميذه أوسابيوس. وقد دعا نفسه أوسابيوس بمفيليوس باعتبار الأخير أباه الروحيّ. وفي العام ٣١٠م استشهد بمفيليوس في السنة السابعة من اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس[3]. كَتَبَ أوسابيوس سيرة أبيه الروحيّ، أما هو فقد هرب إلى صور ومنها إلى طيبة في بريّة مصر، حيث قُبض عليه وسُجن.

=الثامن. خيّاطة، الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص٨١؛ ابن حزم، الملل، ص٢٧.

(١) القيصري، م. س.، ص٢١؛ ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ٣٢، ٤٩، ٢ ٧، ٤٢؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص١٥، ١٧، ٣٧.

(٢) القديس بامفيليوس أو بمفيليوس Pamphilus، من مواطني بيروت، ولد نحو العام ٢٤٠ م، وتلقّى تعليمه في مدينة الإسكندريَّة على يدي العلامة أوريجينوس. نبغ في المعرفة الروحية ودراسة الكتاب المقدَّس حتى دعاه أوسابيوس القيصريّ «أوريجينوس الصغير». ذهب إلى قيصرية فلمع نجمه جداً، وعُرضت عليه مراتب عالية لكنَّه كان يزهد في مراكز العالم وغناه. وزَّع أمواله على الفقراء وكرَّس حياته للدراسة والحياة المقدَّسة النسكية، فاختير كاهناً بقيصرية فلسطين. وإذ شعر بحاجة الكهنة إلى الدراسة أنشأ مكتبة دينية ضخمة، قيل إنها ضمّت ٣٠٠٠ مجلد انتفع بها الكثيرون وخصوصاً أوسابيوس القيصري. في أيام الإمبراطور دقلديانوس، قتل القديس بمفيليوس وقُطع رأسه ومعه ١١شخصاً. عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص١٢٦.

(٣) دقلديانوس: ولد في العام ٢٤٥م في مدينة سالونا بكرواتيا، وكان أبواه فقيرين. كان يعمل في اسطبلات الإمبراطوريَّة كسائس للأحصنة. انضم إلى طبقة الفرسان ووصل إلى رتبة دوق (أي قائد الفرسان) في ولاية ميسيا، ثم أصبح قائد قوات الحرس الإمبراطوري الخاص وهي من الوظائف الخطرة، وتجلت كفاءته العسكريّة في حرب فارس. بعد موت الإمبراطور نوريانوس (٢٨٣ ـ ٢٨٤ م) اعتُرف به بأنَّه أجدر شخص بعرش الإمبراطوريَّة. كان عصر دقلديانوس نقطة تحوّل في التاريخ القديم من عصر الإمبراطوريَّة الرومانيّة إلى العصر البيزنطيّ. عندما اعتلى دقلديانوس عرش الإمبراطوريَّة الرومانيّة في العام ٢٨٤م حاول=

يأتي تاريخ أوسابيوس القيصري في رأس لائحة مصادر ميخائيل السريانيّ في كتابه السريانيّ. فهو ينقل عنه الكثير من الأحداث، وخصوصاً الّتي يغلب عليها الطابع الدينيّ، أو تلك الّتي لها علاقة قريبة بتاريخ الكنيسة المسيحيّة الأولى(١).

يُعدّ تاريخ أوسابيوس (٢٦٤ ـ ٣٤٠م) من أهم الوثائق التاريخيّة الّتي وصلتنا عن العصر الرسوليّ، وإلى زمان المؤرّخ(٢). أما أسلوب الكتاب، فلا يختلف كثيراً عن بقيَّة كتابات أوسابيوس، لكنَّ على الرّغم من ضعف عباراته، وعدم سلاسة طريقته، فإنّه يحوي مادة مهمّة جداً، وخصوصاً ما نقله عن قدامى المؤرّخين الذين ضاعت أكثر مؤلّفاتهم(٣).

يكشف أوسابيوس عن غايته من وضع هذا التاريخ بقوله: «إنّ غايتي هي كتابة وصفٍ لتاريخ الرُّسُل القدّيسين والحقبات الّتي مضت من أيّام مُخلّصنا إلى أيامنا هذه، وسرد الحوادث الكثيرة الهامّة الّتي حدثت في تاريخ الكنيسة، وذكر أولئك الذين تولّوا إدارة ورئاسة الكنيسة في أهم الأبرشيات»(٤).

يقع تاريخ أوسابيوس في عشرة كتب. ثلاثة منها تضم أحداث زمان المؤلّف، وقد أسهب في ذكرها كثيراً. أما البقيَّة فتنتهي في حدود العام ٣٠٣م بنهاية الكتاب السابع(٥). وضع تاريخه باللُّغة اليونانيَّة، لكنَّه ترجم

=إدخال بعض الإصلاحات بدمج ولايات وتقسيم ولايات أُخَر. وكان مكسيميانوس شريك دقلديانوس في حكم الغرب. عطية، م.ن.، ص١٧٧.

(١) ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص٥، ٧، ٣٧.

(٢) القيصري، تاريخ الكنيسة، ص٩؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٩٧.

(٣) القيصري، م. س.، ص٢.

(٤) عطية، م. س.، ص٢١.

(٥) كيرلس، تاريخ الفكر المسيحيّ عند آباء الكنيسة، ص٤٢٤.

إلى اللاتينيَّة والسريانيّة والأرمنيّة بعد زمن المؤلف لشهرته الواسعة. ونُقل أخيراً إلى العربيّة[1].

إلى جانب مجموعته هذه، لأوسابيوس كُتُبٌ تاريخيّةٌ أُخَر نذكر منها «تاريخ شهداء فلسطين»، «تقارير عن الاضطهاد الذي أثاره ديوقلطيانوس» ٣٠٣ ـ ٣١٠م، «الخرونيقون»، «سيرة الإمبراطور قسطنطين». وقد اعتمد ميخائيل قسماً من هذه التواريخ أيضاً، ولا سيّما كتاب «الخرونيقون» الذي صار دستوراً لكتّاب السريان فيما بعد[2].

ج: بناريون إبيفانيوس

ولد بقرية بيت صدوق، في غزّة بفلسطين ما بين ٣١٠ ـ ٣١٢م، من أبوَيْن مسيحيّين. ويرى بعضهم أنهما كانوا من أصول يهوديّة. توجّه إبيفانيوس إلى الإسكندريَّة في سنٍّ صغيرة للدراسة مدة قصيرة، وتعرّف في مصر إلى رُهبان الأديرة النسّاك، وشاركهم سنوات عديدة حياتهم النسكيّة وصراعهم ضدّ الآريوسية، وشارك بعضهم موقفهم ضدّ تعاليم أوريجانوس وعدم ارتياحهم للفلسفة اليونانيَّة. لكنَّ الأهمّ من ذلك كله، أنّه تعلّم في الإسكندريَّة واقتنع تماماً بتعاليم القدّيس أثناسيوس الرسوليّ اللاهوتيَّة، معتبراً إيّاه طوال حياته أنّه هو مقياس التعاليم الأرثوذكسيَّة . لا نعرف متى رجع إلى موطنه الأصلي وقريته بيت صدوق الّتي أسس فيها ديراً وصار فيه قسّيساً. كان إبيفانيوس يتحدث ويكتب باللُّغة اليونانيَّة الّتي تعلّمها في المدرسة، وباللُّغة القبطية الّتي سمعها من الرُّهبان في مصر، وبالسريانيّة الّتي كانت لغته الأم. بالإضافة إلى ذلك كان يعرف العبريّة وبعض اللاتينيَّة، ولهذا فقد أطلق عليه صديقه جيروم أو

---

(١) طرازي، عصر السريان الذهبيّ، ص٨٤.

(٢) عطية، م. س.، ص١٧٨.

ايرونيموس لقب: ذو الخمسة ألسنة. ويرد في ثبت مراجع ميخائيل السريانيّ، تاريخ إبيفانيوس ٣١٥ ـ ٤٠٣م الذي أطلق عليه اليونان اسم «panarion» بناريون، وعرف فيما بعد بـ«تفنيد الهرطقات»[١].

في هذا الكتاب، يقدّم المؤرِّخ وصفاً دقيقاً لكلّ الهرطقات الّتي عرفت منذ ابتداء الكنيسة المسيحيّة وإلى أيّامه. ويشرع في القسم الأخير في تفنيدها واحدة واحدة، ببراهين كثيرة يستمدّها من الكتاب المقدَّس، أو الفلسفة، أو المنطق أو التاريخ. ويحتوي، إلى جانب الحقائق التاريخيّة، على الكثير من الأساطير والأخبار، أوردها لدعم وجهات نظره في هذه الدفاعات.

د: تاريخ أفريقيانوس

ومن بين المصادر الّتي يستند إليها ميخائيل السريانيّ في تاريخه، تاريخ أفريقيانوس ذائعُ الصيت[٢]. اشتهر هذا المؤرِّخ بكتبه المسماة «سيستي»[٣]، ومن أطرف رسائله الموجودة اليوم، رسالته التاريخيّة الّتي أنفذها إلى أوريجانوس الإسكندري ٢٥٤م بيّن فيها شكوكه في رواية سوسنة الواردة في أحد الكتب المقدَّسة غير القانونية، ويُعدّها مُلفقة، لا تمتّ إلى دانيال النبيّ بأي صلة[٤].

وصلت إلينا من مؤلّفات أفريقيانوس خمسة كُتُب في التاريخ، اعتمدها ميخائيل في منتهى الدقّة والضبط والترتيب، ورسالة بعث بها إلى أرستيد يردّ فيها على التناقض المزعوم بين روايتي إنجيل متّى ولوقا

(١) ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص٣٧ ـ ٥٧.
(٢) W. Wright, *Short History Of Syriac Literature*, p.75.
(٣) القيصري، تاريخ الكنيسة، ص١٨٨.
(٤) القيصري، م. ن.، ص١٨٨.

في جدول سلاسل أنساب المسيح، ويبيّن فيها بوضوح مدى الاتفاق التام بين الإنجيلين، معتمداً وثيقة قديمة كانت في حوزته[١].

ثانياً: مصادر تاريخ ميخائيل السريانيّة

أ: تاريخ زكريّا الفصيح

وينسب هذا المؤلَّف إلى مؤرِّخ سريانيّ مغمور. وقد اشتمل على جزءٍ كبيرٍ من مجموعة التواريخ الكنسيّة الّتي ألفها زكريّا الفصيح (٥٣٦م) أُسقف جزيرة مدللي[٢]. ضاع أصل هذا التاريخ باللُّغة اليونانيَّة، وبقيت ترجمته السريانيّة فقط[٣].

تنقسم هذه المجموعة النفيسة إلى اثني عشر باباً أو كتاباً، حوت معلومات مهمّة، ووثائق نادرة، وقصصاً مختلفة، كقصّة أهل الكهف، وخبر مقتل الشهداء الحميريّين في اليمن، ووصف أبنية مدينة روما وزخارفها، إلى جانب تاريخ موجز لكنيستي مصر وسوريا في القرنَيْنِ الخامس والسادس[٤].

تشغل مادة هذا الكتاب في مجموعة ميخائيل السريانيّ، كامل الحقبة الممتدة من الباب الثالث حتى السادس، حسب النقل السريانيّ لهذا الكتاب، أي من سنة ٤٥٠ إلى ٤٩١م. وعندما يتحدث ميخائيل عن أحداث المجمع الرابع المنعقد في مدينة خلقيدونيا في العام ٤٥١م،

---

(١) القيصري، م. ن.، ص١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٢٣٢؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٢٣٠.

(٣) السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ٢/ ٥٥؛ كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٨٥؛ أبونا، م. س.، ص٢٣٢؛ برصوم، م. س.، ص٢٣٠.

(٤) السمعاني، م. س.، ٢/ ٥٥؛ كامل، م. س.، ص١٨٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٣٢؛ برصوم، م. س.، ص٢٣٠.

ينقل حرفياً ما جاء في تاريخ زكريا في الباب الثالث. ويُعدّ زكريا أدقّ من كَتَبَ عن تفاصيل ما وقع في المجمع المذكور، لنقله عن مصدر يوناني، دوّنه كاتبٌ مشهورٌ، كان يقوم بخدمة الإمبراطور مرقيانوس الذي أمر بعقد المجمع وأشرف على جلساته[(١)].

ب: يوحنا الأفسسيّ أو الآسيويّ ٥٠٧ ـ ٥٨٥م

وُلد يوحنّا في قرية أجل بالقرب من مدينة آمد بديار بكر نحو العام ٥٠٧م، ولما بلغ السنة الأولى من عمره، أُصيب بمرض كاد يودي بحياته[(٢)]. انضمّ إلى رهبان دير يوحنّا الأورطي في شمال آمد. وكان هذا الدير قد أُنشئ في أواخر القرن الرابع، وفي سنة ٥٢٩م، ولكن سرعان ما وقعت موجات الاضطهاد، فاضطرّ إلى مغادرة مدينة آمد بصحبة معظم رهبان ديره، بأمر أفرام بطريرك انطاكية وإبراهيم بركيلي أُسقف مدينة آمد. فنراه في العام ٥٣٢م في انطاكية، وفي العام ٥٣٤م في مصر. وفي العام ٥٣٥م، عندما أمر يوستنياس باستدعاء جميع الرؤساء المونوفيزيين إلى الحاضرة لحجزهم عنده، وصل يوحنا آنذاك إلى الحاضرة البيزنطيّة في ظروف غامضة، وكان له إذ ذاك نحو ثلاثين سنة. وفي العام ٥٤٢م عهد إليه يوستنياس الإمبراطور إرجاع الوثنيين في آسيا الصغرى[(٣)]، لذا كان يلقب بمعلّم الكفرة ومحطّم الأوثان[(٤)].

---

(١) كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٨٥؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميّة، ص٢٣٢.

(٢) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ٢٧٧؛ السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ٢/ ٨٣؛ كامل، م. س.، ص١٧٩؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.

(٣) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ٢٧٧؛ السمعاني، م. س.، ٢/ ٨٣؛ كامل، م. س.، ص١٧٩؛ برصوم، م. س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.

(٤) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ٢٧٧؛ كامل، م. س.، ص١٧٩؛ برصوم، م. س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.

وضع يوحنّا كتابه الشهير «التاريخ الكنسيّ» في النصف الثاني من القرن السادس، والكتاب وثيقة ذات أهميَّة كبرى، على الرّغم ممَّا يتخلله من الشوائب في التركيب، والأسلوب المسهب غير المصقول، والتعابير الدخيلة وعدم مراعاة الترتيب الزمنيّ[١]. وهو أقدم تاريخ كنسيّ وصلنا من السريان المونوفيزيين[٢]. يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء. يروي الجزآن الأوَّليان منه ـ ويحتوي كلّ منهما على ستة أبواب أو أسفار ـ الأحداث الّتي جرت منذ عهد يوليوس قيصر إلى السنة السابعة من حكم يوستنياس الثاني أي سنة ٥٧٢م. أمّا الجزء الثالث، وهو أيضاً في ستّة أبواب أو أسفار، فيتوقف عند سنة ٥٨٥م، وقد كَتَبَ يوحنّا فصوله الأخيرة وهو في سجن خلقيدونية، حيث توفّي بعد زمن قليل. لكنَّ الجزء الأوَّل من هذا التاريخ النفيس قد فقد. أما الجزء الثاني فجاءت قطع عديدة منه في مخطوطتين من المتحف البريطاني[٣]، وقد نشرهما لاند في ليدن في العام ١٨٦٨م، وجاء منقولاً حرفياً في المجموعة المنسوبة إلى الراهب الزوقنيني تاريخ ديونيسيوس المنحول. أما الجزء الثالث فقد وصل إلينا مع بضع صفحات ناقصة، في مخطوطة وحيدة ترقى إلى القرن السابع، نشرها أوَّلاً كيوريتون في أكسفورد في العام ١٨٥٣م، وترجمها إلى الإنكليزية باين سميث في العام م١٨٦٠، وإلى الألمانيَّة شونفلدر في العام ١٨٦٢م[٤]، وهي تبدأ من سنة ٥٧١م إبّان

---

(١) كامل، م.س.، ص١٧٩؛ برصوم، م.س.، ص٣٢٩.

(٢) كامل، م. س.، ص١٧٩؛ أبونا، م.س.، ص٢٢٩.

(٣) المخطوطة اللندنية المرقمة ١٤٦٤٧ لسنة ٦٨٨ و١٤٦٥٠ لسنة ٨٧٥. رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٣.

(٤) ميخائيل السريانيّ، م.س.، ١/ ٢٧٧؛ ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص١٩٥؛ السمعاني، م.س.، ٢/ ٨٣؛ كامل،. م. س.، ص١٧٩؛ برصوم، م.س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.

الاضطهاد الذي شنّه يوستنياس الثاني على المونوفيزيين، فلا غرابة، والحالة هذه، إذا وجدت فيها أخطاء تاريخيّة، بسبب الظروف القاسية الّتي اجتازها يوحنّا، إذ كان يُجبر أحياناً على الكتابة بسرعة وتحت الضغط الشديد في غياهب السجون. وقد اعتذر هو نفسه عن هذه الأخطاء في الفصل الخمسين من الكتاب الثاني. ونشر بروكس هذا الجزء الثالث مع ترجمته اللاتينيَّة. وفي هذا التاريخ يظهر يوحنّا بمظهر مؤرِّخ حقيقيّ، ولكنَّه يرى الأمور من الوجهة المونوفيزية، مهما حاول أن يكون نزيهاً[١].

وفي العامين ٥٦٦ ـ ٥٦٨م جمع يوحنّا سِيَر القديسين الشرقيّين. وهذا أيضاً كتابٌ يكاد يساوي في الأهمية كتاب «التاريخ الكنسيّ»، ويضمّ ٥٨ سيرة حياة أشخاص أتقياء من أساقفة ورهبان وراهبات ينتمون جميعهم إلى المذهب المونوفيزي، وهم من معاصري المؤلف وأغلبيتهم ممّن عرفهم شخصياً.

وهذه القصص الّتي كُتبت على مِنْوال ما جاء في بلاديوس وتيودوريطس، لا تتسم بطابع نقديّ، ولكنها زاخرة بتفاصيل دقيقة وغريبة عن أعمال النسّاك وممارستهم للفضيلة، وعن العادات المتبعة في الأديرة في ذلك العهد. وقد نشر لاند هذا الكتاب في العام ١٨٦٨م، وقدّم له بروكس طبعة جديدة مع ترجمة إنكليزية في العام ١٩٢٣. وكان فان دوفن قد نقله إلى اللاتينيَّة في العام ١٨٨٩م، ونشر القسّ يعقوب منها فَصْلَيْنِ من تاريخ يوحنّا في كتاب «المروج النزهيّة»[٢].

تشغل مادة هذا الكتاب في مجموعة ميخائيل السريانيّ، كامل الحقبة

---

(١) كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٧٩؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٢٢٩.
(٢) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٣٤.

الممتدة من الباب الثالث حتى السادس، بحسب النقل السريانيّ لهذا الكتاب، أي من سنة ٤٥٠ إلى٤٩١م. وعندما يتحدث ميخائيل عن أحداث المجمع الرابع المنعقد في مدينة خلقيدونيا في العام ٤٥١م، ينقل حرفياً ما جاء في تاريخ زكريا في الباب الثالث، ويعتبر يوحنا أدقّ من كَتَبَ عن تفاصيل ما وقع في المجمع المذكور، لنقله عن مصدرٍ يونانيّ، دوّنه كاتب مشهور[(١)].

ج: يعقوب الرُهاوي ٦٣٣ ـ ٧٠٨م

هو أخصب كاتب في الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيَّة في القرن السابع، وقد اشتهر في عدّة مجالات: فهو لاهوتيّ كبير وفيلسوف قدير ومؤرِّخ شهير ومفسّر ونحويّ[(٢)]. وأهمّ مصدر لمعرفة تاريخ حياة يعقوب الرَّهاويّ لمحة لا يُعرف مؤلّفها، وردت في تاريخ ميخائيل السريانيّ وأوجزها ابن العبريّ في تاريخه الكنسيّ[(٣)]. ولد يعقوب في قرية عيندابا القريبة من انطاكية في العام ٦٣٣ تقريباً[(٤)]، وكان له من العمر ٧٥ سنة عندما وضع الكتاب الخامس من مؤلفه «هكساميرون» أي الأيام الستة، وذلك قبيل وفاته بأشهر قليلة[(٥)].

كتاباته: في مقدّمة أعماله يأتي عمله في تصحيح الترجمة البسيطة للعهد القديم، وهو أوَّل أعمال ضبط الكتاب المقدَّس لدى السريان الأرثوذكس[(٦)]، فقد قسّم الكتاب إلى فصول، وأصدر كلّ فصل منها

---

(١) كامل، م.س.، ص١٧٩؛ برصوم، م.س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م.س.، ص٢٢٩.
(٢) كامل، م. س.، ص١٧٩؛ برصوم، م. س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.
(٣) كامل، م. س.، ص١٢٣؛ برصوم، م. س.، ص٨٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٥٨.
(٤) كامل، م. س.، ص١٢٥؛ برصوم، م. س.، ص١٧٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٨٩.
(٥) كامل، م. س.، ص١٢٦؛ برصوم، م. س.، ص١٨٤؛ أبونا، م. س.، ص٢٨٩.
(٦) ينظر: كتابات يعقوب الرَّهاويّ وما كتبه المطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم في مقدمة=

بمضمون وجيز معلّقاً على الهوامش مبيّناً فوارق النقول اليونانيّة والسريانيّة، وموضحاً لفظ الكلمات الصحيح. وقد وصل إلينا من هذا التصحيح الأسفار الخمسة الأُولى من الكتاب المقدّس وسفر صموئيل الأوّل والثاني وأشعيا ودانيال مع شيء من النقصان. أما من بقيّة الأسفار فلم يصلنا إلّا القليل. وقد نشر المستشرقون ما استطاعوا الوقوع عليه من حواشي هذا الكتاب الّتي جاءت في مجموعة الراهب ساويرا أو في غيره من المفسّرين. وهناك مخطوطة من القرن السابع عشر تنسب إليه مقالة في موانع الزواج، إلّا أنّ نسبتها إليه مشكوك فيها[1].

أمّا تاريخه فينقسم إلى المجموعة النفيسة إلى اثني عشر باباً، أو كتاباً، حوت معلومات مُهمَّة، ووثائق نادرة، وقصصاً مختلفة، كقصّة أهل الكهف، وخبر مقتل الشهداء الحميريين في اليمن، ووصف أبنية مدينة روما وزخارفها، إلى جانب تاريخ موجز لكنيستي مصر وسوريا في القرنين الخامس والسادس.

ابتدأه بالسنة العشرين للإمبراطور قسطنطين الكبير حتى العام ٢٩٦م[2]. ثم ذيّل كاتب مجهول هذا الكتاب بخاتمة تمتدّ إلى العام ٧١٠م، أي إلى ما بعد وفاة المؤرِّخ نفسه في العام ٧٠٨م[3]. بقي من الكتاب ٦٧ صفحة، نشرها المستشرق بروكس بالسريانيّة.

=ترجمة الأيام الستة إلى العربيّة، وقام بهذه الترجمة مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس مار غريغوريوس. صليبا شمعون، ونشرها في حلب سنة ١٩٩٠.

(١) كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٣٧؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٢٩؛ أبونا، أدب اللّغة الآراميّة، ص٢٤٨.

(٢) Wigram, w.A, *The Assyrian Church*, p.115.

(٣) ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص١٧٢؛ كامل، م.س.، ص١٧٩؛ برصوم، م. س.، ص٣٢٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.

وفي دراسة دقيقة لمصادر تاريخ ميخائيل السريانيّ، تبيّن أنه استمد معظم مواده للأحداث الممتدة من العام ٥٨٢ إلى ٧٢٦م من يعقوب الرُهاوي.

أما أبو الفرج الملطي، فقد اختلف في اقتباساته عن ميخائيل، إذ إنّه يقتبس عندما يجد الحاجة إلى إثبات حادثٍ ما، أو نظرة مختلفة عن غيره من المؤرِّخين.

د: لعازر آل قنداسا

وُلد لعازر في مطلع القرن الثامن وترهّب في جبل الرُّها[(١)]. وفي نحو العام ٧٧٣م كَتَبَ شرحاً للعهد الجديد هو أشبه بمجموعة منه بشرح شخصيّ، ووضع شرحاً لرسائل القديس بولس، وهو موجز لما جاء في كتابات القدّيس يوحنا. وبحسب اللائحة الّتي وردت في هذا الشرح، كان المؤلف يعيش حتى عهد الخليفة المهدي العباسيّ. أما عن تفسير إنجيلي يوحنّا ومرقس، فيظن صاحب «اللؤلؤ المنثور» مع بومشترك، ضدّ رايت ودوفال وشابو، أنّ كاتب هذا الشرح هو ملكيّ حرّاني يُقال له الحارث بن سيسن من سنباط أو حران. ويظن أن لعازر قد استقى تفاسيره عامّة من عدة مؤلفين شهيرين، من بينهم يعقوب السروجيّ وقورلس الإسكندري والقدّيس أفرام، وحتى من تيودورس المصّيصيّ[(٢)].

هـ: البطريرك ديونيسيوس الأوّل التّلمحريّ

وُلد ديونيسيوس متحدراً من بيت رُهاويّ في الربع الأخير من المئة الثامنة من بلدة تلمحرة. تلقى علومه في البداية في دير قنّسرين. ولمّا

---

(١) برصوم، م. س.، ص٣٩٧ ـ ٣٩٩؛ أبونا، م.س.، ص٢٢٩.

(٢) برصوم، م. س.، ص٣٩٧ ـ ٣٩٩؛ أبونا، م. س.، ص٢٣٠.

أحرق هذا الدير في العام ٨١٥م، انتقل ديونيسيوس إلى دير مار يعقوب، بالقرب من بلدة كيسوم، ومكث ثلاث سنوات. ومن هناك دعاه مجمع المطارنة الذي عُقد في العام ٨١٨م، بعد موت البطريرك قرياقوس، وأقامه خلفاً له، وهو لم يكن آنذاك سوى راهب مبتدئ. فبدأ يعيش حياة مضطربة وسط مصاعب جمّة مثل سلفه، وزار الخليفة العباسيّ المأمون ثلاث مرات في بغداد ومصر، والمعتصم مرّة واحدة.

اشتغل كثيراً في إقامة الكنائس ورسامة المطارنة وإدارة الأبرشيات إلى أن وافته المنيّة في ٢٢ آب ٨٤٥م، وجاءت حياته كاملة في كتابات ميخائيل السريانيّ الكبير(١).

كتاباته: صنّف ديونيسيوس التّلمحريّ تاريخاً يُعدّ من أبرز مصنّفاته، أرّخ به لأحداث مئتين وستين سنة، من بداية حكم الإمبراطور موريقي إلى موت ثاوفيلس الرومانيّ، والخليفة المعتصم، أي من سنة ٥٨٣ إلى ٨٤٣م. يتألف الكتاب من ستة عشر باباً، منقسماً إلى جزءَيْنِ كبيرَيْنِ، يحتوي كلّ جزء على ثمانية أبواب، تتوزّع بدورها على فصول. وقد صنّفه نزولاً عند رغبة العلامة إياونيس مطران دارا(٢).

نقل ميخائيل السريانيّ الكثير من أخباره عن تاريخ ديونيسيوس وخصوصاً عن حقبة الحُكم الأمويّ وجزءٍ من تاريخ الحكم العباسيّ(٣).

نال تاريخ ديونيسيوس إعجاب مؤرّخي السريان قاطبة، وعدّوه من أدقّ التواريخ السريانيّة في القرن التاسع الميلاديّ، وأغزرها مادّة،

---

(١) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ١٤٥؛ برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٠٢؛ أبونا، أدب اللّغة الآراميّة، ص٣٥٥.

(٢) برصوم، م. س.، ص٤٢٣؛ أبونا، م. س.، ص٣٥٤.

(٣) برصوم، م.س.، ص٤٢٩؛ أبونا، م.س.، ص٣٥٥.

وأكثرها اعتماداً على المراجع الأصلية القديمة. وقد نقل ميخائيل السريانيّ صفحة كاملة عن تاريخ ديونيسيوس التّلمحريّ فيها سجل بجميع مراجعه. وتعدّ هذه الصفحة أطول بيبليوغرافيا وصلت إلينا بهذا التنظيم في المصادر التاريخيّة لدى السريان. فيذكر من مراجعه أوسابيوس القيصري، وأندرونيقوس، وأفريقيانوس، وجورجي الركتي، ويوحنا الأنطاكيّ، للتاريخ العام، وسقراطيس، وزوزيموس، وتاودوريطس القرشيّ، وزكريّا الفصيح، ويوحنّا الآسيويّ، وقورا البطنانيّ، ويعقوب الرُهاوي، ويوحنّا اليثربيّ، ودانيال الطورعبديني، ويوحنّا بن شموئيل، وتاوفيلوس الرُهاوي، وتوادوسيوس مطران الرها، للتاريخ الكنسيّ[1].

و: خرونيقون يعقوب الرُهاوي

صحّح المؤرّخ الرياضيّ يعقوب الرُهاوي، تاريخ أوسابيوس القيصريّ المعروف بـ«الخرونيقون»، ونقله إلى السريانيّة، ونسج على منواله تأريخاً مختصراً للسنين، ابتدأه بالسنة العشرين للإمبراطور قسطنطين الكبير حتى العام ٢٩٦م[2]. ثمّ ذيّل كاتب مجهول هذا الكتاب بخاتمة تمتد إلى سنة ٧١٠م أي إلى ما بعد وفاة المؤرّخ نفسه في العام ٧٠٨م[3]. بقي من الكتاب ٦٧ صفحة، نشرها المستشرق بروكس بالسريانيّة.

وفي دراسة دقيقة في مصادر تاريخ ميخائيل السريانيّ، تبيّن أنّه استمدّ

(١) أبونا، م. س.، ص٣٥٤.
(٢) أبونا، م. س.، ص٣٥٥.
(٣) أبونا، م. س.، ص٣٥٥.

معظم مواده للأحداث الممتدة من سنة ٥٨٢ إلى ٧٢٦م من خرونيقون يعقوب الرُهاوي[١].

ز: تاريخ يوحنّا الأثاربيّ

ألف يوحنّا ٧٣٧م تأريخاً مختصراً سمّاه «تاريخ السنين» بالسريانيّة، فُقد قسمٌ كبيرٌ منه خلا ما دمجه ميخائيل السريانيّ في مجموعته التاريخيّة[٢]، وما اقتبسه أبو الفرج الملطيّ في تاريخ الأزمنة السريانيّ[٣].

ح: تاريخ ثاوفيلوس الرُهاوي

يذكر ميخائيل أن ثاوفيلوس الرُهاوي ٧٧٩م كان على مذهب الموارنة أحد المذاهب المسيحيّة الّتي تقطن في جبل لبنان[٤]. اشتهر بعلم الفلك، ونال حظوة لدى الخليفة العباسيّ المهديّ. ويرى أنه ألف كُتباً كثيرة في الفلك والأدب والتاريخ وترجمها، وقد ضاع معظمها كالإلياذة والأوديسا[٥] اللتين فُقدتا، إلّا مقاطع وردت في مؤلّف لسويريوس بن شككو.

ط: تاريخ جرجس أُسقف العرب

وُلد جرجس في منتصف القرن السابع. وتلقّى العلم في دير قنّسرين، وتضلّع في اللُّغة السريانيّة والعلوم الفلسفيّة والفلكيّة واللاهوتيّة. بعد

---

(١) أبونا، أدب اللُّغة الآراميّة، ص٣٥٥.
(٢) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٣، أبونا، م. س.، ص٣٤٥.
(٣) برصوم، م. س.، ص٣٩٣؛ أبونا، م. س.، ص٣٤٥.
(٤) برصوم، م.س.، ص٣٣٣؛ أبونا، م.س.، ص٣٦٠.
(٥) برصوم، م. س.، ص٣٣٣؛ أبونا، م. س.، ص٣٦٠.

موت البطريرك أثناسيوس البلديّ بشهرين، عُيّن جرجس أُسقفاً على القبائل العربيّة الواقعة بين سوريا وبلاد ما بين النهرين، وذلك في شهر تشرين الثاني ٦٨٦م[١]، لذا عُرف بأُسقف العرب[٢]. كتاباته: أكمل جرجس كتاب الأيّام الستة «هكساميرون» الذي بدأه يعقوب الرُهاوي وحالت المنيّة دون إنجازه. ونقل العالم ريسّل إلى الألمانيَّة الجزء الذي وضعه جرجس، ونشره في ليبسيك في العام ١٨٩١. ونقل جرجس كتاب «الأرغانون» لأرسطو، ووضع لكلّ باب منه مقدّمة وعلّق عليه. وكتب شروحاً لبعض أسفار الكتاب المقدَّس[٣]، ووردت إشاراتٌ إليها في سلسلة الراهب ساويرا وفي شرح ديونيسيوس بن الصليبي وفي «مخزن الأسرار» لابن العبريّ[٤]. ونقل ريسّل هذه الشروح أيضاً إلى الألمانيَّة ونشرها في ليبسيك في العام ١٨٩١م.

وشرح جرجس خُطب القديس غريغوريوس النزينزي[٥]، وله أيضاً شرحٌ في أسرار الكنيسة[٦]، وخطابٌ شعري في الميرون المقدَّس[٧]، ومقالة في الكلندار على البحر الاثني عشري[٨]، وقصائد أُخَر ذكرها صاحب اللؤلؤ المنثور[٩]. وقد وردت إشارة إلى قوانينه في كتاب

---

(١) برصوم، م. س.، ص٣٨٨؛ أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٢) وقد ذهب صاحب «اللؤلؤ المنثور» إلى القول أن مركز كرسيّه كان عاقولا الكوفة. ينظر: برصوم، م.س. ص٣٨٦.
(٣) برصوم، م. س.، ص٣٨٩؛ .
(٤) برصوم، م. س.، ص٣٩٠.
(٥) أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٦) أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٧) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩١.
(٨) أبونا، أدب اللّغة الآراميَّة، ص٣٤١.
(٩) برصوم، م. س.، ص٣٨٧.

«الهدى» لابن العبريّ[1]. أما رسائله فتشكِّل ديواناً يقع في ١٤٠ صفحة، وأهمها تلك الّتي وجّهها إلى القسّ إيشوع الحبيس في قرية بانب القريبة من حلب، وهي تحتوي على نقدٍ لاذعٍ لنظرية أفراهاط الّتي تميّز بين النفس والروح، وينتقد فيها تعليمه عن الروح القدس ونهاية العالم، ورسالة أخرى إلى ماري رئيس دير تلعدا، وهي ضدّ مذهب الأقنومين[2]، ورسالتان إلى يوحنّا المعمودي الأثاربي في الزمان والفلك، وأخرى إلى يوحنا نفسه في العام ٧١٥م، يشرح فيها ما جاء غامضاً في رسائل يعقوب الرُهاوي. وله رسائل أُخَر كثيرة[3]. وقد رجع إليه ميخائيل السريانيّ في تاريخه[4].

ي: تاريخ باسيليوس الرُهاوي المعروف بأبي الفرج بن شومنة

ألّف أبو الفرج بن شومنة كتاباً مسهباً لمدينة الرُّها، ابتدأ من الأزمنة القديمة حتى العام ١١٦٩م. وله إلى جانب هذا التاريخ الشامل للرُّها، نبذة تاريخيّة أخرى عن غزوات ملك الروم ايواني كومنين للشعوب القومانية، في الفترة الواقعة بين ١١١٨ و١١٤٤م.

أدخل ميخائيل السريانيّ جلّ ما ورد عن تاريخ مدينة الرُّها في تاريخه، كما استفاد ممّا كتبه أبو الفرج بن شومنة عن ملك الروم وغزواته وأعماله[5]. وما إن جاء أبو الفرج الملطيّ في القرن الثالث

(١) أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٢) برصوم، م. س.، ص٣٨٨؛ أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٣) برصوم، م.س.، ص٣٩١؛ أبونا، م.س.، ص٣٤١.
(٤) برصوم، م. س.، ص٣٨٨؛ أبونا، م. س.، ص٣٤١.
(٥) أبونا، م. س.، ص٤٢٣.

عشر، حتى عاد فأدخل إلى تاريخ الأزمنة فصلاً طويلاً عن سقوط مدينة الرُّها، منقولاً عن ابن شومنة وميخائيل السريانيّ[1].

ك: تاريخ ديونيسيوس بن الصليبي

وُلد يعقوب في مستهلّ القرن الثاني عشر في مدينة ملطيَّة، وكان أبوه يُدعى صليبا[2]، ومن ثمّ لقبوه بابن الصليبي، ولا نعلم شيئاً كثيراً عن حداثته[3]. ألّف مقالة في العناية الإلهيَّة ميّز فيها القصاصات الّتي ينزلها الله بالناس[4]. وكان لديونيسيوس الوقت الكافي ليعكف على الدرس والمطالعة والتأليف[5]، فاستغلّه بجدّ ونشاط حتّى توصّل إلى درجةٍ من العلم يمكننا معها أن نجعله في مصاف أكبر المؤلفين، أمثال يعقوب الرُهاوي وغيره، ولكنَّه لم ينعم طويلاً بالراحة والهدوء في أبرشيته، فما إن حلّ العام ١١٥٦م حتى أغارت عصابة أرمنيّة على مرعش وأعملت فيها الخراب والسلب والتشريد[6]. وقد استطاع ديونيسيوس أن يفلت منهم ويلجأ إلى دير كاسليود راجلاً. وبعد ذلك استطاع البلوغ إلى مسقط رأسه ملطيَّة، وكان هناك عندما استدعاه البطريرك المدنف وأراد أن يقلّده كرسي مطرافوليطيَّة آمد وديار بكر، غير أنّ ديونيسيوس رفض هذا العرض. وعندما توفّي البطريرك واجتمع الأساقفة لانتخاب خلفٍ له، كان ديونيسيوس أقوى معاضدي ميخائيل الكبير، وعمل لكَسْبِ تأييد المطارنة له، حتى تم انتخابه بطريركاً في العام ١١٦٦م، فألقى

---

(١) أبونا، م. س.، ص٤٢٣.

(٢) السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ١٥٦/٢.

(٣) أبونا، م. س.، ص٤٢٥.

(٤) السمعاني، م. س.، ٢٠٨/٢ ـ ٢٠٩.

(٥) أبونا، م. س.، ص٤٢٥.

(٦) أبونا، أدب اللُغة الآراميَّة، ص٤٢٦.

ديونيسيوس قصيدة عصماء أمام البطريرك الجديد لمناسبة تسلّمه الكرسي البطريركي[1]. وأعاد البطريرك الجديد عليه الطلب ليقبل كرسي آمد، فلبّى رغبته والتحق بالأبرشية الجديدة في العام ١١٦٧م. وكلّ ما نعلمه عن السنوات الأربع الأخيرة من حياته هو أنّه رمّم كنيسة والدة الإله في آمد، وأسّس فيها مدرسة كان يشرف على إدارتها كاتبه الخاص الشمّاس إبراهيم الذي يروي عنه ميخائيل أنه كان يتلقّى العلم من ديونيسيوس ويلقّنه للطلبة[2]. وفي شهر تشرين الثاني ١١٧٢م توفي ديونيسيوس[3]، ودفن جثمانه في الكنيسة الّتي رمّمها في آمد[4].

كتاباته: يعدّ ديونيسيوس بن الصليبي أخصب أُدباء زمانه وأجزلهم مادة[5]. أفاد الأدب السريانيّ فائدةً عظيمةً بكثرة المؤلفات الّتي خطّها يراعه، وتطرّق فيها إلى شتّى الموضوعات. ولقد تُرجمت معظم هذه الكتابات إلى العربيّة. ولنا لائحتان بمؤلفاته، جاءت الواحدة في تاريخ معاصره الكبير ميخائيل السريانيّ، والأخرى في المكتبة الشرقيّة للسمعانيّ.

شرح ابن الصليبي معظم أسفار العهد القديم وكلّ أسفار العهد الجديد حتى الرؤيا، وأعطى كلّ سفر تفسيرين: الأوّل لفظيّ، والآخر روحيّ. وأعطى المزامير تفسيراً ثالثاً وهو تفسير رمزيّ، ومنها ما يرجع فيه إلى النقل البسيط، ومنها إلى النقل السبعينيّ[6]. إلّا أنّ هذه الشروح مجموعة أكثر منها عمل شخصيّ.

---

(١) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٧٤.
(٢) برصوم، م.ن.، ص٣٨٠؛ أبونا، م.س.، ص٤٢٥.
(٣) أبونا، م. س.، ص٤٢٥.
(٤) أبونا، م. س.، ص٤٢٧.
(٥) برصوم، م. س.، ص٣٧٨.
(٦) أبونا، م. س.، ص٤٢٥.

وقد ورد أيضاً في لائحة مؤلفات ابن الصليبي كتابات أُخَر أهمّها:

١ ـ مختصر في اللاهوت، لم تصلنا منه أي مخطوطة كاملة، إنما يسمّيه في سياق شرحه لليتورجيا كتاب اللاهوت وسرّ التجسد، في الطبائع المعقولة والمحسوسة وفي أسرار الكنيسة(١).

٢ ـ إقرار الإيمان وشرح صورة إيمان نيقية وصورة الإيمان الأرثوذكسي(٢).

٣ ـ مقالة ضدّ الهرطقات، نوّه بها مرّات كثيرة في شرحه لليتورجيا، وأسماها تارةً كتاب الجدل ضدّ الهرطقات العصريَّة، وتارةً مقالة ضدّ الخلقيدونيّين أو كتاب الردّ على الخلقيدونيّين، أي الملكيّين، وخصاماً شاملاً ضدّ الأرمن. وفي المخطوطة الفاتيكانيّة السريانيّة المرقّمة ٩٦ جاء فصل ضدّ المسلمين. وقد يتضمّن هذا الفصل القصيدتَيْنِ اللتين كتبهما ردّاً على التُّهم الّتي ألصقها به بعضهم من أنه زوَّج امرأة مسلمة أحد المسيحيّين(٣).

٤ ـ مقالة في العناية الإلهيَّة كتبها ردّاً على يوحنا مطران ماردين، أورد منها ميخائيل الكبير نبذَتَيْنِ في تاريخه(٤).

٥ ـ خُطب عديدة، منها تلك الّتي ألقاها لدى جلوس البطريرك ميخائيل السريانيّ على الكرسيّ الأنطاكيّ في دير حنانيا. وقد أمر البطريرك المذكور بإدخالها في كتاب الرسامات للسريان الأرثوذكس لتُقرأ في تنصيب البطاركة والأساقفة. وقد نشرها الأب شابو في

---

(١) برصوم، م. س.، ص٣٧٧؛ أبونا، م. س.، ص٤٢٩.
(٢) برصوم، م. س.، ص٣٧٩؛ أبونا، م. س.، ص٤٢٩.
(٣) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٧٩؛ أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٤٢٩.
(٤) أبونا، م.ن.، ص٤٢٩.

«الجريدة الآسيويّة». وهناك خُطبة أخرى ضدّ الذين يمكثون أكثر من أربعين يوماً من دون تناول القربان المقدَّس[١].

٦ ـ قوانين في سرّ التوبة، وقد جاء فيها موجز طريف يعلّم كيفيّة الإقرار بالخطايا، ويعلّم الكهنة أيضاً كيف ومتى ينبغي لهم أن يحلّوا التائبين. وقد نشر السمعاني هذه المقالة الطريفة[٢].

٧ ـ شرح في ليتورجيا القدّاس كتبه بين ١١٦٦م و١١٧١م، وهي السنة السابقة لموته، تسير وفيه الاعتبارات اللاهوتيَّة جنباً إلى جنب مع شَرْحِ الحفلات والصلوات. وقد نشرها الأب لابور ونقلها إلى اللاتينيَّة. وهذا الشرح، بعد التعديل الذي أجري على تعابيره، تَبنّاه الموارنة وحسبوه الكتاب الثاني من المقالة في الكهنوت الّتي تُنسب إلى يوحنّا مارون[٣]. ويضاف إلى هذا الشرح ما كتبه ابن الصليبي في شرح سرّ الميرون المقدَّس، وقد حُفظت ترجمته العربيّة، ولكن شروح الرسامات الّتي أدخلت في كتاب الحبريّات لدى السريان الأرثوذكس، والّتي ينسبها السمعاني إلى ديونيسيوس بن الصليبي، هي بالأحرى لموسى بركيفا، بحسب الاقتراح الذي جاء في جدول المكتبة الفاتيكانية[٤].

بالإضافة إلى مجاميعه اللاهوتيَّة، والفلسفيّة، والتفسيريّة والجدليّة، صنّف ديونيسيوس في العام ١١٧١م تاريخاً موجزاً، أتى فيه على ذكر أحداث زمانه الدينيّة والمدنيّة معاً، مبتدئاً بترجمة أبي الفرج بن شومنة، مطران الرها، وذكره الأحداث السياسيّة منذ وفاة ايواني الثاني كومنين،

---

(١) أبونا، م.ن.، ص٤٢٩.
(٢) السمعاني، المكتبة الشرقيّة.، ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥.
(٣) السمعاني، م. ن.، ٢/ ١٧٦ ـ ٢٠٧؛ أبونا، م. س.، ص٢٢٩.
(٤) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ٣٧٢؛ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٨؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.

ملك الروم، وتولّي مانوئيل الأوّل كومنين في العام ١١٤٤م، حتى أواخر أيّامه.

ضاع أصل هذا التاريخ الثمين في اضطرابات القرن الثاني عشر، وهجوم الهونيين على مناطق ملطيَّة، وما والاها من بلدان آسيا الصغرى، وبقي منه ما أدخله ميخائيل في تاريخه، ليغطّي أحداث الفترة الواقعة ما بين ١١٤٣ و١١٧١م[١].

ينقل ميخائيل السريانيّ عن تاريخ ديونيسيوس الكثير من أخبار المكاره الّتي نزلت بمدينة الرها إبّان محاصرتها وفتحها من قِبَل عماد الدين زنكي، كما ينقل مرثاة ألّفها المؤرّخ المذكور في رثاء المدينة العريقة وبقيَّة المدن المجاورة الّتي صارت طعاماً للنيران، مُشيراً إلى المجازر الأليمة الّتي تعرّض لها أبناء طائفته السريان[٢].

ثالثاً: أثر هذه المصادر في أسلوب ميخائيل السريانيّ

ما يلفت في هذه الحوليّات، أنّها نظّمت في مجاميع تاريخيّة، من دون التقيّد بمنهج «العلّة والمعلول». فترى المؤرِّخ يسرد أحداثه ابتداءً من الخليقة إلى أن يصل في تسلسلها إلى العصور المتأخّرة، فيحصي العهود الملكية عهداً عهداً، ويتطرّق إلى ذكر حكّام الفرس والعرب، ويسرد أخبار الباباوات وعلاقتهم ببطاركة الشرق، وإلى ما هنالك من أحداث[٣].

وأكثر هذه الحوليّات صنّف، في الأصل، من قِبَلِ رهبانٍ أو رجال علمانيّين ذوي ثقافات محدودة، لغرض التداول في الدوائر الشعبيّة أو

(١) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ٣٧٢؛ رشدي، م. س.، ص٢٨؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.
(٢) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.
(٣) ميخائيل السريانيّ، تاريخ ميخائيل، ١/ ٣٧٢؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

الحلقات الرهبانيَّة. ولأجل هذا، تميّز جلّ هذه التواريخ بميزات عاطفيّة، مقترنة بالميول الطائفيّة والأغراض القوميّة، مع تشديد ظاهر على المظاهر غير العادية، وذكر شخصيّات تتمتّع بمواهب ومقدّرات مذهلة.

وكانت الأحداث السابقة لحقبة حياة المؤرِّخ، تنتقل عادة عن طريق حوليّات قديمة أُخَر، مهما تكن أصولها، ومن دون تحقيق علميّ. وكان الكاتب يختم تاريخه بتقديم إضافات لأحداث زمانه تعتمد على الرصد الشخصيّ للأحداث أو ما كتبه مؤرِّخون معاصرون.

وكانت لغة هذه الحوليات تقليداً واعياً لما يسمّى باليونانيَّة الأتيكيّة، إلّا أنّها كانت على الأكثر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باليونانيَّة الكلاسيكيّة، بالإضافة إلى استعمال التعابير اليوميّة الشائعة. وفي أحوال نادرة، دوّنت الحوليّات شعراً[1].

ولهذه الحوليّات، كما لا يخفى، قيمة غير ضئيلة، لأنّها تجهّز المؤرِّخ المعاصر بأصول غنيّة، احتفظت بها، وهي غير متوافرة في أكثر الوثائق الموجودة بين أيدينا. غير أنّها تتّصف باختفاء القيم الجماليّة فيها وجفاف أساليبها غير المصقولة[2].

طريقة ميخائيل السريانيّ

بعد دراسة أنماط الحوليّات البيزنطيّة، وتأثيرها في أساليب التواريخ السريانيّة، نرجّح أنّ ميخائيل السريانيّ جمع بين هذه الأساليب بمنهجيّةٍ واعيةٍ، مكوّناً بذلك طريقة خاصّة اتبعها في تصنيف كتابه التاريخيّ. ففي

(١) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٨.

(٢) ميخائيل السريانيّ، م. س.، ١/ ٣٧٢؛ رشدي، م. س.، ص٢٨.

تاريخه يمزج بين التاريخ الدينيّ، كما ورد في الكتاب المقدَّس، والحوليّات البيزنطيّة. فيبتدئ أخباره من الخليقة ويستمرّ في سرد الروايات إلى عصره[١]، تماماً مثلما يفعل مدوّنو الحوليات وكتبة التواريخ العامّة. وليس هذا فحسب، بل نجده يتقيّد بالتقويم الإسكندري، بالإضافة إلى اعتماده التقويم الميلاديّ والهجريّ في الدولة الأخيرة. وبتأثير النمط البيزنطيّ أيضاً، يربط ميخائيل السريانيّ بسلاسل اعتباطية منذ الخليقة حتّى أيّامه، من دون الالتفات إلى نظام العلّة والمعلول. فيصف حادثة الخلق، وينتقل من آدم إلى العائلة البشريّة، فحقبة الآباء فقضاة بني إسرائيل فملوكهم، فملوك الكلدان، فالفرس، فاليونانيّين الوثنيّين، فالرومان، فاليونان المتنصّرين، فالعرب[٢].

ويغلب نمط الحوليّات على تواريخه في تسلّط الجوانب العاطفيّة، وبروز الميول القومية والطائفية، والتركيز على الخوارق، وذكر شخصيّات تمتاز بمواهب وطاقات مذهلة[٣]، واعتبار حوليّات الحقب السابقة وثائق تاريخيّة لا يرقى إليها الشكّ فيعتمدها من دون نقدٍ وينقل عنها بطُمأنينة متناهية[٤]. فكان هذا التسليم المسبق بصحّة أحداث مصادره سبباً في الجمع بين غثّ الأخبار وسمينها. أما بالنسبة إلى أحداث عصره، فقد جمع ما استطاع جمعه بنفسه عن طريق السماع والمشاهدة المباشرة، أو أخذاً عن مؤرّخين معاصرين[٥].

---

(١) رشدي، م. س.، ص٢٨؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.
(٢) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٨؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥.
(٣) ينظر: الرسالة، الفصل الثالث، ص١٠٤ ـ ١١١.
(٤) رشدي، م. س.، ص٢٨.
(٥) رشدي، م. س.، ص٢٨؛ عطية، م. س.، ص٢٤٥.

ومع أنّ ميخائيل اقتفى الكثير من أنماط الحوليّات البيزنطيّة، إلّا أننا نراه يعدل عن الأخذ بالأساليب الإنشائية الجافّة في هذه التواريخ، مُرتكزاً على سلاسة المعنى، ورشاقة التعبير، فجاءت تواريخه على جانب من الفصاحة والاختصار والتهذيب.

أما فيما يختصُّ بأثر الأساليب العربيّة، وهذا ظاهر، فقد وجدنا أنّه يجعل الغاية وراء تصنيفه تواريخه، مشابهة للغاية الّتي توخّاها العرب في تأليف مطوّلاتهم[1].

واقتبس من الطرائق العربيّة أسلوب ترتيب مواد تواريخه، وحصرها ضمن سنوات محددة، محصورة في فترة حكم ملك، أو خليفة أو سلطان، مع الإشارة إلى اليوم والسنة، إلّا أنّه خالف الأسلوب العربيّ في طريقة الإسناد، واستعاض عنه بالاستشهاد بآباء الكنيسة وعلمائها ومؤرّخيها، فجاء أسلوبه وسطاً بين العرب والبيزنطيّين.

أما تأثّره بالأنماط الفارسيَّة فلا يخرج عن نطاق تأثّره بالمناهج العربيّة، ذلك لأن أساليب الفرس شابهت أساليب المؤرّخين العرب ولا سيّما بعد نقل مجموعة الطبريّ إلى اللُّغة الفارسيَّة في القرن التاسع الميلاديّ.

بعد دراسة عصر ميخائيل السريانيّ الكبير ومراحل علاقة السريان في ظل الدَّولة الإسلامية وبيان طبيعة العلاقة ومرورها بفترات من الاندماج الكامل في الدَّولة العربيّة الإسلامية وضعف العلاقة فيما بينهما.

ثم دراسة حياة هذا العالم والمؤرخ، كانت إطلالة ساطعة على حياته (اسمه، ولادته، عائلته، أصله، شخصيته، وفاته، مكانته العلميّة).

---

(١) إسحاق، دراسات في تاريخي أبي الفرج الملطي، ص٧٩.

فجمعت بالنسبة لسيرته شتات ما كتب عنه في الكتب المختلفة، وما كتبه هو عن نفسه في تاريخه، من ذلك ذهابه إلى دير بو حوما عام ١١٧١م، وقيامه ببناء صعومة للبطاركة هنالك.

وصححت بعض التواريخ الّتي اختلفت عليها المؤلفين مثال ذلك، بين السمعاني وبو مشتارك في السنة الّتي التقى فيها ميخائيل السريانيّ بالسلطان أرسلان.

وقد أوضحنا ما ضاع منها، وسجلنا ما بقي لنا منها، وما لم ينشر، وما ترجم منها.

كما كانت لنا وقفه على كيفية بدء السريان تدوين التاريخ وتدربهم في تدوينه حتى القرن السادس الميلاديّ الذي بدأوا فيه بوضع حولياتهم بعد أنْ رسخت أقدامهم في هذا العلم. فدونوا التاريخ العام بعد أنْ كانت كل كتبهم من قبل تناول سير الشهداء والقديسين.

ثم انتقلت إلى المصادر الّتي اعتمد عليها ميخائيل في تدوين تاريخه وكان أغلب مصادره سريانية، وأثبتُّ أنه لم يعتمد في تدوين تاريخه على مؤلفات إسلامية، وإنما كان كل اعتماده على مؤلفات مسيحيَّة.

الفصل الثالث

منهج التدوين التاريخيّ عند العرب والسريان

المبحث الأول

منهج التدوين التاريخيّ عند السريان

أوّلاً: التدوين التاريخيّ عند السريان

لم نعثر للسريان على مدوّنة للتاريخ قبل بداية القرن الثالث الميلاديّ، على الرّغم من معرفتنا بوجود سجلات تاريخيّة لهم، إذ كان الملوك يدوّنون ما يقع في أثناء حكمهم من حوادث ويحفظونها في سجلّات بدار المحفوظات في الديوان الملكيّ، على عادة دول آسيا الصغرى في ذلك العصر، يضاف إلى ذلك أنّها كانت مسرحاً لحروب عدَّة وقعت بين الفرس والروم[١].

وأقدم نصّ تاريخيّ وصل إلينا من تلك السجلّات هو فيضان نهر ديصسيان[٢] الذي اجتاح مدينة الرُّها في تشرين الثاني عام (٢٠١م) في عهد أبجر التاسع[٣]، وتصدّعت من جرَّائه أكثر مبانيها. وقد أمر الملك

---

(١) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص٤٩؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ٥٧.

(٢) عبد الحميد، م. س.، ص٦٢؛ ابن العبريّ، م. س.، ١/ ٥٨؛ كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص٢٧ ـ ٣٤.

(٣) أبگر التاسع الأكبر أو الأبجر التاسع (باللاتينيَّة : Lucius Aelius Megas Abgar IX؛ باليونانيَّة: μεγα Αβγαρος) كان حاكماً آرامياً على مملكة الرها، التابعة للإمبراطورية الرومانيّة. حكم من ١٧٩ إلى ٢١٦. كان أوّل حاكم مسيحي للدولة في العالم. وأصبحت=

كتّابه بتسجيل هذه الكارثة، فسجّلت في حوادث سنة ٢٠٦م. ويُعدُّ هذا النصّ من المواد الّتي جُمعت لتكون مختصر تاريخ مدينة الرُّها في منتصف القرن السادس الميلاديّ[١].

فيما قامت المسيحيّة في الرُّها في أواخر القرن الثاني الميلاديّ، واهتم السريان بتدوين التاريخ، وكانت الرُّها أوَّل مدينة سطّر فيها التاريخ المسيحيّ في سيرة أبجر الخامس[٢]، ولكنها تدخل في عداد الأساطير، ولا يمكن أن نعدّها من الكتابات التاريخيّة الّتي تشتمل على أخبار متواترة.

تعرّض السريان الذين اعتنقوا المسيحيّة في الدولتَيْنِ الرومانيّة والفارسيَّة وغيرهما لألوان كثيرة من الأذى وصنوف العذاب، وخصوصاً بعد قيام النزاع الكنسيّ وازدياد عدد المستشهدين في سبيل العقيدة. فبدأ السريان منذ ذلك العصر بتدوين سِيَر شُهدائهم الّتي تضمّنت بعض الأخبار. وكانوا إذا أعوزتهم الأخبار الصحيحة يلجأون دائماً إلى الحدس والتخمين. ولهذا فهي لا تُعدّ ذات قيمة كبيرة من الناحية التاريخيّة. ويتخلَّل السِّير عرضٌ لحالة الدولتَيْنِ الرومانيّة والفارسيَّة من الناحيتَيْنِ السياسيّة والإداريّة. وكانت تشتمل على وصفٍ للمكان الذي وقعت فيه.

=المسيحيّة للمرة الأُولى في التاريخ، وقبل إمبراطورية قسطنطين لمدة مئة وثلاثين عاماً، ديانة رسمية للدولة. عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٥٤.

(١) عبد الحميد، م. س.، ص٦٢؛ الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٢) ابن العبريّ، م.س.، ١/ ٧١؛ فييه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد ٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

يمكن تقسيم المدوّنات التاريخيّة عند السريان إلى ثلاثة أقسام تشمل فترة طويلة، وهي:

أ: سِيَر الشهداء والقديسين

تُشكّل الحكايات والسِّير جانباً كبيراً من الإبداع الأدبي لدى السريان. وكانت عملية وضع تاريخ القدّيسين في قالب حكاية، أكثر جوانب هذا الفن تحبُّباً إليهم. ويقود أكثر الشواهد الخطيّة قِدماً إلى مدينة الرُّها، إذ إنَّ سِيَر مار شربل وبار سميا اللذين استشهدا في فترة حكم داقيوس، وكوريا وشامونا المستشهدين أيام ديوقلطيانوس، أُلِّفت في أواخر القرن الرابع، في مدينة الرُّها حاضرة الأباجرة. وجاء في أعقاب هذه النّصوص حلقات طويلة من وثائق مُتشابهة، ترصدُ أعمال الشهداء في بلاد الفرس أيّام حكم الملك شابور الثاني، في القرن الرابع. ونما هذا التراث بما أُضيف إليه من أخبار ضحايا الاضطهادات المتأخّرة. وبين هذه الأعمال مجموعة كبيرة تضمّ أخبارَ الحقبةِ الممتدةِ من حكم شابور الثاني إلى بهرام، وتنتهي بخاتمةٍ تصِف بنية هذا المصدر القديم وامتداده. ويُشير الدليل الداخلي إلى أنه صُنِّف قُبيل العام ٣٩٩م. وقد عُزي هذا العمل إلى ماروثا أُسقف ميافارقين (يسمّيها السريان مدينة الشهداء)(١). ولما خمَدت الاضطهادات، وجدت القصة السريانيّة موضوعها في سِيَر النُّساك والرهبان والقدّيسين. فقد شعر تلاميذ الرهبان ومريدوهم، على وجه الخصوص، بضرورة تبجيل معلّميهم المتزهّدين، عن طريق تقريظهم وتدوين سِيَر حياتهم. وحفّز التذكار السنوي في الأديرة هذا

---

(١) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص١٣٤؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ١٦٩؛ حبي، التواريخ السريانيّة، ص٣٨.

الصنف من النّتاج الأدبي. ويُعدّ بعض هذه السِّير خصوصاً، مصدراً تاريخيّاً ثميناً، ومن أقدم هذه النماذج عند السريان الغربيّين[١].

١ : أخبار شهداء الإمبراطوريَّة الرومانيّة

رفض المسيحيّون تأليه الإمبراطور الرومانيّ وعبادته، كما رفضوا الخدمة في الجيش الرومانيّ، لذلك نظرت الحكومة الرومانيّة إليهم على أنّهم فرقة هدّامة تهدّد أوضاع الإمبراطوريَّة وكيانها، لا بل سلامتها.

بدأ اضطهاد الدَّولة الرومانيّة الرسمي للمسيحيين في العام ٦٤م على يد الإمبراطور نيرون وحتى وفاته في العام ٦٨م بتحريض من زوجته بوبياسبينا، وعُرف هذا الاضطهاد بالاضطهاد الأوّل. أما الاضطهاد الثاني فقد تم بين العامين ٩٥ ـ ٩٦م زمن الإمبراطور دوميتيان. وفي عهد نيرون كثُرت المؤامرات والاغتيالات السياسيّة الّتي كان له يد في تدبيرها. أما أشهر جرائمه على الإطلاق فكان حريق روما الشهير في العام ٦٤م، حين راوده خياله في أن يُعيد بناء روما، وبدأت النيران من القاعدة الخشبية للسيرك الكبير وانتشرت بشدّة مدّة أسبوع في أنحاء روما، والتهمت عشرة أحياء من جملة أحياء المدينة الأربعة عشر[٢].

وقد مات في هذا الحريق الآلاف من سكّان روما، وبدأت أصابع الاتهام توجّه إليه من قبل الشعب والسياسيّين كونه المتسبّب بهذا الحريق المتعمّد، وتهامس أهل روما بالأقاويل عليه، وتعالت كلماتهم وتزايدت كراهيّة الشعب له. وكان لا بدَّ له من كَبش فداء أمام شعبه، إمّا اليهوديَّة أو المسيحيّة الحديثة في روما. لكنَّه على الرّغم من قناعته بأنّ زوجته

---

(١) عبد الحميد، م. س.، ص١٣٤؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٦٩؛ رايت، **الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ**، ص١٢.

(٢) عبد الحميد، م. س.، ص١٣٤؛ سخنيني، **مقاتل المسيحيين**، ص١٢٣.

اليهوديّة ومن وراءها كانوا المحرّضين على حريق روما، فإنّه اختار المسيحيّة ككَبش فداءٍ لجريمته، فألصق التُّهمة بالمسيحيّين، وبدأ يُلهي الشعب بالقبض على المسيحيّين واضطهادهم وسَفْك دمائهم بتقديمهم للوحوش الكاسرة أو حرقهم بالنيران أمام أهل روما في الستاديوم وفي جميع أنحاء الإمبراطوريَّةِ أيضاً. حتى إنّ مؤهلات الولاة الذين كانوا يتولون الأقاليم كانت مدى قسوتهم في قتل المسيحيّين، الذين سيق أفواج منهم لإشباع رغبة الجماهير في رؤية الدماء. وعاش المسيحيّون في سراديب تحت الأرض وفي الكهوف. وما زالت كنائسهم وأمواتهم حتى الآن يزورها السيّاح.

استمر الاضطهاد الدموي أربع سنوات، وذاق المسيحيّون كلّ ما يتبادر إلى الذهن من أصناف التعذيب الوحشي، وكان من ضحاياه الرسولان بولس وبطرس اللذان استشهدا في العام ٦٨م. ولما سادت الفوضى والجريمة الإمبراطوريَّة الرومانيّة، أعلن مجلس الشيوخ (السنات) أنه أصبح «عدوّ الشعب»، فمات منتحراً في العام ٦٨م مخلّفاً وراءه حالةً من الإفلاس نتيجة بَذْخِه الشديد والفوضى من كَثْرَةِ الحروب الأهلية في أثناء حكمه. ويُزعَم أنّ نيرون هو القيصر الذي أشار إليه أعمال الرسل[١]. ولم ينته اضطهاد المسيحيّين بموته، وفي ٦٨م من السنة نفسها الذي قتل فيها الوثنيون في مصر مرقس الرسول قتل أيضاً نيرون إمبراطور روما نفسه بطعنة خنجر[٢].

خلال القرنَيْنِ الثاني والثالث تأصّلت المسيحيّة بعمقٍ في القسم

(١) الكتاب المقدَّس، أعمال الرسل، ٢٥، ٢٣.

(٢) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص١٣٤؛ سخنيني، مقاتل المسيحين، ص١٢٣؛ أبونا، تاريخ الكنيسة السريانيّة، ٢/ ١٧.

الشرقيّ من الإمبراطوريَّة، لا بل انتشرت إلى حدٍّ ما خارج تخومها. واستمرّت الكنائس الثلاث أنطاكية وروما والإسكندريَّة في تطوّرها وتنظيمها، ولكنّها تعرضت في هذين القرنَيْنِ لما لا يقلّ عن ثمانية اضطهادات كبرى، بحيث أخذ اضطهاد المسيحيّين شكلاً مُزمناً نظير حمّى بطيئة تضعف تارة وتشتدّ أخرى.

كان تراجان هو أوَّل إمبراطور أعلن أنّ المسيحيّة ديانة محرَّمة، ولكي يضع حدّاً لانتشار المسيحيّة، حكم على كثيرين من المسيحيين بالموت، وأرسل بعضهم إلى المحكمة الإمبراطوريَّة في روما.

في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع كان اضطهادهم هو الأكبر، مع بداية سلسلة من أربعة مراسيم حظرت الممارسات المسيحيّة وأمرت بسجن رجال الدين المسيحيّ. وشهد القرن الثالث صوراً أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيّين، وذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس، الذي أمر بهدم الكنائس وإعدام كُتُبها المقدَّسة، وإلقاء القبض على الكهّان وسائر رجال الدين، فامتلأت السجون بالمسيحيّين، وقُتل الكثيرون بعد أن مُزِّقت أجسادهم بالسّياط والمخالب الحديدية، والنشر بالمناشير، والتمشيط بين اللحم والعظم والإحراق بالنار. وقد سمّي عصره باسم «عصر الشهداء» وفق المصادر السريانيّة[1].

إنّ سِيَر الشهداء الّتي دُوِّنت بالسريانيّة للأبطال الذين جاهدوا في سبيل الدين في غرب ما بين النهرين إبّان اضطهادات ملوك الرومان وإن كانت قليلة، فإنَّ معظمها قد كُتب باليونانيَّة.

---

(١) عبد الحميد، م.س.، ص١٤٢؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ١٧٠.

٢ : أخبار شهداء بلاد الفرس

في أثناء ظهور التعاليم المسيحيّة، كانت البلاد السريانيّة، وهي سوريا القديمة والعراق، ترزح تحت حكم إمبراطوريتَيْن كبيرتَيْن مُتنافستَيْنِ هما الإمبراطوريَّة الرومانيّة (البيزنطيّة بعدئذٍ) في الغرب والإمبراطوريَّة الفرثيّة (أو الفارسيَّة الساسانيَّة منذ القرن الثالث الميلاديّ) في الشرق، باستثناء بعض القطاعات والجيوب الّتي كانت تَشْغَلُها بعض الدويلات والإمارات الآراميَّة متفاوتة الحجم والأهميّة، ومنها: الرُّها، وآمد، والحضر وسنجارا (في العراق)، وتدمر، وحمص ودمشق (في سوريا)، يحكمها أُمراء آراميّون أو عائلات إقطاعية ذات تبعيّة سياسيّة للفرس أو للرومان[1]. وكانت العداوة المستحكمة بين هاتين القوّتَيْنِ الجبّارتَيْنِ الفرس والرومان، قد أثّرت سلباً في المنطقة السريانيّة إلى حدٍّ كبير[2]. فالحدود بينهما غير مستقرّة، وكثيراً ما كانت عرضةً للتغيير بين مدٍّ وجزرٍ، وكانت تُشكّل ساحة المعارك والصدامات بين الفرس والرومان، وكانت تخلّف وراءها في كلّ مرّة الخراب والدمار وسفك دماء السريان الذين لم تكن لهم يدٌ في تلك الحروب المدمّرة على أراضيهم[3]. مع مرور الزمن أثّرت تلك الحدود بين الرومان وبين الفرس في السريان إلى حدٍّ كبير جداً لأنّها عملت على تجزئتهم وتقسيمهم. ذلك

---

(١) عبد الحميد، **مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح**، ص١٤٤؛ ابن العبريّ، **تاريخ الكنسيّ**، ١/ ١٧٢؛ فييه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، **الفكر العربيّ**، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

(٢) عبد الحميد، م.س.، ص١٤٨؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٨٥؛ حبي، **التواريخ السريانيّة**، ص٤٧.

(٣) عبد الحميد، م.س.، ص١٥٧؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٨٥؛ حبي، م.س.، ص٤٧؛ سخنيني، **مقاتل المسيحيين**، ص١٣٦.

أنّ تلك الحدود قسّمتهم جغرافياً إلى سريان شرقيّين وسريان غربيين، خضعوا سياسياً لدولتَيْنِ مُتعاديَتَيْنِ هما الفرس في إيران والرومان البيزنطيّون في سوريا، ودينياً لكنيستَيْن، على الأقلّ، ولغوياً للهجَتَيْنِ آراميتَيْنِ على الأقل، وأبعدتهم عن بعضهم بعضاً، وزرعت في عقولهم انتماءَيْنِ وشخصيتَيْنِ متباينتَيْنِ. إنّ تلك الحدود الّتي عملت على تقسيم السريان تشابه إلى حدٍّ ما الحدود الحاليّة ما بين دولتي سوريا والعراق.

وقد ازدادت العداوة بين الإمبراطوريَتَيْن بعد أنْ أصدر قسطنطين الكبير مرسومَ ميلانو الشهير في العام ٣١٢م حين أطلق الحريَّة الدينيّة مُعترفاً بشرعية الديانة المسيحيّة الّتي اعتنقها بعدئذٍ وجعلها دين الدَّولة الرسميّ، مخلّفاً بذلك نتائج سلبية في المسيحيّة لاحقاً.

لا شكّ في أنّ المعلومات قليلة أيضاً عن الكنيسة في القرن الرابع، غير أنَّ الذي نعلمه بالتفصيل هو خبر الاضطهادات الّتي تعرّض لها المسيحيّون بأمر شابور الثاني (٣٠٩ ـ ٣٧٩م)[١] وبهرام الرابع[٢]، وتردّد صداها في الغرب (سوريا). إنّ الوضع السياسيّ العام وخصوصاً علاقة الروم بالفرس كانت تُؤثّر سلباً أو إيجاباً في المواطنين المسيحيّين في المشرق الفارسيّ، إذ كانت العلاقة بين قسطنطين الكبير وشابور الثاني ودّيةً وطيّبةً، لذلك كان السلام يسود المنطقة. ولما علم قسطنطين بوجود مسيحيّين في الدَّولة الفارسيَّة كَتَبَ إلى شابور يطلب إليه حماية المسيحيّين في دولته. غير أنّ اهتمام قسطنطين بمسيحيي المشرق سبّب لهم الكثير من المتاعب والأذى، لأنّ مستشاري شابور أوهموه بأن مسيحيّي دولته يجدون في قسطنطين بطلاً للمسيحيّين، وأنّ ولاءهم

---

(١) عبد الحميد، م.س.، ص١٦٧؛ سخنيني، م.س.، ص١٣٦.

(٢) عبد الحميد، م.س.، ص١٢٤؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٧٢ فييه، م.س.، ص٣٩ ـ ٤٧.

للعرش الساساني هو موضع شكّ. لذلك، وبعد وفاة قسطنطين في العام ٣٣٧م، بدأ شابور باضطهاد الكنيسة في حدود دولته. وقد استمر هذا الاضطهاد طوال عهده تحت تأثير النفوذ السياسيّ المتزايد للمجوس(١).

بدأ الاضطهاد في العام ٣٤٠م في سلوقية بصدور الأمر بتوقيف مار شمعون برصباعي أُسقف سلوقية ـ قطسيفون، وهو ثاني جاثليق للمسيحيين في الدَّولة الفارسيَّة، ثم عُرض عليه إطلاق سراحه شرط أن يجمع الضرائب من رهبانه ومن المسيحيّين في إقليم بيث آرامايى ܒܝܬ ܐܪܡܝܐ الذي كان يشمل وسط العراق وجنوبه(٢). رفض مار شمعون هذا الشرط فقطعوا رأسه في العام ٣٤١ (أو ٣٤٤). ثم أعلن الملك اضطهاداً عاماً لجميع المسيحيّين، وتقول قصة استشهاد مار شمعون «إنّ شابور وجّه أمره برسالة من خوزستان إلى حكّام إقليم بيث آرامايى بهذا الخصوص»(٣)، إلَّا أنه عاد وخفّف الاضطهاد وجعله وقفاً على الإكليروس المسيحيّ. وقد تباينت قَسْوَة الاضطهاد بين إقليمٍ وآخر، ذلك تبعاً لرغبات الحكّام المحليين ونزواتهم.

لكنَّ أكثر المناطق الّتي أصابها الضرر كانت بيث كرماي ܒܝܬ ܓܪܡܝ وحدياب ܚܕܝܒ بسبب الوجود المسيحيّ الكثيف فيهما. وقد ذهب ضحية الاضطهاد بعض أفراد حاشية الملك والوجهاء والقادة الكنسيّين. ففي الحاضرة وحدها أعدمت السلطة ١٢٠ شخصاً من أفراد الإكليروس(٤).

---

(١) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص١٢٤؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ١٧٢؛ سخنيني، مقاتل المسيحيين، ص١٣٦.

(٢) عبد الحميد، م.س.، ص١٢٥؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٧٢.

(٣) عبد الحميد، م.س.، ص١٢٥؛ سخنيني، م.س.، ص١٣٦؛ رايت، الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ، ص٣٢.

(٤) عبد الحميد، م.س.، ص١٤٤؛ ابن العبريّ، م.س.، ١/ ١٧٢.

٣: أخبار الشهداء في غير الإمبراطوريَّتَيْن الرومانيّة والفارسيَّة

قصة نوام أفيزوس السبعة (أهل الكهف) واضطهاد ذي نواس الملك اليهودي لمسيحيي نجران في اليمن، وقصة شاموني المكابية وأولادها ولعازر الكاهن وجهاد الراهبة فبرونية النصيبينية بقلم توماس الراهب، وقصة أغريباس ولبرنطيوس ورفاقهم الاثني عشر ألفاً، وقصة شهداء سبسطية الأربعين، وقصة شمعون الشيخ الذي استشهد في الجبل الأوسط وقصص مينا المصري، إلى غير ذلك الكثير.

وإلى جانب سِيَر الشهداء اتجه المؤلفون إلى تأريخ سِيَر الرُّسُل والبطارقة والأساقفة القديسين مثل قصة توما الرسول، وقصة يوحنا الإنجيلي ورفاقه، وقصة أنوسيوس تلميذ بوسل ويوحنا الذهبيّ الفم، وربولا مطران الرها.

٤: سِيَر النُّساك[1]

ونجدهم كتبوا أيضاً سِيَر النُّساك والمتوحّدين وغيرهم مثل قصة إبراهيم القيدوني، وبوليان الشيخ، وأوجين القبطي الأصلي، وطلبا الفتى الناسك، ولعازر الحراني، وشمعون الكفر، وآسيا الناسك، وأشعيا الحلبي وغيرهم كثيرين.

ويلاحظ بوجه عام على كتابة السير بجميع أنواعها غلبة الطابع

---

(١) كان تعبير «ناسك» يستخدم قبل ظهور كلمة «راهب»، ويخص جماعات النسّاك الذين ينفردون في أكواخ في القرى للعبادة، أو ينطلقون إلى البراري أفراداً أو جماعات. ويُستخدم هذا التعبير حالياً للإنسان الذي يمارس «الرهبنة» في أي شكل من أشكالها مع تقشّف شديد، وخصوصاً في نظام الوحدة. والنساك ascetics هو الاسم القديم للرهبان، ذلك قبل أن تُعْرَف الرهبنة كنظام يتبع الكنيسة ويخضع لها. ولا يزال النسك إحدى السمات الأساسيَّة للحياة الرهبانيَّة.الشلبي، أضواء على المسيحيّة، ص١٣٢؛ فارس، حقائق أساسيَّة عن إيمان المسيحيّ، ص٢٥٢؛ آلارو، مصادر النصرانيَّة، ص٨٢٥ ـ ٨٣٠.

الأسطوري، وأنّ البيانات التاريخيّة الّتي يمكن استخلاصها منها لا تكاد تُذكَر ولا يُطمأنّ إليها. أما المدوّنات التاريخيّة الّتي يمكن الاطمئنان إليها فهي:

ب: التاريخ الخاص (تاريخ الأديرة)

هناك عددٌ من القصص التاريخيّة تتعلق بأشهر الأديرة النسطوريّة. أما الأديرة اليعقوبيَّة فالظاهر أنّ رهبانها لم يحرصوا على التأريخ لأديرتهم. ومع ذلك فقد ضاع الكثير من هذه التواريخ، ولم يبق إلّا ما كتبه يشوعدناح البصري[١]، وتوما المرجي[٢] في القرنين الثامن والتاسع الميلاديّين.

ج: التاريخ العام

تلك السِّير والتواريخ السابقة كلها من التواريخ الخاصة الّتي عني بها السريان منذ القرن الثالث الميلاديّ، ولكننا لم نعثر لهم على مؤلَّف في التاريخ العام إلّا حوالي القرن السادس. فقد عاصر هذا القرن نشأة الأعمال التاريخيّة الأولى الّتي خلّفها لنا السريان. وكان ذلك نتيجة

---

(١) يشوعدناح البصري: هو مطران البصرة في بلاد ما بين النهرين، وكان حيّاً في نهاية القرن الثامن الميلاديّ، وله كتاب «العفة» الذي يتكوّن من مئة وأربعين سيرة لمؤسسي أشهر الأديرة الشرقيّة. ترجم الكتاب ونشره شابو في روما عام ١٨٩٦. دوفال، **تاريخ الأدب السريانيّ**، ص٢٢٩؛ رايت، **الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ**، ص٣٢.

(٢) توما المرجي هو أسقف المرج في الموصل بالعراق، كان حيّاً في القرن التاسع الميلاديّ، وله كتاب «الرؤساء» الذي هو أوسع من كتاب «العفة» ليشوعدناح. ترجم الكتاب ونشره السمعاني عن طبعة المكتبة الشرقيّة عام ١٨٩٣. وهذا الكتاب عبارة عن تاريخ الرهبانيَّة لدى النساطرة في مناطق دجلة الشرقيّة، ويغطي مدة ثلاثة قرون تقريباً، ويقدّم فيه ملحقاً مهماً لتاريخ الكنسيّة النسطوريّة في حقبة من تاريخها لم يكن معروفاً. أبونا، **تاريخ الكنيسة السريانيّة**، ٢/ ٣٨.

لمحاولة السريان الكتابة في بقيّة الموضوعات الّتي كَتَبَ فيها اليونان، فأخذوا يحاكونهم في إنشاء سجلات تاريخيّة باللُّغة السريانيّة، إلى جانب استمرارهم في كتابة السير المستقلّة للقديسين والأبطال.

وكان أوَّل ما وصل إلينا في هذا الباب هو كتاب «تسلسل الأسباط» أو «مغارة الكنوز» المنسوب خطأً إلى إفريم، ويؤكد «بتسولد» و«نولدكه» أنه من نتاج القرن السادس، وكُتب في بلاد ما بين النهرين، ويتناول التاريخ الأسطوري لأسباط إسرائيل.

وفي القرن نفسه أخذ السريان يدوّنون الحوليات التاريخيّة، ومنها:

* كتاب يروي الأحداث الّتي مرّت بسوريا وبلاد ما بين النهرين خلال الأعوام من ٤٩٥ إلى ٥٠٦م، وتشتمل على الحروب الّتي وقعت بين أنسطاسيوس وقباذ. وقد وصل مؤلفه إلى نهاية حكم أنسطاسيوس، أي عام ٥١٨م، طبعه أوّلاً «بول مارتن» مع ترجمة فرنسيَّة[١]. ثم أعاد «رايت» طبعه مع ترجمة إنكليزية[٢]. ويظنّ السمعاني أنه تأليف ديونيسيوس التّلمحريّ (وقد ضمّه بأكمله ديونيسيوس التّلمحريّ إلى تاريخه بالحالة الّتي هو عليها من دون أي إصلاح)[٣]. ويبدأ الكتاب بإهداء طويل إلى القسّيس سرجيوس، ثم تلخيص مقتضب للحوادث الّتي وقعت بعد وفاة يوليانوس في العام ٣٦٣م. ويتعرّض الكتاب بشكل أوسع لعهد فيروز (٤٥٧ ـ ٤٨٤م) وبلاش (٤٨٤ ـ ٤٨٨م) ملكي الفرس، ثم يبدأ موضوع الكتاب بتاريخ العلاقات المضطربة بين

---

(١) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص٩٧؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ٢٤٣؛ فييه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

(٢) Johnston, James Howard, ***Witnesses to a World Crisis***, p.165.

(٣) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٣٣؛ حبي، التواريخ السريانيّة، ص٧٥.

الإمبراطوريَّتَيْن الفارسيَّة والبيزنطيّة من عهد قباذ الأوَّل (٤٨٩ ـ ٥٣١م)، يليه الحديث عن الحرب بين الفرس واليونان (٤٥٩ ـ ٥٥٦م)[١].

* يُعدّ تاريخ الرُّها الذي صُنِّف في القرن السادس، من المصادر الثمينة وإن كان محدود الرقعة. ويضمّ الكتاب تاريخ الفترة الممتدة من عام ١٣٢ق.م. إلى عام ٥٤٠م، ومع أنه شديد الاختصار في أوائله، غير أنه وافٍ في أواخره. وتُعدّ التواريخ المؤلَّفة في القرون اللاحقة ذات أهميَّة كبيرة بسبب غِنَى المعلومات الّتي تنطوي عليها.

إنّ تاريخ الرها يعود لمؤلّف مجهول وجد محفوظاً في مكتبة الفاتيكان تحت الرقم ١٦٣. نشره السمعاني بأكمله في المكتبة الشرقيّة[٢]. ونشر الطبعة الثانية «هالبيه»[٣] مع ترجمة ألمانية عن مخطوطة (جويدي)، ويقرن مؤلفه الأحداث بتواريخها، وهو من هذه الناحية وثيقة تاريخيّة مهمة. وقد نقله الدكتور يوسف متى إسحاق إلى العربيّة وعلّق حواشيه وقدّم له.

* تاريخٌ مقتضبٌ عن المجامع[٤] حتى مجمع خلقيدونية، استخدم تاريخ أوسابيوس في عمله. نشره «بروكس» مع ترجمة لاتينيَّة من على شابو[٥] تاريخ نسطوري صغير نشره (جويدي)[٦] وترجمه (نولدكه)[٧]

---

(١) ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ٢٤٣ ؛ كامل، تاريخ الأدب السريانيّ، ص٣٤٦.

(٢) السمعاني، المكتبة الشرقيّة، ص٣٨٨ ـ ٤١٧؛ عطية، تاريخ المسيحيَّة الشرقيَّة، ص٢٤٥.

(٣) ينظر: دوفال، تاريخ الأدب السريانيّ، ص١٧٩.

(٤) مجامع نيقيه عام ٣٢٥م، والقسطنطينية عام ٣٨١م، وافيزوس عام ٤٣١م وخلقيدونية عام ٤٥١م.

(٥) Robinson, Chase, ***Historiography***, p.75.

(٦) Johnston, James Howard, ***Witnesses to a World Crisis***. p.66.

(٧) Hoyland, Robert, ***Seeing Islam As Others S***aw It, p.105.

إلى الألمانيَّة، مشيراً إلى أنه كُتِبَ في العراق أو خوزستان حوالي العام ٦٨٠م، وهو العام الذي يتوقف عنده التاريخ.

* التاريخ المختصر ليعقوب الرُهاوي، نسج فيه على منوال تاريخ أوسابيوس. بدأ فيه من السنة العشرين لقسطنطين الكبير حتى العام ٦٩٢م. بقي منه ٦٧ صفحة في مخطوطة المتحف البريطاني الرقم ٤٦٨٥، نشرها «بروكس» مع ترجمة لاتينيَّة[١].

* تاريخٌ مدني مسهب من بدء الخليقة حتى العام ٧٧٥م، كتبه راهب من دير زوقنين في أربعة أجزاء، ونسبه السمعاني إلى ديونيسيوس التّلمحريّ خطأً. وقد نشر القسم الأوَّل منه «تولبرج»[٢].

* مجموعة تاريخيّة نشر معظمها «بروكس»[٣]، يليها مختصر المجامع إلى مجمع خلقيدونية وجدول خلفاء بني أميَّة ونبذة مهمّة للفتح العربيّ.

١ : تاريخ أربيل

ليس في الأدب السريانيّ الشرقيّ ما يُضاهي هذا الثراء في الأدب التاريخيّ. ويُعدّ تاريخ مشيحزخا المدوّن في الفترة الواقعة بين العامين ٥٤٠م و٥٥١م، والمعروف بتاريخ أربيل، من أقدم تواريخهم. إنّ المعلومات الّتي يُقدمها هذا التاريخ عن أقدم حقبةٍ لنشوء المسيحيّة في منطقة حذياب مقتبسة من تاريخ مفقودٍ يعود إلى فترة باكرة، ألفه رجل يُدعى هابيل، في أواسط القرن الخامس للميلاد[٤].

---

(١) Robinson, Chase, *op.cit.*, p.76.

(٢) Tullberg, *Dionysii Telmehararensis Chronici, liber primus, Upsal.* p.55.

(٣) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٤٥.

(٤) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٣٣؛ حبي، التواريخ السريانيّة، ص٤٥.

٢: تاريخ كرخ سلوق

وثمّة تاريخ مُشابه لـ«تاريخ حذياب» هو تاريخ بيث كرماي، ويُعرف بتاريخ مدينة كرخ سلوق وشهدائها. وهو تاريخ مجهول المؤلّف، يُؤرّخ للمدينة وأساقفتها وشهدائها في فترة حكم الملك يزدجرد الثاني، ويعود تنقيحه الأخير إلى القرن السادس للميلاد، بينما صُنِّف الأصل في فترة سابقة[١].

٣: تاريخ برحذبشابا عربايا

أمّا تاريخ برحذبشابا عربايا الكنسيّ، فينتمي إلى بداية القرن السابع. ولم يُنقَّح في الحقبة الإسلاميّة إلّا القليل من الكتابات التاريخيّة. وإن الكتاب الموسوم «قصص مختلفة من تاريخ الكنيسة والعالم» الذي صنّفه راهب مجهول الاسم، يتناول وصف الأحداث الواقعة بين العامين ٥٩٠م و٦٨٠م، ويزوّد القارئ بمعلومات وفيرة عن فترة حكم الأُسرة الساسانيَّة. وقد اعتمد مؤلّفه أعمالاً تاريخيّة سابقة[٢].

٤: تاريخ برفنكايى

كان يوحنّا راهباً من دير مار يوحنا في منطقة الكومل. عاش في نهاية القرن السابع، وألّف كتاباً في العام ٦٨٠م في تاريخ العالم نحا فيه منحىً لاهوتيّاً أسماه «كثاوا دريش ميللي»، ضمّ ١٥ موضوعاً، وجّهه إلى رجل يُدعى هابيل[٣].

---

(١) رشدي، م. س.، ص٣٣؛ حبي، م. س.، ص٤٧؛ رايت، **الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ**، ص٤١.

(٢) رشدي، م. س.، ص٣٣؛ حبي، م. س.، ص٤٨؛ دوڤال، **تاريخ الأدب السريانيّ**، ص١٨١.

(٣) رشدي، م. س.، ص٣٣؛ حبي، م. س.، ص٥٤؛ دوڤال، م. س.، ص١٨٢.

٥ : تاريخ إيليّا برشينايا

يُعدّ تاريخ إيليّا برشينايا المؤلَّف في العام ١٠١٩م ـ وهو آخر عملٍ تاريخيّ لدى السريان المشارقة ـ مصدراً مهماً، إذ يحوي عدداً وافراً من جداول تاريخيّة ولوائح بأسماء البطاركة(١).

لم تقتصر كتابة التاريخ عند السريان على التاريخ المدني فحسب، بل تعدّته إلى التاريخ الكنسيّ أيضاً، ولهم كُتُب كثيرة في هذا النوع، منها:

* الكتاب المنسوب إلى يوحنا الآسيويّ أو الأفيزوس، وهو أقدمُ كتابٍ في تاريخ الكنيسة، يرجع إلى النصف الأخير من القرن السادس، ويقع في ثلاثة أقسام. وقد ضاع القسم الأوّل كله. وبقيت من القسم الثاني قِطَعٌ مهمّة محفوظة في مخطوطتَيْنِ من مخطوطات المتحف البريطاني(٢). والقسم الثالث ناقص منه أجزاء مهمّة. والباقي محفوظ في المتحف البريطاني(٣). وقد نشره «كيزريتون»(٤) في أكسفورد في العام ١٨٥٣.

* مجموعة تاريخيّة لمؤلف مجهول نقل فيها قسماً كبيراً من تاريخ الكنيسة لزكريا الفصيح، ويتناول السنوات من ٤٥٠ إلى ٤٩١م، نشره «لاند» في كتابه(٥).

---

(١) رشدي، م.س.، ص٣٣؛ حبي، م.س.، ص٥٦.

(٢) عبد الحميد، مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني من ميلاد المسيح، ص٩٨؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ٢٤٣.

(٣) عبد الحميد، م.س.، ص٩٩؛ ابن العبريّ، م.س. ١/ ٢٤٥.

(٤) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٣٣؛ حبي، التواريخ السريانيّة، ص٤٩.

(٥) عبد الحميد، م.س.، ص٩٧؛ ابن العبريّ، تاريخ الكنسيّ، ١/ ٢٤٦.

* ترجمة التواريخ الكنسيّة لأوسابيوس وسقراط وتاودوريطس. ومنها نسخة في خزانة بطرسبرج[1].

* تاريخ الكنيسة لمشيحا زخا، وهو خاصّ بكنيسة حذيب، ويتناول تاريخ مطارنة أربيل، ويظهر نشأة المسيحيّة على الشاطئ الغربي لدجلة. وقد أعار «منجانا» مخطوطة هذا التاريخ لـ«شابو»[2].

ثانياً: المنهجيَّة والهدف من كتابة التاريخ عند السريان

يستعيد المؤرِّخون السريان، كالمؤرِّخين العرب، من حيث المنهج، أعمال أسلافهم مع شيءٍ من النقد بين الحين والحين، ثم يُكمّلونها بما لديهم من أخبار عصرهم. ومن البديهي أن يكون هذا القسم الأخير من كلّ تلك التواريخ، هو القسم الأنفس قيمة والأوفر تفصيلاً لاحتوائه على أحداث عصر الكاتب. على أنَّ الأقسام المستعادة لها أهميتها أيضاً، إما لجهة تبيان ما انتقاه المؤلّف من مُعطيات أسلافه أو لتضمّنه شذرات من بعض المصنّفات السريانيّة أو العربيّة أو حتى الأرمنيّة المفقودة. فمن ذلك أن الرُهاوي المجهول يورد صفحات من تاريخ أرمنيّ مجهول لدى الأرمن أنفسهم[3].

ولكن لا بدَّ من تنبيه القارئ غير السريانيّ إلى أنه لا يجدر به أنْ يُقبل على قراءة المؤرِّخين السريان كما يُقبل على قراءة النّصوص التاريخيّة الكلاسيكية العربيّة الّتي ألِفها. فلا بدَّ له من أنْ يُدرك أنَّ هدف المؤرِّخين السريان غير هدف المؤرِّخين المسلمين. فهؤلاء، على قول ابن خلدون[4]: «كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة، وأبناؤها متشوّقون

---

(١) ابن العبريّ، م.س.، ١/ ٢٤٦.

(٢) حبي، م.س.، ص٤٩.

(٣) السنوات ١١٦٧، ١١٩٥، ١٢٠٠، ١٢٠٣، ١٢٠٥.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٥١.

إلى سِيَر أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم». أما عند السريان، الذين لم يكن لهم ملوك ولا أمراء، فإنّ الهدف لا يمكن إلّا أن يكون مختلفاً.

والمؤرِّخ يبيِّن عادة هدفه في مقدّمة تاريخه. أما مُقدمة ديونيسيوس المزعوم فمفقودة، إلّا أنّ بعض الجمل المميَّزة الّتي تعترضنا في ثنايا النص تومئ إلى فكرته: «من أجل أن يبقى ذكر هذا الزمنِ الرديءِ والظُّلم المرير الذي ذاقته الأرض في أيامنا وفي زمننا. كلّ هذا من أجل أن تؤدي رؤية آلام الأجيال الماضية إلى صَرْفِ الأجيال اللاحقة عن الشرِّ، وإلّا عوقبت هي أيضاً». إنّ ما يرمي إليه المؤلّف إذاً، إنما هو العِبْرةُ الخلقيّة المستخلصة من رؤيته المتشائمة للتاريخ[1].

أما ميخائيل السريانيّ فإنّ مقدمته توضح تماماً أنه يستهدف هدفاً مغايراً لأهداف المؤلفين السابقين. فهو يقول: «إخواني المؤمنين المجتهدين، اعلموا أنني لما نظرت في التواريخ الكثيرة إلى الأخبار الحريّة بأن تعرف، فقد أحجمتُ عن تفصيل تلك الّتي يمكن الوقوف عليها في التواريخ الموجودة ثم جمعتُ ممَّا أخذته عن الكتّاب الكنسيّين وغيرهم ما وجدته مفيداً ولائقاً من أجل أن أنبّه أقواماً من الكسل المميت وأبدِّد ظلمات الجهل، رافعاً بصري إلى الثواب عن تعبي. وأتركُ هذا الكنزَ للكنيسة ولمعلمي أبناء أورشليم الجديدة، لكي أُخَلَّد بعد زمني»[2].

---

(١) فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٣٣؛ عيسى، صلاح الدين وملحمة الأيوبيين، ص٢١٢.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ١/ ١٩.

إنّ الكلمتين الأوليين تسترعيان الانتباه: فالكاتب يكتب للإخوة المؤمنين (للموعظة الحسنة) وللإخوة المجتهدين (للتنوير)، مع هدفٍ ثالثٍ ثانوي: ترك أثرٍ يُذكَر به اسمه.

أمّا ابن العبريّ، ولا سيّما في مؤلفاته السريانيّة المكتوبة للسريان، فإن «الهدف الأساسي من حياته وأعماله كان»، على ما قال بودج[1]: «إثارة اهتمام السريان بتاريخهم ولغتهم وأدبهم، ومعاونتهم على صيانة مكانتهم كقوّة فاعلة في غرب آسيا. وقد حاول إفهامهم أهميَّة الاطّلاع على شيءٍ من العلوم، سواء ما كان منها لليونان أو ما كان للعرب».

كان غرضه، بعبارة أُخرى، تنبيه السريان إلى إدراك ما يكوّن هوّيتهم، وصيانة ذاكرة الشعب القومية مساعدة له في الحفاظ على خصوصيته. وقد كَتَبَ هو نفسه في مستهل تاريخه السريانيّ: «والتذكير بالأمور، الصالح منها والطالح، الّتي حدثت في كلّ جيل يعود بمنفعةٍ غير قليلة الشأن على كلّ من كان شديد الحرص على اكتساب ما هو خير ليصرفه إلى انتباذ ما هو شرّ». نجد هنا، مرّة أخرى، الغاية التعليميَّة الّتي نبّهنا إليها لدى المؤلّفين السابقين ولا سيّما ميخائيل السريانيّ[2].

ولكن كلّ شيء يختلف عندما يكتب ابن العبريّ، استجابة لطلب بعض الأعيان من أصدقائه العرب، بالعربيّة مباشرة ما كان كتبه بالسريانيّة، ويصنّف ما قد صار يُعرف خطأً بكتاب المختصر. إذ إنه كيَّف نصّه بحيث يُلائم قارئه الجديد، كما فعل في كلّ ما كَتَبَ من «مختصرات» علمية وغيرها. وهو يشدِّد هنا على ما قام به العلماء

---

(١) ميخائيل الكبير، م. س.، ١/١٩؛ فييه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، م. س.، ص٣٣.

(٢) Courbag, Youssef And Fargues, Philippe, *Christians And Jews Under Islam.* p.195.

النصارى، ولا سيّما الأطباء، من دورٍ مهمٍ في ازدهار الحضارة العربيّة. ومعلومٌ أنه هو نفسه، الطبيب الفلكي والمؤرّخ، فضلاً عن منصبه الدينيّ، قد عمل، بالتعاون مع نصير الدين الطوسي وغيره من العلماء، في المرصد الرائع الذي بناه هولاكو في مراغة بأذربيجان.

الإلهية المركز في التاريخ السريانيّ

إنّ نظرة المؤرّخين السريان إلى تاريخ إلهية المركز، كنظرة المؤرّخين العرب. فالله يتدخل مباشرة في التاريخ، يُثيب عندما يمنُّ بالنصر، وينتقم ويُعاقب عندما يُمنّ بالهزيمة[١]. والمثال الأوضح على هذا هو ما يذكره إيليًّا برشينايا[٢]:

وفي السنة الرابعة بعد الثلاثمائة للهجرة وفيها دَخَل متوحدان، وهما كاهن وشمّاس، دير الربّان كبرونا ليقيما القدّاس في المذبح. فخرجت نار من مبخرة الشمّاس أشعلت ثيابه ثم انتشرت وأشعلت ثياب الكاهن فاشتعلا كلاهما، وقد عُرف أنّهما لم يكونا بارّين.

وعلى العكس من هذا، ما حدث سنة ١٠٤٥م، إذ لم تنجُ من الفيضان في أرزنجان إلّا دار بني قرياقوس السريانيّة، فذلك لأن تلك الأُسرة كانت تميزت بتصدُّقها على الفقراء والمساكين[٣].

ويستعيد ابن العبريّ نص ميخائيل السريانيّ[٤]، ويعبّر هو الآخر عن

---

(١) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٣٣؛ فييه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧؛ عيسى، صلاح الدين وملحمة الأيوبيين، ص٢١٢.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ١/ص١٩؛ فييه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، م. س.، ص٣٣.

(٣) ميخائيل الكبير، م. س.، ١٩/١.

(٤) ابن العبريّ، تاريخ الزمان، ص١٦٩؛ ميخائيل الكبير، م. س.، ١٩/١.

ارتباك العرّافين أمام كوارث نعدُّها اليوم طبيعية. فمن ذلك أنّ «في تشرين [من العام ١١٥٤] سار الرجال والنِّساء في الفرات قادمين من حصن زياد إلى جوباس ليحضروا موسم مار أغريباس فغرقوا جميعاً في النهر واختنقوا، وغلب على الكثيرين الريب في الدين. فكتب رجال الكنيسة احتجاجاً ذا ثلاث نقاط، الأولى: يجب ألّا ننتقد أحكام البارئ تعالى غير المدركة. والثانية: أن أولئك الرجال والنِّساء لم يذهبوا ليتبركوا في تذكار الشهداء يومئذٍ، بل ليتنزهوا ويتهتّكوا. والثالثة: يجب ألّا نُحصي في عداد الهالكين من يحكم الربّ بأن موتهم خيرٌ من حياتهم، وإنما يهلك الوثنيون لا المؤمنون».

هذا النص ذو الوقع التقليدي لا ينمّ عن العاصفة الّتي عصفت بين مفكّري المغاربة من السريان في القرن السابق، يوم تجرأ أحدهم على طرح المسألة: هل تقع الشرور والنوائب والكوارث والحوادث والفتن بإرادة الله أم لا؟

يروي ميخائيل السريانيّ القضيّة بتفاصيلها[1]، فقد كانت نَشِبت مناوشة أولى غير مؤّرخة بين الذي أجاب بالنفي عن هذا السؤال، وهو يوانيس أُسقف ماردين، وبين طيماثاوس أُسقف جرجر وأبي غالب الراهب. فقد «نهض هذان»، في ما روى ميخائيل، «بحقّ في وجه هذا الزعم ولكنهما عجزا عن إقامة البرهان القاطع في هذا الشأن. فطويت المحاجَّة وسكنت إلى حين»[2].

من المناسب أنْ نذكُر، قبل إيراد المعركة الكبرى، كيف يعرِّف ميخائيل بصاحب الفكرة الثورية. إنه «مار يوانيس الماردينى الذي كان

---

(١) ميخائيل الكبير، م. س.، ١/ ١٩؛ فييه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، م.س.، ص٣٣.
(٢) ميخائيل الكبير، م.س.، ١/ ١٩.

بمثابة عين العالم كله في دار الأرثوذكس وكان يُعدّ ذخراً من بركة مذخوراً لشعب الأرثوذكس، مواظباً على تعليم الأسرار الإلهيَّة مُجتهداً في ذلك وسعه». ويحاول ميخائيل، الذي كان معجباً به، أن يجد الأعذار في ذهابه مذهباً لا يوافقه هو عليه: «ولما كان لم يُنَشَّأ في طفولته على عقائد الكتاب المقدَّس، وإن كان مواظباً في شيخوخته على قراءته ومتمكّناً من الأسرار الإلهيَّة المكنونة فيه، فقد تراءى له أن ليس من اللائق أن يقول المرء أو يظن أن النوائب وغيرها من صنوف البلاء هي ممَّا ينزله الله بخلقه».

ولما أخذ عماد الدين زنكي الرُّها مرتين في العام ١١٤٤م[١]، وتناهى إلى سمع يوانيس المارديني ما تهامس به سائر شعب النصارى مُتسائلين: «لِمَ يأذن الله بذبح القسس والرهبان القديسين وبافتضاض الأبكار، إلخ»، كَتَبَ يوانيس المذكور صراحة: «إنّ الله لم يأمر بأن يحكم الترك الرُّها وتلّ أرسنياس، ولا بغير ذلك من المصائب... ولو كان للفرنج عسكرٌ بالرُّها لما استطاع زنكي أن يستولي عليها». وعمل «جزءاً مطولاً» في إثبات رأيه مُستعيناً بآيات الكتاب المقدَّس (التي يرى ميخائيل السريانيّ أنه أساء تأويلها) و«بالبراهين الطبيعية». وممّا يؤسف له أن الكتاب مفقود[٢].

وهبَّت معارضة لاستقبال هذا الكفر. فكتب في الردّ عليه كلّ من يوانيس أُسقف كيسوم، ويوحنا براندرياس أُسقف منبج ثم طور عبدين والقس صليبا الكريكاري. أما الذي أعجب البطريرك ميخائيل بأفكاره

---

(١) شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص١٢١.

(٢) عيسى، الحملات الصليبيَّة، ص٢٣٦؛ زكار، الموسوعة الشاميَّة، ١٧/٥؛ عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٧؛ رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٧.

فكان ديونيسيوس بن الصليبي، الذي ما كان آنئذٍ إلّا شمّاساً في ملطيّة. فقد ميَّز هذا الشماس «وجهَيْن» للتدخل الإلهي: الأوَّل بالإرادة والأمر، والثاني بالإذن. وقد عُقد مجمع كنسي، لم تصلنا وقائعه، ووجد هذا الجواب كاملاً وأثاب ديونيسيوس برسمه قساً ثم أُسقفاً. وقد مات هذا حوالى العام ١١٧١م في آمد. أما يوانيس فلا يُذكر أنه أُدين؛ وقد مات في العام ١١٦٥م عقب سقوطه عن فرسه، فأبَّنه البطريرك ميخائيل[1].

نذكُر قبل مغادرة يوانيس الماrديني، أنّه ألّف رسالةً في الديارات الّتي رقّمها في أبرشيته[2]، وهي رسالة يُلمّح فيها أيضاً إلى حسّه النقدي. فهو يلاحظ، بعد إحصائه هذه العمائر، أن أعمال قديسيها مفقودة في كثيرٍ من الأحوال. ويضرب على ذلك مثالاً من أعمال «مار بهنام الذائع الصيت الذي لا يزال يعمل اليوم، كما في أيام الرسل، العجائب لكلّ من قصده واثقاً، وإن لم يكن له تاريخ مكتوب، بل جلّ ما بقي عنه سيرة محفوظة في الصدور تزيد أو تنقص حسب أهواء الرواة».

إن آراء يوانيس الماrديني، وإن قاربت آراء «الوثنيين، الذين زعموا أنّ الأحداث تقع من تِلْقاءِ ذاتها، من دون أي تدخّل إلهيّ، فقد أحدث تطرّفها في نفسه صدمةً واستجرّ أوَّل ردٍّ متزن، أعني ردَّ ديونيسيوس بن الصليبي الذي أيَّده فيه البطريرك ميخائيل ووافقه عليه. وكان السريان قد بلغوا بذلك نظرةً مختلفةً قائمةً بنفسها»[3].

والحق أنَّ هذه الإضاءة الجديدة لم تحظَ بالوقت الكافي لتظهر في

---

(١) فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، م. س.، ص٣٣؛ عيسى، صلاح الدين وملحمة الأيوبيين، ص٢١٢.

(٢) زكار، م.س.، ١٧/٥؛ عطية، م. س.، ص٢٤٧.

(٣) زكار، م.س.، ١٧/٥؛ عطية، م.س. ص٢٤٧.

الكتابة التاريخيّة. إذ إنَّ معاصري الأزمة، من أمثال الرُهاوي المجهول وميخائيل السريانيّ نفسه، استمروا في استعمال الصيغ التقليدية: «ومنَّ الله بالنصر على...» وما شابهها. وليس بعدهما إلّا مؤرِّخ واحد هو ابن العبريّ، وقد رأينا أنه اكتفى في معظم الأحيان بدور التصنيف[١]، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى أنّه لم يكن من الحصافة في زمنه (كما من قبل) أنْ يُبدي المرء أحكامه على الأشياء.

ومع ذلك فمن الملحوظ في تاريخه أنه قلّما نسب إلى الله دوراً فاعلاً في الحوادث. كما أن في هذا المؤلّف ذاته نصاً قصيراً يذهب فيه ابن العبريّ نفسه أو أخوه برصوم، إلى أبعد ممَّا ذهب يوانيس المارديني، إذ يقول: «فيا لغرابة الطبيعة في تدبير الأمور. فإنها إذا ضلَّت في بعض الأحوال وأكرمت الدنيء ورفعته، فذلك إلى حين، ثم لا تلبث حتى تُصْلِحَ الخطأ بيسرٍ وسهولة. فكأنّ الطبيعة تندمُ على ما أخطأت وتتوب فتعود عمَّا فعلت وتضع من كانت رفعت وتحطّه من عليائه».

أما سيرة البطريرك يابالاها الثالث والربّ برصوما[٢]، وهي آخر النّصوص تاريخاً (١٣١٢) فإنها تتردّد بين الوعظ والإرشاد وبين «الوصف السريري»[٣].

---

(١) فيه، م.س.، ص٣٩ ـ ٤٧؛ رشدي، م.س.، ص٣٣؛ عيسى، م.س.، ص٢١٢.

(٢) فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧؛ عيسى، صلاح الدين وملحمة الأيوبيين، ص٢١٢.

(٣) فيه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧؛ عيسى، م. س.، ص٢١٢؛ الربيعي، نصارى العراق في العصر الأمويّ، ص٧٣.

المبحث الثاني

منهج التدوين التاريخيّ عند العرب المسلمين

أولاً: منهج الطبريّ العام

لما جاء الإسلام، وقامت الدَّولة العربيّة، ومسّت الحاجة إلى معرفة سيرة النبي محمد استقصاءً للسُّنة، توافر رجالٌ على جمع أخبار السيرة وتدوينها، فكان ذلك بدء اشتغال العرب بالتاريخ، وأقدم من كَتَبَ في السيرة: عروة بن الزبير بن العوّام المتوفّى في العام ٩٣هـ/ ٧١١م، وأبان بن عثمان بن عفّان المتوفّى في العام (١٠٥هـ/ ٧٢٣م)، ووهب بن منبّه المتوفّى في العام ١١٠هـ/ ٧٢٨م[١].

ثم انتهى علم السيرة والمغازي إلى محمّد بن إسحاق المتوفّى في العام ١٥٢هـ/ ٧٦٩م[٢]، وقد اختصر سيرته ابن هشام المتوفّى في العام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. ومختصره هذا هو الذي بين أيدي النَّاس اليوم. ثم محمّد بن عمر الواقديّ المتوفّى في العام ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وكثير من روايته مضمّن في كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد المتوفّى في العام

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ص٢١٧؛ أمين، ضحى الإسلام، ٢/ ٣١٩ ـ ٣٣٩.

(٢) ذكر محمد توفيق حسين أنه عثر على نسخة مخطوطة كاملة من سيرة ابن إسحاق، وهي الآن قيد التحقيق في المملكة العربيّة السعودية. علي، م. س.، ص١١٧.

٢٣٠هـ/ ٨٤٤م. وتضافرت مواد أخرى على نماء التاريخ وتطوره، منها علم التفسير الذي أوجد أكثر مادة ما قبل الإسلام، إلى المبتدأ، كما اصطلح القدماء عليه، وهو القسم الذي يسبق السيرة وينتهي بابتدائها. ولما كان النبي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، كان من الطبيعي لمعرفة تاريخ الرسالة وسيرة النبي محمد دراسة أحوال الرُّسُل والأنبياء الذين جاؤوا قبله، ونوع رسالتهم، والأقوام الذين اتّبعوا الرسالة أو رفضوها، فتوسع مجال التاريخ بذلك وارتبط بالتاريخ العام، وأصبحت هذه الدراسة مقدّمة لدراسة تاريخ النبي محمد والرسالة أو السيرة كما يقال لها عند العلماء[١].

ويمكن أن يقال عنها إنها بداية السيرة، ولذلك قيل لها: «المبتدأ» أو «المبدأ»[٢]، وتبدأ بتاريخ آدم في العادة، ثمّ تستمر إلى أن تصل إلى «السيرة» الّتي تبتدئ بالنَّسب، أي نَسَبِ النبي محمد[٣]، ثم صار أن يلحق بالسيرة قسمٌ آخر يمكن أن يقال له «المغازي» وهو القسم الثالث والخاتمة.

لقد دلّ هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطوّر مهم في الفكرة التاريخيّة، وفي المفهوم التاريخيّ، كما دلّ على شعور المؤرِّخين بأن التاريخ العربيّ صفحة من صفحات كثيرة مطوية تكوّن منها التاريخ العالمي، وأنّ هذا التاريخ لا يمكن أن يبقى بمعزل عن تاريخ الشعوب الأخرى. وقد تطورت هذه النظرية في القرن

---

(١) علي، م. س.، ص١٩٨.

(٢) أُلِّفت كُتُب عدة قيل لها «المبدأ» أو «المبتدأ»، وهي في قصص الأنبياء.

(٣) تطور هذا القسم إلى تدوين الأنساب وأيام العرب لأسباب كثيرة، منها حاجة الشعراء إليها للمفاخرة والهجاء أو لتقدير العطاء للجند، أو للرد على اليهود والشعوبية. علي، م. س.، ص٢١٧.

الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ بظهور المؤلّفات الواسعة الّتي أحسنت فأفاضت في القسم الثالث فذيّلته بتاريخ الخلفاء، وبتاريخ الشعوب الإسلاميّة، والأمم غير المسلمة مثل الروم، وإن كنّا لا نستطيع في الواقع أن نتكلم على تدوين تاريخيّ منظّم منتظم لها، لأسباب قد تكون مقبولةً بالقياس إلى عُرْفِ ذلك الوقت وعقليته، مثل بُعد المسافة، والاختلاف في الدين والحروب الّتي باعدت بين الطرفَيْن[1].

إننا لا نستطيع في الواقع أنْ نتكهّن باسم أوّل من اتّبع هذا الأسلوب ودوّنه في كتاب. فمحمّد بن إسحاق بن يسار المتوفّى في العام ١٥١هـ/ ٧٦٨م، صاحب السيرة الذي سار في مؤلّفه على هذا التقسيم الثلاثي[2]: «المبتدأ» و«المبعث» و«المغازي»، عُدّ أبعد أُفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه، لأنّه نزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي محمد فحسب، بل إلى تاريخ النبوّة نفسها أيضاً، وكان في هذا الأسلوب المبتكر يشمل أقساماً ثلاثة: «المبتدأ» وهو تاريخ عصر ما قبل الإسلام منذ الخليقة، وقد استمد أكثره من وهب بن منبّه ومن المصادر العبريّة، وهو ما يسمّى بالإسرائيليات، ثم «المبعث» وهو تاريخ سيرة النبي محمد حتى السنة الأُولى للهجرة، فـ«المغازي». وقد تناول هذا التاريخ إلى وفاة النبي محمد[3].

إنّ هذا الأسلوب لا يمكن أن يكون مُبتكراً، لأنّه سبق أنْ استعان بمؤلفات وهب بن منبّه الذي اتّبع هو نفسه هذا الأسلوب الثلاثي، ومن

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ١٥١؛ الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص١٣١ ـ ١٣٦.

(٢) ابن النّديم، الفهرست، ص٩٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٢١٥ ـ ٢٢٤؛ أمين، ضحى الإسلام، ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣٣.

(٣) أمين، م. ن.، ٢/ ٣٢٨ وما بعده.

الكتب الّتي ألّفها أو أملاها «كتاب المبتدأ»[1] أو «المبدأ» أو «كتاب المبتدأ والسيرة» أو «مبتدأ الخلق»[2] أو «البدء».

لقد كان من الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة المنوّرة، لأنها الموطن الأصلي للدعوة الإسلاميّة وحاضرة النبي محمد والخلافة، ومنها انتشر الإسلام، فاكتست السيرة ثوباً مدنياً، وطُبعت بالطابع الذي تميّز به أهل الحجاز، وهو ميلهم إلى الحديث، فاتخذت شكل الرواية المجرّدة من النقد، والتحليل والتدقيق. غير أن هذا الاحتكار، وإن دام طوال عهد الخلفاء الراشديّن وأيام الأمويّين بصورة عامة، لم يتمكّن من المحافظة على مركزه في العصر العباسيّ، بسبب انتقال الحاضرة إلى بغداد، فتضعضع في أيام الخليفة المنصور بهجرة محمّد بن إسحاق أو قبل ذلك بقليل، وظهر منافسون لعلماء السيرة المدنية، ظهروا في البصرة والكوفة وبغداد، وهم وإن كانوا قد تأثروا بسيرة ابن إسحاق المستمَدَّة من روحية أهل المدينة، وهم أهل منهج الحديث، فإنّ الأمور سرعان ما تبدّلت عندهم وظهرت روح العراق الميّالة إلى النقد، والإيجاز، وتحكيم العقل بجلاءٍ في الروايات المأثورة عن علماء هذه المدن المدوّنة في كُتُب التاريخ بسبب زيادة التفاعُل الحضاريّ مع الأُمم الأخرى من ناحية، وظهور كثيرٍ من الفِرَقِ الإسلاميّة واختلافها حول موضوع الخلافة والإمامة من ناحيةٍ ثانية، ما دفعهم إلى اللجوء إلى النقد والتحليل ومحاولة كلّ طرف إثبات رأيه بالحجّة والبيّنة[3].

---

(١) ابن النّديم، م. س.، ص١٣٨.

(٢) الشنشتاوي، دائرة المعارف الإسلاميّة، ص٤.

(٣) الدوري، م. س.، ص١١٨؛ علي، م. س.، ١٥٣.

وشهد القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلاديّ توسُّعاً آخر في البحوث التاريخيّة، سواء في المغازي أو بظهور فكرة تدوين تاريخ الخلافة والخلفاء، بعد أن سبق هذا الفرع ظهور مؤلّفات كثيرة في الأحداث «هيّأت للمؤرّخين الذين دوّنوا تاريخ الخلافة مادة متينة كانت ضرورية لتدوين التاريخ العام، ووضعت بين أيديهم عدداً من الوثائق النادرة الّتي أُخِذت من شهودِ عيان أو من رجالٍ كانوا على اتصال بهم»[1].

ويكاد العراق يحتلّ المكانة الأُولى بين الأقاليم العربيّة والإسلاميّة في تدوين كُتُب الأحداث وكتب تاريخ الخلافة في عهدها الأُمويّ، لا ينازعه أحدٌ في ذلك. ويبدو ذلك غريباً، فهو لم يتمتع بمركز الخلافة إلّا مدة قصيرة جداً، ولم ينظر إليه الأُمويّون بارتياح. وقد كان خليقاً بأهل الحاضرة تدوين هذا التاريخ، لأنهم أقرب النَّاس من دائرة الحكم وأعرفهم بأسرار الأمور. وكان على أهل الشام أن يكونوا كأهل المدينة المنورة على الأقل، أولئك الذين تحوّلت الحاضرة عنهم، ومع ذلك لم يقطعوا صلتهم بتاريخ الخلافة. ويبدو أن سبب عدم اهتمام أهل الشام بتدوين التاريخ، عائدٌ إلى تركيز اهتمام الأُمويّين على الأمور السياسيّة أكثر من اهتمامهم بالأمور الدينيّة كالسيرة والخلافة. بينما ظلّ رواة المدينة على اتصالٍ بالأحداث، وإن كانوا قد اقتصروا في الغالب على ما له علاقة بالحجاز والحجازيّين وبالخلافة من حيث علاقتها بالأقطار الّتي لها صلة بالحجاز عامة، ولذلك كانت مدارسها التاريخيّة لا تحفلُ بأمرِ الشام إلّا بقدر ما لهذا الأمر من علاقةٍ بالحجاز.

كانت المدينة المنورة قَلْبَ المجتمع الإسلاميّ النابض، والمركز الروحي للثقافة العربيّة والإسلاميّة إلى أن نازعتها على الرئاسة مدينة

---

(1) علي، موارد تاريخ الطبريّ، ١٥٥.

أخرى هي بغداد، فأخذت مكانها حتى في رواية السيرة والمغازي الّتي كانت من خصائص المدينة المنورة.

فلما تحوّلت الخلافة إلى العراق، توجّهت أنظارهم نحو هذا المكان، وحلّت ديار الشام في المنزلة الثانية عند الرواة.

ومن المؤلّفات الّتي اعتمدت على رواية المدينة، أو الّتي أُلِّفت بتأثير هذه المدرسة، مثل سيرة ابن إسحاق أو مؤلّفات أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن صاحب «كتاب المغازي» المتوفّى في العام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م[١] والواقديّ وغيرهم. وتظهر غزارة المادة التاريخية في تاريخ الخلفاء، ووثائق مخطوطة اتّخذوها وأمثالهم مراجع رجعوا إليها. وكانوا قد رتبوا أنباء الخلفاء والولاة، وحكام الولايات الكبرى، وغزو الروم، وغير ذلك على صور حوليات مُتقنة الصنع ترتيباً زمنياً عاماً فعاماً[٢]. ويمكن القول إنَّ سبب اهتمام أهل المدينة أيضاً يعود إلى سبب سياسي لفقدانها مكانتها السياسيّة، فكان الاتجاه نحو العلوم الدينيّة كالحديث وعلم التاريخ.

والظاهرة البارزة الّتي نراها عند المؤرّخين القدماء أنّهم في أغلبيّتهم كانوا من أصحاب الحديث، فكانوا يتّبعون في تدوينهم وفي معالجتهم للتاريخ أُسلوب المحدّثين، فظلّت طريقة الإسناد مرعيّة رعايةً تامّة إلى نهاية القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، وقد جرّح جماعة من المحدّثين قسماً من أصحاب التواريخ مثل ابن إسحاق لأنّه تساهل في الأسانيد[٣].

---

(١) لأبي معشر مكان في العلم والتاريخ، وتاريخه احتجّ به الأئمة، وضعّفوه في الحديث. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١٠/ ٤٢٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٢٧٨.

(٢) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص٥٥.

(٣) جب، م. ن.، ص٥٦.

وقد سلك المدائني المتوفّى في العام ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م[١]، وهو من كبار رواة البصرة، طريقاً وسطاً بين أبي مخنف وجماعته من رواة الكوفة ورواة المدينة الذين عرفوا بشدّتهم وصلابتهم في الحديث واستمرارهم على الجادّة، فأخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب النقد الذي يتماشى مع مذاهب أهل المدينة، وغدا بذلك المرجع المهمّ لمصنّفات المؤرّخين الذين جاؤوا من بعده[٢].

وكان للمدائني ولعٌ خاصٌ بتاريخ البصرة وخراسان، لذلك اعتمد عليه الطبريّ[٣] في كلّ ما رواه عنهما.

ويجب ألاَّ ننسى أنَّه كان متأثراً بوجْهَةِ نظرِ العباسيّين، وتحت هذا المؤثّر كَتَبَ في نهاية الدَّولة الأُمويّة ومجيء الدَّولة العباسيّة[٤]. وقد تأثّرت البصرة بمذهب المدائني وبمذهب أهل المدينة. ونظراً إلى وجود علاقات تجاريَّة بينهما وبين اليمن، تأثّرت بآراء الصنعانيين الذين عُرِفوا برواياتهم الأساطير والإسرائيليات، وهي على الجملة أقلّ حدّة من الكوفة، وأقرب من الكوفيّين إلى مذاهب المحدّثين، وأقلّ تعصّباً على الأُمويّين.

إنّ التشابه بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الأخبار والتاريخ في الرواية، دفع جماعة من المستشرقين[٥] الذين عنوا بكيفيّة نشوء علم التاريخ عند العرب إلى أن يقولوا: «إنّ التاريخ وليد علم الحديث»،

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ٥٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٥/ ٣٠٩؛ ابن النَّديم، الفهرست، ص١١٣.
(٢) فلهاوزن، تاريخ الدَّولة العربيّة، ص٦.
(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١٠/ ٣٤٤.
(٤) فلهاوزن، م. س.، ص١٣٢.
(٥) من هؤلاء المستشرقين: بروكلمان، ودوزنثال، وسنركين، وفلهاوزن.

ودفع جماعة آخرين إلى أنْ يقولوا: «إنَّ التاريخ وليد علم السيرة والمغازي». وقد ظهرت كُتُب السيرة والمغازي بعد كُتُب الحديث، وهي باب من أبواب الحديث. لذلك كان علم التاريخ وليد علم الحديث، وحجّتهم في ذلك أن كُتُب التاريخ إنما ظهرت بعد كُتُب الحديث، وأنّ العرب كانوا في حالٍ من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه إلى تدوين مدوّنات في التاريخ[1].

لا يستند هذا الرأي إلى حجّة، ولا يمكن تشابه الحديث والتاريخ في طريقة الرواية أن يكون دليلاً على تولّد علم التاريخ من الحديث. إنّ التاريخ كان قديماً قِدَم الحديث، وكان النَّاس يدوّنون الحوادث ويعتنون بتاريخ الماضين، وكان الخلفاء يعتنون به عنايتهم بالحديث، ووضِعت كُتُب في هذا الباب ولكنَّها للأسف فُقدت، كما فُقدت أكثر الكتب الّتي أُلِفت في الحديث في العصر الأمويّ. وقد جرى ذلك كما يجري عند سائر النَّاس وعند سائر الأمم، فإنّ الإنسان إنسان، وتاريخه تاريخ إنسان.

نبغ في القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ عددٌ من المؤرِّخين حقّقوا تلك الفكرة الّتي جاشت في الرؤوس، وهي تدوين تاريخ عام للعالم استناداً إلى الموادّ المتقدّمة وإلى مواد أخرى ظهرت نتيجة العصر. هذه التواريخ بدأت بالخليقة، ثم أوجزت في تاريخ الشعوب الأخرى، ولا سيّما في تاريخ الروم والبيزنطيّين، ولكن الدهر أتى على أكثرها، ولم تكن معلومات المؤرِّخين في هذا الباب كافية، ولم يدلّ هذا القسم على قابلية حقيقية لفهم التاريخ، كما أنّ ما دُوِّن بوصفه تاريخاً للعالم لم يكن تاريخاً للكون بالمعنى المفهوم من التاريخ.

---

(١) ينظر: دوزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص٨٧؛ سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ص٣٩٥ ـ ٤١٤.

ثم إنّ هذا التاريخ لا يكاد يهتم بتاريخ سائر الشعوب، بل حصر المؤرّخون كلّ انتباههم بتاريخ الإسلام[1]. ومن هؤلاء أحمد بن أبي يعقوب بن واضح العباسيّ المعروف باليعقوبيّ المتوفّى في العام (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وتاريخه المعروف ب ـ «تاريخ اليعقوبي»[2].

ومن خيرة المؤلفات الّتي تمكّنت من مجالدة الزمان، ووفقت بين المواد المستمدّة من التفسير، والحديث، واللُّغة، والأدب، والسيرة، وتاريخ الأحداث، وتواريخ الخلفاء فجمعتها في صعيدٍ واحدٍ، وحفظت لنا نماذج من الكتب الّتي أتى عليها الدهر، كتاب «تاريخ الأُمم والملوك»[3] أو «تاريخ الطبريّ»، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ الذي نُخصّص له هذه الدراسة المستفيضة. وقد برع المؤلّف في عَرْض الروايات التاريخيّة المختلفة، ناسباً كلّ رواية إلى صاحبها، تاركاً أمر التعليق عليها إلى القارئ ليحكم لها أو عليها بما يشاء. وقد اعتمد الطبريّ في كلّ فصل من فصول كتابه على مراجع، منها شفويّة أخذها سمعاً من مشايخه، ومنها مؤلّفات أجيز بروايتها فأخذ منها. وقد جمع كتابه من مصادر كثيرة، فأظهر مقدرةً فائقةً في الجمع بين المصادر والاطّلاع على الكتب الّتي أُلّفت قبله، كما أظهر ذلك في كتبه الأخرى[4].

---

(١) العزاوي، الطبريّ ومنهجه في التاريخ، ص١٨٠.

(٢) طبعة المستشرق «هوتسما» «Houtsma» في ليدن ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م. وكذلك طبع في النجف بالعراق. العزاوي، م.ن.، ص١٨٧.

(٣) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص٥٦.

(٤) العزاوي، م. س.، ص١٩٨.

ثانياً: التاريخ ما بعد الطبريّ:

استخدم الطبريّ، كما هو معلوم في تاريخه، منهجَيْنِ واضحَيْنِ هما: المنهج الموضوعيّ، وقد خصّصه لعصر ما قبل الإسلام، والمنهج الحوليّ، وقد استخدمه للعصر الإسلاميّ.

فالمنهج الموضوعي الذي سلكه الطبريّ هو نتيجة عدّة عوامل، منها استخدام السنة أو الشهر أو اليوم كرؤوس لموضوعات في مثل هذه المادة، وغيرها (سيأتي الحديث عنها) على الرّغم من أنه ذكر بعض التواريخ في الحوادث الّتي تحتاج إلى توثيق. وهي تواريخ اشتهرت بين العرب قبل الإسلام وأصبحت من المألوف المتعارف عليه.

وعند دراستنا المصنفات التاريخيّة ما بعد الطبريّ، نجد أنّ الذين نهجوا منهج الطبريّ في كتابة التاريخ، بحسب المنهج الموضوعيّ، جملة من المؤرّخين أشهرهم:

* المسعوديّ[1] (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) في كتابه الشهير «مروج الذهب ومعادن الجوهر»[2].

* أبو إسحاق إبراهيم الصابئ[3] (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) في كتابه «التاجي».

* المحسن بن علي التنوخي[4] (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) في كتابه «نشوار المحاضرة» أو «جامع التواريخ».

---

(١) العزّاوي، المسعوديّ مؤرّخاً، ص٣٢.

(٢) تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٣) ينظر: العزّاوي، دراسة أبي إسحاق إبراهيم بن الصابئ مؤرّخاً، الّتي تضمنت دراسة حياته وآثاره ومنهجه في التاريخ.

(٤) العزاوي، المنهج التاريخيّ عند المؤرّخين العراقيين في العصر العباسيّ الثالث، ص٤٥.

* هلال بن المحسن الصابئ[1] (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) في كتابه «الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان»، وغيرهم من مؤرِّخي العرب والإسلام الذين سلكوا مثل هذا المنهج.

أما المنهج الحوليّ الذي سلكه الطبريّ في مادّته للعصر الإسلاميّ، فقد نهجه كثيرون من المؤرِّخين اللاحقين له. وأكثرها ذيولاً على تاريخه[2]، ومن هذه التواريخ:

* عريب بن سعد القُرطبيّ في «صلة تاريخ الطبريّ».

* أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطيّ الكوفيّ في كتاب «الوامع الأمور».

* عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانيّ في «كتاب الصلة».

* أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني ـ وصل تاريخ أبيه.

* ثابت بن سنان الصابئ ـ تتمة.

* هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ ـ تتمة.

* محمّد غرس النعمة بن هلال بن المحسن الصابئ في «عيون التاريخ».

* محمّد بن عبد الملك الهمدانيّ في «تكملة تاريخ النبويّ».

* عليّ بن عبد الله بن نصر الحنبليّ المعروف بأبي الحسن الرغوني ـ تكملة.

* العفيف بن صدقة الحدّاد أبو الفرج صدقة. تكملة.

* أبو الفرج عبد الرحمن عليّ بن الجوزي ـ تكملة.

---

(١) العزاوي، المنهج التاريخيّ عند المؤرِّخين العراقيين في العصر العباسيّ الثالث، ص٤٥.

(٢) العزاوي، المنهج التاريخيّ عند المؤرِّخين العراقيين في العصر العباسيّ الثالث، ص٢٥.

* ابن فضيل الهمدانيّ ـ ذيل.
* ابن القادسيّ ـ تكملة.
* الصالح نجم الدين بن المالك الكامل الأيّوبيّ ـ تكملة.

إضافة إلى المؤرِّخيْنِ الكبيرَيْنِ ـ مسكويه، وابن الأثير[1] اللذين أفادا من مادّته في كتابة تاريخهما، وإن كانا قد تجاوزا فيهما العصر الذي كَتَبَ هو فيه. لذلك فإنّ المؤرِّخين بوجه من الوجوه قد أكملوا تاريخه إلى عصورهم، وعمد ابن الأثير إلى استخدام مادّة الطبريّ على نطاق واسع وإلى التوفيق بين الروايات المختلفة الّتي ساقها وسدّ بها الثغرات معتمداً على مصادر أخرى وهذا ما يدلّل على مصداقية منهج الطبريّ وأسلوبه ومادّته في كتابة التاريخ.

أ: المنهج الموضوعيّ:

المعروف عند المعنيّين بالتاريخ أن الكتابة التاريخيّة حسب الموضوعات، هي طريقة كتابة التاريخ إما للدول، أو لعهود الخلفاء والحكام، وإما للتراجم، وإما للأنساب، وإما للتاريخ المحلّيّ وغير ذلك. وإنّ العوامل الّتي أدّت إلى الكتابة التاريخيّة بهذا المنهج تتصل بالتطوّرات الثقافيّة من جهة، وبالتيّارات والاتجاهات العامّة في المجتمع العربيّ الإسلاميّ من جهة ثانية.

وهذا ما يؤكّده الدوري بقوله: «أمّا أشكال الكتابة التاريخيّة فنمت من أُسلوب السيرة، وأُسلوب الأخبار، وأُسلوب الأنساب، وفكرة الأمّة...»[2].

---

(١) كذلك الذهبيّ وابن كثير. العزاوي، الطبريّ ومنهجه في التاريخ، ص٤٣.
(٢) الدوري، نشاة علم التاريخ عند العرب، ص٥٩.

ويمكن للباحث أن يطلق مصطلح «المنهج الموضوعيّ» أو «المنهج الأُفقي» أو «الكتابة التاريخيّة حسب الموضوعات» فكلّها تسميات تعني معنى واحداً.

١ : الموضوعات لغويّاً :

الموضوعات: من الفصل: وضع يضع، وضعاً، وموضوعاً، كما ورد في المعاجم العربيّة[١].

٢ : الموضوعات تاريخيّاً :

إنّ أقدم المؤرّخين الذين كتبوا التاريخ اعتمدوا على المنهج الموضوعي هو ما يسمّى المنهج الأُفقيّ في المصطلح الحديث، إذ اتّخذوا عهود الرسل، والملوك، والخلفاء، والحكام، أو الأمم، أو الدول، مبدأ فريداً في الترتيب، ولم يكن لها تقسيمٌ حوليّ دقيق، كابن قتيبة الدينوري المؤرّخ (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) في كتابه «المعارف». ونهج منهجه اليعقوبيّ (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) في كتابه المعروف بـ«تاريخ اليعقوبيّ»، وكان معاصراً للطبريّ.

وحين ألّف الطبريّ كتابه نهج هذا المنهج في القسم الأوّل من تاريخه، وهو عصر ما قبل الإسلام، منذ الخليقة، ثمّ الرُّسُل والملوك والأمم القديمة إلى البعثة النبويَّة الشريفة، فكان يتحدّث عن الموضوع الواحد حديثاً منفصلاً، من بدايته إلى نهايته.

وكان أوَّل حديثه عن الزمان[٢]، وعن قدر الزمان من ابتدائه إلى انتهائه، ثم ينتقل إلى الحديث في ابتداء الخلق، وإلى الليل والنهار،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ١٧٩؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣/ ٩١.

(٢) الطبريّ، تاريخ الرُّسُل، ١/ ٩ وما بعده، وأكّد الطبريّ نفسه ذلك في مقدمته: ١/ ٦ ـ ٧.

والشمس والقمر، فالحديث عن إبليس وسقوطه، وآدم وهبوطه مع حوّاء إلى الأرض، والموضع الذي هبطا فيه وذكر وفاة آدم. ويتحدّث عن الأنبياء نوح، وإبراهيم، وإسحاق، وأيّوب، ويعقوب، وموسى، ويورد أخباراً عن بني إسرائيل، ويذكر سليمان وداود، وأخبارهما. كذلك يذكر من ملك إقليم بابل والمشرق، وسنحاريب، وبختنصّر.

ويعرّج على ملوك اليمن في أيام قابوس، ويذكر الأحداث الّتي كانت أيام ملوك الطوائف، وقصة عيسى ومريم. وينتقل في الحديث إلى ملوك الفرس، وكذلك ملوك الروم ومن ملك منهم أرض الشام. ويذكر نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف. ثم يتناول ذكر طسم وجديس[1].

وفي الجزء الثاني من تاريخه يتحدّث عن أهل الكهف، وعن الأنبياء يونس بن متى وجرجيس وغيرهما، وعن ملوك الفرس وسنيّ ملكهم. وينتقل إلى ذكر مولد النبي محمد، وذكر خبر يوم ذي قار.

ويعرج على ذكر نسب النبي محمد، ويذكر بعض أخبار آبائه وأجداده، وزواجه من خديجة، تمهيداً لعهد الرسالة. وآخر فقرة وردت في هذا القسم هي ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ[2].

وكما ذكرنا، لم يكن بإمكانه اتّباع التسلسل الزمني الحوليّ في هذه الفترات الغامضة السابقة للإسلام، لذا أوردها على أساس الموضوعات، بالشكل الذي يسمّى بالمنهج الموضوعي. ويبدو ذلك في حديثه عن الزمان وتعريفه، وقد صدّره بقوله: «الزمان ما هو»:

---

(١) هذه الأخبار وردت في الجزء الأوّل كاملاً من ص٦٣٢.

(٢) شملت هذه الأخبار تقريباً نصف الجزء الثاني من تاريخ الطبريّ من ص٥ ـ ٣٩٣.

«قال أبو جعفر: فالزمان هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدّة والقصير منها.

والعرب تقول: أتيتك زمان الحجّاج أمير، وزمن الحجّاج أمير، تعني به: إذ الحجاج أمير.

وتقول: أتيتك زمان الصرام، وزمن الصرام، تعني به وقت الصرام.

ويقولون أيضاً: أتيتك أزمان الحجاج أمير، فيجمعون الزمان، يريدون بذلك أن يجعلوا كلّ وقت من أوقات إمارته زماناً من الأزمنة، كما قال الراجز:

جاء الشتاء وقميصي أخلاقا شراذم يضحك منه التواق

فجعل القميص أخلاقاً، يريد بذلك وصف كلّ قطعة منه بالأخلاق، كما يقولون: أرض سباسب، ونحو ذلك.

ومن قولهم للزمان: (زمن) قول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وكنت أمرأ زمناً بالعراق عفيف المناخ طويل التغن[1]

يريد بقوله: زمناً، زماناً، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بيّنت ووصفت». وبذلك ينتهي موضوع «القول في الزمان ما هو»[2].

ويتبيّن لنا أن هذا الموضوع لا يتعدّى أكثر من صفحة واحدة من صفحات تاريخ الطبريّ.

وهناك موضوعات أخرى تتوزّع بين صفحة واحدة أو عدّة صفحات،

---

(١) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٢٢؛ الشريف المرتضى، أمالي، ١/٣١، في اللسان (غنى) والتغني هنا ـ الاستغناء.

(٢) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ١/٩.

وتصل في بعض الأحيان إلى عشر صفحات أو أكثر تبعاً لأهميّة الموضوع، أو توافر المادّة التاريخيّة حول ذلك الموضوع.

إن الكتابة التاريخيّة حسب الموضوعات كانت نتيجة عدّة عوامل يتصل بعضها بالتطورات الثقافيّة أو بالتيّارات والاتجاهات العامّة في المجتمع العربيّ الإسلاميّ.

لذا نجد من الصعوبة بمكان استخدام السنة أو الشهر أو اليوم في مثل هذه الموضوعات، للصعوبة الموجودة فعلاً، وإن ذُكرت السنون في الحوادث الّتي تحتاج إلى توثيق.

ب: تقويم المنهج

مزاياه:

نستطيع فيما يأتي أن نضع أيدينا على أبرز ما يتميز به منهج الطبريّ المعتمد على الموضوعات، وهذه الميزات هي:

* الرجوع بالأحداث إلى مسيرتها الواسعة وتلافي الانغلاق الذي يكون داخل الإطار الحولي للتاريخ، الذي لا يتسع كثيراً لشرح الأحداث ذات البعد الشاسع.
* جمع الحادثة في موضوع واحد، مع ذكر كلّ شيء منها، وهي بهذا تكون متناسقة متتابعة يأخذ بعضها برقاب بعض.
* ذكر تواريخ الدول أو الأُمم من أوائلها إلى أواخرها.
* ذكر الملك أو الحاكم من مولده إلى مماته، ما يجعل الحدث متصلاً من دون انقطاع في الزمن.

بهذه المزايا يتّصف منهج الطبريّ لعصر ما قبل الإسلام، وهو المنهج المعروف بالكتابة التاريخيّة حسب الموضوعات.

مآخذه:

أما المآخذ على هذا المنهج عموماً فتتّضح في سرد الخبر من دون الاعتماد على الرواية المسنَدة، وفي الاعتماد على الإشارة الموجزة للمورد، ما يجعل بعض الحوادث والأخبار الّتي لم يعاصرها المؤرِّخ محط شكّ لعدم إسنادها كتاريخ الرُّسُل والأنبياء، وتاريخ الفرس، وتاريخ الروم، وتاريخ اليهود، وتاريخ العرب قبل الإسلام.

ج: المنهج الحولي

يمكن للباحث أن يطلق مصطلح «المنهج الحولي» أو «المنهج العمودي» أو «نظام السنين» أو «الأحداث حسب السنين» أو «حوليات على السنين» أو «التسلسل الزمني الحولي» على المنهج التاريخيّ المعتمد على التسلسل الزمني للأحداث، فكلها تسميات تعني معنى واحداً. والمنهج الحولي هو أحد المنهجَيْنِ اللذين اتّبعهما المؤرِّخ الكبير الطبريّ[1] في كتابه «تاريخ الأمم والملوك» وخصوصاً القسم الإسلاميّ منه، إذ نهج في القسم الأول، وهو عصر ما قبل الإسلام، الأسلوب الموضوعيّ، وقد أوضحنا ذلك سابقاً.

١: الحوليّات لغوياً

الحول تعني: السنة، كما وردت في المعاجم العربيّة[2]، اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها.

وجمعها: أحوال، وحؤول.

وحال احلول: تمّ، أي: مرّ.

---

(١) هناك من سبق الطبريّ في نهجه هذا.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ١٩٥ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ٧/ ٢٩٣.

والحول كلّ ذي حافر، أوّل سنة حولي.

والأنثى: حوليّة، والجمع: حوليّات.

وحالت الدار، وحال الغلام، أي أتى عليه حول.

قال تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[1].

٢: الحوليات تاريخياً

إنّ التطوّر السياسيّ، والإداريّ، والعلميّ، والثقافيّ، الذي رافق الخلافة العباسيّة منذ نشوئها، واتخاذها بغداد حاضرةً لها، ووجود مادة كثيرة في مجالات الثقافة والعلوم والسياسة والّتي عُدّت جديرةً بالتدوين، حثّها على ضرورة إيجاد مبادئ من التنظيم في العمليّة التاريخيّة.

وكان أبرز المناهج الّتي اتّبعها المؤرّخون العرب في الترتيب، هو الترتيب على السنين، وخصوصاً في كتابة التاريخ العربيّ الإسلاميّ، أي ذكر السنين سنة فسنة، أو ما يسمّى بالمنهج الحوليّ، أو المنهج العموديّ للتاريخ.

ويرجع سبب شيوع هذا المنهج في سَرْدِ أحداث التاريخ إلى التنظيم الذي ساد حياة الأمّة، وبدء حركة التدوين، وتتابع الأحداث الّتي واكبت حركة الأُمَّة في فتوحاتها واستقرارها في الأرض، كما يعود إلى أهميَّة التطوّرات الّتي شهدتها الأُمَّة سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً ودينيّاً وحضاريّاً، ومع أن هذه الطريقة لم تكن أكثر من أُسلوب في عَرْضِ

---

(١) القرآن. سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

المادة التاريخيّة، فقد كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في المحتويات التاريخيّة، إذ كانت تحصر دائرة الأحداث حصراً من حيث الزمان والمكان.

قال روزنتال: «يكون علم التاريخ الحولي شكلاً تخصّصيّاً من علم تاريخ السنين، وهو كما يدلّ اسمه، يخضع لتعاقب السنين المفردة»[1].

كانت مختلف الحوادث تجمع في كلّ سنة، وتربط فيما بينها بكلمة «وفيها»، أي في السنة نفسها. وغالباً ما تختتم السنة بذكر بعض التراجم والوفيَّات، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرِّخ إلى حوادث السنة التالية، فتستخدم الجملة الآتية: «ثم دخلت سنة كذا»، أو «ثم جاء في سنة كذا».

إنّ أوَّل مؤلّف عربي دوّن التاريخ على ترتيب السنين أو على الطريقة العموديّة، وبقي لنا كتابه، هو أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، وتاريخه «الأمم والملوك». ويشك روزنتال في أنّ الطبريّ هو أوَّل من طبّق الصورة الحوليّة في كتابته التاريخيّة، فيقول: «نظراً لحجم الكتاب فقد يبدو من غير المعقول أنْ يكون الطبريّ أوَّل من طبّق الصورة الحوليّة على الكتابة التاريخيّة». وقد أبدى أحد المؤلّفين[2] المسلمين ملاحظة صحيحة عندما قال: «إنّ كلّ مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، ومبتدعٍ لأمر لم يتقدم فيه عليه، فإنّه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر»[3].

ويضيف روزنتال قائلاً: «ولدينا بعض الأخبار عن استعمال المؤلفين الأوائل صورة الحوليات على أنّ هذه الأخبار ليست واضحة كلّ الوضوح، لأن وجود كلمة تاريخ في عنوان كتاب لا يعني أكثر من أنّ

---

(١) روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص١٠٣.

(٢) السيوطي، الاتفاق، ١/ ٣.

(٣) روزنتال، م.س.، ص١٠٣.

في هذا مادة زمنية، وقد تستعمل كلمة (تاريخ) للكتّاب الحوليين ولكنّها لا تستلزم الإشارة إلى استخدام الصورة الحوليّة في العرض التاريخيّ على السنين، وهذا يدلّ عادة على أنّ الكتاب مصنّف على هذا النمط»[1]. ويردف موضحاً: «من ذلك أبو عيسى بن المنجّم[2] الذي كَتَبَ قبل الطبريّ كتاباً في (تاريخ سنيّ العالم)[3]، لعلَّ حوادثه كما هو واضح من عنوانه كانت مرتّبة حسب السنين. ومنهم عمارة بن وثيمة (ت٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) الذي صنّف تاريخاً على السنين في القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ[4]. ومنهم محمّد بن يزداد[5] الذي ألّف، حسبما يذكر ابن النَّديم[6]، كتاباً أكمله ابن عبدالله[7] إلى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، ممَّا يدلّ على أن كتاب محمّد بن يزداد[8] كان يتبع منهج التاريخ الحولي»[9].

أما فؤاد سزكين فيقول في ذلك: «هناك اقتباس لما دوّنه أحد الصحابة استخدمه الواقديّ بوساطة حفيد هذا الصحابي، ويتّضح منه أنّ

---

(١) روزنتال، م. س.، ص١٠٣.

(٢) أبو عيسى أحمد بن عليّ بن يحيى بن المنجّم (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)، وليست وفاته ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م. سالم، التاريخ والمؤرّخون العرب، ص٨٧. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣/ ٢٤٣، ابن النَّديم، الفهرست، ص١٦٠.

(٣) المسعوديّ، مروج الذهب، ١/ ٦؛ ابن النَّديم، م. س.، ص١٦١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٧.

(٥) الصواب (أبو صالح عبد الله بن محمّد بن يزداد بن سويد). ابن النَّديم، الفهرست، ص١٣٨.

(٦) ابن النَّديم، م. ن.، ص١٣٨.

(٧) هو أبو أحمد عبد الله بن محمّد بن أبي صالح عبد الله بن محمّد؛ ابن النَّديم، م. ن.، ص١٣٨.

(٨) الصواب في الهامش أعلاه (٦).

(٩) روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص١٠٤.

بعض صحابة النبي محمد كانوا يدوّنون ذكرياتهم على نسق تاريخيّ»[1].
ويضيف قائلاً: «وأقدم البرديّات العربيّة وهي الموجودة في فيّنا، مثل البرديّة المدوّنة سنة ٢٢ هجرية[2] تثبت لنا استخدام التاريخ الهجريّ»[3].

كذلك يوضح لنا قائلاً: «وكان يوسف هوروفتس قد أثبت استخدام التاريخ الهجريّ لدى عبد الله بن أبي بكر ابن حزم[4] المتوفّى سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م أو ١٣٥هـ[5]، في مواده في المغازي[6]، كما كان الزهريّ[7] (ت١٢٣هـ/ ٧٤١م) يستخدم الترتيب الزمني، وكذلك كان كبار الجامعيين أمثال ابن إسحاق[8] ـ رائد التدوين العربيّ للتاريخ العام ـ وموسى بن عقبة[9] بسجلّات بالترتيب الزمنيّ»[10].

---

(١) سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ص٤١٤.
(٢) الموافق ٦٤٢م.
(٣) سزكين، م. ن.، ص٤١٤.
(٤) عبدلله بن أبي بن محمّد بن عمرو بن حزم المدنيّ، ولد في العام ٥٦هـ/ ٦٧٥م أو ٦٠هـ/ ٦٧٩م في المدينة، وروى عن أبيه الذي كان مؤرّخاً ومحدّثاً وفقيهاً، وألف عبدلله في المغازي، وتوفي في العام ١٣٥هـ/ ٧٥٢م. ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٦٨.
(٥) الموافق ٧٥٢م.
(٦) سزكين، م. س.، ص٤١٤.
(٧) أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهريّ، ولد بين عامي ٥٠ ـ ٥٨هـ/ ٦٧٠ ـ ٦٧٧م، وكان محدّثاً ومؤرّخاً. توفي في العام ١٢٤هـ/ ٧٤٢م. وله كتاب في المغازي وكتاب أسنان الخلفاء، وهو سجلّ زمنيّ، احتفظ الطبريّ لنا في تاريخه (٢/ ٤٢٨) بقطعتين منه. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأدباء، ٣/ ٣٦٠؛ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٧٧.
(٨) أبو عبد الله محمّد بن إسحاق بن يسار، ولد في عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م في المدينة واستقر ببغداد، وتوفي فيها عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م أو ١٥١هـ/ ٧٦٨م. من آثاره «كتاب المغازي» و«تاريخ الخلفاء» و«كتاب الفتوح» و«أخبار كليب وجسّاس»، وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة السيّد عيسى العطار ببغداد، ١/ ٢١٤ ـ ٢٣٤. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٨/ ٥ ـ ٨.
(٩) موسى بن عقبة بن عبّاس، أبو محمّد الأسدي ولد حوالى العام ٥٥هـ/ ٦٧٤م، وله كتاب المغازي. الذهبيّ، تذكرة الحفّاظ، ١٤٨.
(١٠) سزكين، م.س.، ص٤١٤.

وفي مكان آخر يؤكّد سزكين نهج المؤرِّخين العرب المنهج الحولي قائلاً: «كان موسى بن عقبة جلّ اهتمامه مؤرِّخاً، ينصرف إلى مغازي النبي محمد والخلفاء الراشدين، وقد دوّن أسماء المهاجرين إلى الحبشة، وأسماء المشتركين في بيعتي العقبة، ويبدو من بضعة مواضع أنه ذكر الأمويّين[1]، وكان يعرض مادّته التاريخيّة وفق السنين وهو منهج يبدو لنا أنه كان قد استُخدِم قبل ذلك عند عدد من أسلافه منهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم»[2].

ونحن نقول: «إنّ الهيثم بن عديّ[3] (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، ألف كتاباً في التاريخ على المنهج الحولي بعنوان (كتاب التاريخ على السنين)»[4].

وهو أمر يُشير إلى أنّ الكتابة التاريخيّة على المنهج الحولي كانت معروفة حينها، لكنَّ ما نراه عند الطبريّ يُعدّ حالةً متقدّمةً لما ذكرناه، إذ نضِجت هذه المنهجيَّة على يده، وتوافرت لديه مادة تاريخيّة غزيرة، وعقلية منهجيّة ثاقبة، فقد أصبح الخبر مادّة يمكن رفضه أو قبوله، إذ إنه أصبح يُعرَض على العقل ويؤيَّد بالقرائن التاريخيّة الأخرى.

ومن ذلك نقد الأخبار وضبطها بالتوقيت الدقيق، يقول عبد الحميد العبادي:

«إذا كان الإسناد عندهم (عند المؤرِّخين العرب) نقد الأخبار، فقد

---

(١) ابن سعد، م.س.، ٥/ ٢٨٣.

(٢) سزكين، تاريخ التراث العربيّ، ص٤٥٨.

(٣) الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن الثعلبيّ الطائيّ، ولد في الكوفة قبل العام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، وعاش في واسط. كان مؤرِّخاً ونسّابة وأديباً. توفّي في العام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م أو ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. ابن النّديم، الفهرست، ص١١٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/ ٥٠-٥٤؛ المسعوديّ، مروج الذهب، ١/ ٤.

(٤) ابن النّديم، م. س.، ص١٢٢.

كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والأيّام، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم عند اليونان، والرومان، وأوروبا في العصور الوسطى»[١].

أما «مرجليوث» فيؤكد أن المنهج الحولي هو من ابتكار المؤرِّخ العربيّ، بقوله:

«نلاحظ مناهج معيّنة ابتكرها المؤرِّخون العرب بضمان الصحّة في تسجيل الأحداث، أحدها[٢] تأريخها بالسنة، والشهر، بل باليوم». ويصرح «بكل» (Buckle) «أنّ ذلك العمل لم يحدث في أوروبا قبل ١٥٩٧»[٣][٤]. مثال ذلك ما ورد في تاريخ الطبريّ، من تاريخ الأحداث باليوم والشهر والسنة، بل زاد على ذلك إقرانه التاريخ الهجريّ بالتاريخ الميلاديّ في بعض الأحداث الّتي لا بدَّ من إقران التاريخيّن فيها، نحو:

- مطر في تموز في سامرّا سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م:

«ومطر أهل سامرّا يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأُولى وذلك يوم السادس عشر من تموز مطر جود برد وبرق فأطبق الغيم ذلك اليوم ولم يزل المطر جوداً سائلاً يومئذ إلى اصفرار الشمس ثمّ سكن»[٥].

ولقد اهتمّ الطبريّ بتحديد دقائق الزمن حتى وصل به الحال إلى أن يؤرّخ الحدث بالساعة الّتي وقع فيها:

---

(١) هرنشو، علم التاريخ، ص٦٦ ـ ٦٧.

(٢) والمنهج الثاني الذي يقصده مرجليوث ـ الإسناد ـ وهو سلسلة الرواة الذين يمكن أن نتّبع آثار الرواية عن طريقهم إلى شاهد العيان الأصلي الذي رواها. مرجليوث، دراسات عن المؤرّخين العرب، ص٣٠ ـ ٣١.

(٣) الموافق سنة ١٠٠٦ هجرية.

(٤) مرجليوث، م. ن.، ص٢٩.

(٥) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٩/ ٢١٨.

«قد ذكرنا قبل موافاة المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبغا وأحمد بن صالح بن سيرزاد بغداد وكانت موافاتهم إيّاها ـ يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضين من النهار لأربعة أيّام ـ وقيل لخمسة أيّام ـ خلون من المحرم من هذه السنة»[١].

وقرن الطبريّ ـ كذلك ـ التاريخ الهجريّ بتاريخ آخر تبعاً لأهميَّة الحدث وتوثيقه، نحو:

سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م[٢]:

وأوّلها يوم الاثنين التاسع والعشرين من حزيران، ولخمس وتسعين ومئة وألف من عهد ذي القرنين[٣] ومن ذلك التقويم الهجريّ والميلاديّ والفارسيّ لسنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م:

«وكان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخيره إيّاه عنهم فيها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل، ولسبع عشرة ليلة خلت من حزيران، ولثمان وعشرين من أرديوهشت ماه»[٤].

وهذه ظواهر منهجيّة مهمّة في تاريخ الطبريّ، ربما يكون قد تفرَّد بها عن أقرانه، وكان مؤسّس هذه الطريقة عند الذين جاؤوا من بعده.

ولعلّ في النّصوص الّتي نوردها ما يبيّن المنهج الذي اتّبعه الطبريّ في القسم الإسلاميّ من تاريخه:

«ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئة»[٥]

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٩/ ٢٨٣.
(٢) التاريخ لعهد ذي القرنين يسمى بالسنة الرومية.
(٣) الطبريّ، م.ن.، ١٠/ ٧.
(٤) الطبريّ، م.ن.، ٦/ ٢١٨.
(٥) الموافق ٧٦٢م. الطبريّ، م.ن.، ٧/ ٥٥٢.

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث.

فما كان فيها من ذلك خروج محمّد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما.

ذكر الخبر عن مخرج محمّد بن عبد الله ومقتله.

ذكر عمر أنّ محمّد بن يحيى حدثه، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق قال: لمّا انحدر أبو جعفر ببني حسن، رجع رباح إلى المدينة، فألحّ في الطلب، وأخرج محمّداً حتى عزم على الظهور.

قال عمر: فحدّثت إبراهيم بن محمّد بن عبد الله الجعفريّ أن محمّداً، إلخ.

قال: وحدّثني محمّد بن يحيى، قال: حدَّثتني الحارث بن إسحاق، قال: تحدّث أهل المدينة بظهور محمّد، فأسرعنا بشراء الطعام حتّى باع بعضهم حلي نسائه، إلخ.

(منخرق الخفين يشكو الوجى)[1].

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم قال: حدَّثني جدّتي كلثوم بنت وهب، قالت: لما خرج محمّد تنحّى أهل المدينة، إلخ[2].

رجع الحديث إلى حديث عمر[3]، قال عمر: وحدّثني محمّد بن يحيى، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق قال: ندب أمير المؤمنين أبا جعفر عيسى بن موسى لقتال محمّد.

وفي هذه السنة: استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن

---

(١) الطبريّ، م.ن.، ٧/ ٥٥٦.

(٢) الطبريّ، م.ن.، ٧/ ٥٥٩.

(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٧/ ٥٧٧.

حصين حين شخص عنها بعد مقتل محمّد بن عبد الله بن حسن، فمكث والياً عليها شهراً، ثمّ قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور.

وفي هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع، فهرب منهم[1].

ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيّج ذلك[2].

(ودُوِّن عدد من الروايات في ذلك).

ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد[3]، وفي هذه السنة أسّست مدينة بغداد، وهي الّتي تدعى مدينة المنصور.

ذكر الخبر عن سبب بناء أبي جعفر المنصور إيّاها:[4]

وكان سبب ذلك أنّ أبا جعفر المنصور بنى ـ في ما ذكر ـ حين أفضى الأمر إليه الهاشمية، قبالة مدينة ابن هبيرة، بينها عرض الطريق، وكانت مدينة ابن هبيرة الّتي بحيالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة، وبنى المنصور أيضاً مدينة بظهر الكوفة سمّاها الرصافة، إلخ.

(وذكر العديد من الروايات في ذلك).

ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمّد ومقتله.

---

(١) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦٠٩.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦٠٩.
(٣) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦١٤.
(٤) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦١٤.

وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن، أخو محمّد بن عبد الله بن حسن بالبصرة، فحارب أبا جعفر المنصور، وفيها قتل أيضاً.

ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان[1]:

وقد اختُلف في وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعضهم: كان قدومه إيّاها أوّل يوم من شهر رمضان في سنة خمس وأربعين ومئة.و قال[2]: «وفي هذه السنة خرجت الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينيَّة جماعة كثيرة»[3].

وحجّ بالناس في هذه السنة السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العبّاس بن عبد المطلّب، وكان عامل أبي جعفر على مكّة.

وكان والي (عامل) المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثيّ، ووالي الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى، ووالي البصرة مسلم بن قتيبة الباهليّ، وكان على قضائها عبّاد بن منصور، وعلى مصر يزيد بن حاتم[4].

انتهت هذه السنة، الّتي بدأها بصفحة ٥٥٢ من الجزء السابع إلى الصفحة ٦٤٩ منه، وقد جاوز بها عشرات الصفحات، في حين نجده في بعض السنين لا يتعدّى حديثه عنها صفحة أو صفحتين، على سبيل المثال:

سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م[5].

---

(١) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦٢٢.
(٢) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦٣٤.
(٣) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٦٤٩.
(٤) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٧/ ٦٤٩.
(٥) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

د: تقويم المنهج:

المزايا:

يوضح النص السابق أو النّصوص المدوّنة في تاريخ الطبريّ، المنهج الذي أخذ به الطبريّ:

* ذكر أحداث كلّ سنة على حدة مهما يكن تعدّدها واختلافها، ما يحصر دائرة الأحداث حصراً من حيث الزمان والمكان، وبذلك يتركّز ذهن القارئ في إطار محدّد يجعله أكثر التصاقاً بسير الأحداث.

* الاعتماد على الرواية والحرص على السند.

* تعدّد الروايات إذا لم يكن هناك إجماع.

* الدقّة في الوصف، ما يساعد القارئ على استيعاب أسرع بالنسبة إلى الزمن والمكان اللذَيْنِ هما موضع اهتمامه.

* الاهتمام بكل ما يتّصل بحياة الشخص الشخصية وصفاته وما إلى ذلك.

* درج الطبريّ على تقليد هو أن يتبع كلّ خليفة بذكر بعض سيره وأخباره، ما يلقي أضواء على شخصيته وخصاله وتصرفاته العامة أو بعضها وحياته الخاصة.

* يختم السنة بمن حجّ بالناس فيها، مع ذكر عمّال الأمصار، وبعض الأحيان قضاتها.

* قد يستطرد الطبريّ، فيسرد بعض الأحداث المهمّة ممّا له صلة بالأحداث الّتي وقعت في تلك السنة أو بشخصيّاتها، ولكنّه يعود فيتمّم الحديث بقوله: (رجع الخبر إلى..). ولهذا فإنّ الكتب المرتبة على السنين عدّت استمراراً للكتب المرتبة على السنين الّتي ألّفها المؤرّخون

الأوّلون. وعليه وجد القفطي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) أن من السهل على المرء الحصول على أوثق الأخبار التاريخيّة من بدء الخليقة إلى السنة الّتي يقف عندها المرء، لذلك نراه يقول:

«وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب أبي جعفر الطبريّ رضي الله عنه، فإنه من أوّل العالم وإلى سنة تسع وثلاثمئة[1]، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر[2]، وولده عبيد الله فنعم ما تفعل، لأنهما قد بالغا في ذكر الدَّولة العباسيّة وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبريّ بمفرده، وهما في الانتهاء قريبا المدّة والطبريّ أزيد منهما قليلاً، ثمّ يتلو ذلك كتاب ثابت فإنّه بداخل الطبريّ في بعض السنين، ويبلغ إلى بعض ثلاث وستين وثلاثمئة[3]، فإنْ قرنت به كتاب الفرغاني[4] الذي ذيّل به كتاب الطبريّ، فنعم الفعل تفعله، فإنّ في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابتٍ في بعض الأماكن، ثمّ كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ، فإنه داخل كتاب خاله ثابت، وتمّم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمئة، ولم يتعرّض أحد في مدينة لما تعرض له من أحكام الأمور، والاطّلاع على أسرار الدولة، ذلك أنه أخذ ذلك عن جدّه لأمه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع»[5].

وتولّى هو الإنشاء أيضاً، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه.

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٨/ ٤٤.

(٢) هو المعروف بـ(طيفور) صاحب «تاريخ بغداد»، وقد ذيّل عليه ابنه عبيد الله.

(٣) ابن النَّديم، الفهرست، ص٤٢١؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٧/ ١٤٢.

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني. ياقوت الحموي، م.ن.، ٢/ ٥٢٨.

(٥) ذكر روزنتال جملة: «ولذلك أنه أخذ عن جدّه الذي كان كاتب الإنشاء ومطّلعاً على الوقائع» بدلاً من الجملة المشار إليها أعلاه، وذكر قائلاً: «من الواضح أنه يجب أن يفهم النص بهذا الشكل». روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص١١٨.

لقد قدّم القفطيّ صورة دقيقة للكتابة التاريخيّة بهذا الأُسلوب، فقد كانت الكتب المرتّبة على السنين تؤلّف تكملة واستمراراً لسابقاتها.

ولم تكن هناك حاجّة كبيرة لأن يؤلف كتابَيْنِ مرتبَيْنِ على السنين في الوقت عينه، وفي المنطقة عينها، وكان القسم المهمّ في التاريخ مكتوباً على السنين هو القسم المعاصر الذي قد يكون مفصّلاً جدّاً.

مآخذه:

أما أهم ما يؤخذ على هذا منهج عن الطبري هو:

١ ـ إنَّه لم يحفظ التوازن بين فترات التاريخ قبل الإسلام وبعده[١].

٢ ـ إنَّ ارتباط الطبري بالمصادر والاسناد الماضية حرمه في ما يظهر من أنْ ينظر في أحداث عصره ويسجلها بنفسه، ولهذا جاءت صورة الأحداث التي عاصرها باهتة في كتابه، ولم يتنبه إلى تفاصيل مهمَّة فيها. وقد يكون فهمه للتاريخ على أنَّه مستودع خبرات الأخيال السابقة فقط سبباً آخر في عدم اهتمامه بجيله وعصره وظهور نوع من الضعف، والإيجاز في القسم الأخير من تاريخ الطبري. وكان من المفروض أنْ يكون من أهم أقسام الكتاب[٢].

٣ ـ كان فهمه للتاريخ العالمي أضيق من فهم بعض المؤرخين السابقين له كاليعقوبي أو ابن قتيبة. فتاريخ العالم عنده محدود بالخط الذي يصل ما بين الأنبياء والعهد الجاهلي عبر الساسانيين وتاريخ اليمن ثم يأتي التاريخ الإسلامي تتويجاً ضخماً لكلِ التاريخ[٣].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٥.

(٢) جب، علم التاريخ، ص٧٢.

(٣) ينظر: الرسالة، ص١٧٦.

٤ ـ إنَّ مفهوم التاريخ عند الطبري ومنهجه متأثر بالنظرة الدينية أكثر من تأثره من بالنظرة التجاريبَّة. فهو عنده تعبير عن المشيئة الإلهية أوَّلاً، ثمَ مستودع خبرات عليا للأمة الإسلامية تكشف عن وحدة هذه الأمة بقدر ما تبين قيمة تجاربها التاريخية.

المبحث الثالث

التاريخ العربيّ والإسلاميّ
في المصادر السريانيّة
وتاريخ ميخائيل السرياني الكبير

تُعدّ المصادر السريانيّة من المصادر المهمّة في دراسة التاريخ العربيّ والإسلاميّ، وهي تعكس وجهة نظر المسيحيّين لأنها كُتبت بالسريانيّة الّتي يجهلها العرب والمسلمون[1]. وهذا المبحث هو محاولة لإلقاء الضوء على الطريقة الّتي تعرض بها المصادر السريانيّة التاريخ العربيّ والإسلاميّ، ومدى اهتمام هذه المصادر بالتاريخ العربيّ والإسلاميّ، والجوانب الّتي تؤكِّدها هذه المصادر عند كتابتها التاريخ العربيّ والإسلاميّ.

المصادر السريانيّة هي المصادر الّتي كُتبت باللُّغة السريانيّة، خلال القرون الثلاثة عشر الأُولى لظهور المسيحيّة، ومؤلفوها هم من طبقة رجال الدين المسيحيّين[2] الذين أدّوا دوراً «مهمّاً» في شؤون حياة أتباعهم. وقد نقل هؤلاء المؤلفون السريان فصولاً بكاملها من موارد

---

(١) الكعبي، أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢٨ ـ ١٤٦.

(٢) هناك فئتان من المؤرخين السريان: رهبان ثم المطارنة وبطاركة، ولكل من هاتين الفئتين أسلوب خاص ومصادر معلومات مختلفة. حراق، التواريخ السريانية، ص١٩٩.

تاريخيّة ورثوها عن أسلافهم، أو أنهم اختصروا بعض هذه الموارد وأعادوا تنظيمها، ثمّ أضافوا إليها حوادث وقعت في أيّامهم أو أنهم جمعوا بعض رواياتهم من المعاصرين لهم والمهتمّين برواية الحوادث التاريخيّة. وخير مثال على ذلك ديونيسيوس التّلمحريّ، وميخائيل السرياني وابن العبريّ[١].

يعتمد التّلمحريّ على الوثائق المكتوبة الّتي حصل عليها، بالإضافة إلى الروايات الشفهية الّتي وصلت إليه عن طريق الآخرين[٢]. وينقل ميخائيل الكبير عن التّلمحريّ، ثم يضيف إلى ذلك ما تمكّن من جمعه من وثائق وبعض الروايات عن الآخرين. ويسير ابن العبريّ على الطريقة عينها، فهو ينقل عن ميخائيل الكبير ثمّ يضيف أموراً كثيرة تمكّن من الحصول عليها بجهوده الشخصيّة[٣].

تتّبع المصادر السريانيّة طريقة الحوليّات في رواية الحوادث التاريخيّة، فهي متشابهة في ذلك مع بعض المصادر الإسلاميّة. ولا تعتمد المصادر السريانيّة الأسانيد في روايتها الحوادث التاريخيّة، ولكن بعضها قد يُشير إلى اسم المصدر الذي رويت عنه الحادثة وقد لا يُشير. وهي لا تروي الرواية التاريخيّة من مصادر مختلفة وبعدة وجوه كما تفعل المصادر الإسلاميّة، بل تروي الحادثة التاريخيّة بوجه واحد وكأنّها حقيقة مسلَّم بها[٤].

ولما كان معظم مؤلّفي هذه المصادر من طبقة رجال الدين

---

(١) أنور، المدارس الفكريّة السريانيّة، ص١٥٣.

(٢) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٨١.

(٣) إسحاق، دراسات في تاريخيّ أبي الفرج الملطي، ص٧٤.

(٤) محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠، ص ٥٩ ـ ٧٣.

المسيحيّين، فإنّها اهتمّت بالأمور الدينيّة أكثر من الروايات التاريخيّة. وعلى كلّ حال، هناك الكثير من المواد التاريخيّة وردت ممزوجةً مع الموضوعات الدينيّة تسلّط الضوء على حالة المجتمع العربيّ الإسلاميّ الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيّة، وتتضمّن معلومات ثرّة عن حالة المسيحيّين في المجتمع العربيّ الإسلاميّ، بالإضافة إلى احتوائها على معلومات اقتصاديَّة لسياسة الدَّولة العربيّة والإسلاميّة تجاه النصارى[1]. ويغلب على هذه المصادر العاطفة والتعصّب، لأنّ مؤلّفيها كانوا من طبقة رجال الدين الذين كرّسوا حياتهم لخدمة الكنيسة والعقيدة المسيحيّة.

إنّ المصادر السريانيّة المستعمَلة في هذا البحث هي نتاج سريان اليعاقبة، فهي غربية بحتة. وقد كان للفتوحات العربيّة فضلٌ كبيرٌ على نشاط مؤلّفي هذه المصادر لكتابة التاريخ، ذلك لأنّ هذه الفتوحات قد وحّدت بلاد ما بين النهرين حضارياً ولم تعد مقسّمة إلى قسمين: قسم للبيزنطيين وقسم للساسانيّين، كما كانت قبل الإسلام.

تروي المصادر السريانيّة أموراً كثيرة تبرّر فيها ظهور الإسلام، فيروي بعضها أنّ نجوماً ظهرت في السماء كنذير سوء يُنبئ بأنَّ كارثةً عظيمةً ستحلّ بالعالم، وأنّ الله قد عاقب المسيحيّين بظهور الإسلام لأنهم لم يلتزموا دينهم وسادت بينهم شريعة الغاب[2].

ولا تروي المصادر السريانيّة معلومات كافية عند تعرّضها للفتوحات الإسلاميّة عن سِيَر هذه الفتوحات، وعن موقف السكّان من الفاتحين، وعن الانتصارات العسكريّة الّتي حقّقها الفاتحون. وتغفل عن ذكر

---

(١) *Hoyland, Robert, Seeing Islam As Others Saw It*, p. 202.

(٢) Ali, Saleh, ***Muslim Estates In Hidjaz In The First Century A.H***, p.202.

الحقوق الّتي حصل عليها المسيحيّون من المسلمين. وكلّ ما ترويه عن الفتوحات الإسلاميّة هو مجرّد إشارات عابرة، في حين أنها تبالغ في وصف الجوانب السلبيَّة الّتي رافقت عملية الفتح، وتنسب إلى المسلمين أعمال السلب والنهب، وإراقة الدماء واستعباد الآخرين من دون رحمة[1]. بينما المصادر الإسلاميّة تزوّد الباحث معلومات مفصّلة عن الفتوحات الإسلاميّة وما رافقها من أحداث.

قد يعود عدم اهتمام المصادر السريانيّة بتفاصيل الفتوحات وبالجانب الإيجابي منها لعدة أسباب، منها: إنّ مؤلفي هذه المصادر، وهم من طبقة رجال الدين النصارى، لم يرغبوا في أن يطلع المسيحيّون على المبادئ الإنسانية الّتي حملها الفاتحون، لئلّا يترك المسيحيّون دينهم ويعتنقوا الإسلام. لقد عمل هؤلاء المؤلفون على عزل المسيحيّين عن الإسلام ومبادئه النيّرة آملين إثارتهم ضدّ المسلمين في الوقت المناسب، ذلك عن طريق المبالغة في وصف بعض السلبيّات الّتي رافقت عملية الفتح[2]. يضاف إلى ذلك أنّ المصادر السريانيّة لم تكن مستعدّة نفسيّاً لأن تصف ما لحق بالكنيسة «المسيحيّة» من هزائم أمام انتصارات المسلمين. لذا فإنّها غضّت الطرف عن ذكر المعلومات المفصّلة عن الفتوحات الإسلاميّة.

وتستعمل المصادر السريانيّة التقويم الإغريقي والميلاديّ[3] في تأريخها للحوادث التاريخيّة الإسلاميّة. وتقع في بعض الأخطاء عند تاريخ الفتوحات الإسلاميّة، فالتّلمحريّ وميخائيل السرياني، وهما

---

(١) Adler, William, *Time Immemorial* 2, p.23.

(٢) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٢٥.

(٣) ما عدا ميخائيل السريانيّ، فإنه يستعمل التقويم الهجريّ بالإضافة إلى التقويم الإغريقي والميلاديّ. رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١١٥.

ينقلان عن المؤرّخ البيزنطيّ ثيوفاونس[1]، يرويان مثلاً «أنّ فتح الجزيرة كان في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م»، في حين تروي المصادر الإسلاميّة أنّ فتح الجزيرة كان في ١٨هـ/ ٦٣٩م[2]، ما عدا سيف بن عمر فإنّه يروي أنّ فتح الجزيرة كان في سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م[3].

وتطلق المصادر السريانيّة على الفاتحين لفظة «العرب»[4]، وتصف العرب بأنّهم جُبلوا على الغيرة وحدّة الطبع والشراسة والظُّلم[5]، وتحكم عليهم هذا الحُكْم القاسي استناداً إلى حالات فرديةٍ استثنائية نتيجة لأخطاء بعض صغار العمّال، تلك الأخطاء الّتي تعرّض لها المسلمون أيضاً. في حين لم تكن تلك الأخطاء والممارسات غير الصحيحة جزءاً من سياسة الدَّولة العربيّة الإسلاميّة.

ومن الأمور الّتي تُثير الانتباه معاملة المسلمين للنصارى خصوصاً، ولأهل الذمة عموماً، فالمصادر الإسلاميّة تروي معلومات مفصّلة عن هذه المعاملة سواء أكانت المعاملة جيّدة أم غير جيّدة[6]. في حين أنّ المصادر السريانيّة تؤكّد بعض الحالات القليلة والنادرة، لا يُقاس عليها، وردت فيها معلومات عن المعاملات القاسية الّتي اتّبعها بعض

---

(١) إسحاق، **دراسات في تاريخي ابن العبريّ**، ص٧٤؛ الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». **مجلة عالم الفكر**. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٢) رشدي، **ميخائيل السريانيّ**، ص١١٥؛ محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». **مجلة سيمثا**. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠،ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٣) الطبريّ، **تاريخ الرُسُل**، ٤ /٥٣.

(٤) فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، **الفكر العربيّ**، السنة العاشرة، العدد ٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

(٥) المرجي، **الرؤساء**، ص٢٩.

(٦) المرجي، م. ن.، ص١٨٩. الربيعي، **نصارى العراق في العصر الأمويّ**، ص٤٩.

العمّال والخلفاء مع المسيحيّين وأهل الذمّة. وفي أحيان أخرى، تروي لنا المصادر السريانيّة معلومات مشابهة لتلك الّتي وردت في المصادر الإسلاميّة والسريانيّة، ما يُشير إلى احتمال استفادة المصادر الإسلاميّة والسريانيّة بعضها من بعضها الآخر أو أنّ كلا المصدرين يغترف من مَعين واحد[1].

تؤكّد المصادر السريانيّة الجوانب السلبيَّة من التاريخ الإسلاميّ، منها حروب المسلمين مع البيزنطيّين، أو الحروب الأهلية الّتي عاشها المسلمون بعد مقتل عثمان. وتحاول أن تظهر البيزنطيّين بمظهر المسالمين، وأنّ المسلمين هم الذين يبدأون الحروب ضدّ البيزنطيّين لغرض قتل المسيحيّين واسترقاقهم وسَلْبِ أموالهم وحَرْقِ مزارعهم. وتصف آثار الحروب على المسيحيّين بكثير من المبالغة لغرض كَسْبِ عطف القارئ. وكثيراً ما تحاول المصادر السريانيّة أن تُظهر أنّ انتصار البيزنطيّين في بعض الحروب على المسلمين، مرجعه مشيئة الله، وأن حروب المسلمين بعضهم مع بعضهم الآخر تعود إلى رغبة الله في عقاب المسلمين لأنّهم ظلموا البشرية وانتهكوا الحرمات[2].

وتتكلم المصادر السريانيّة بإسهاب على المعاهدات الإسلاميّة - البيزنطيّة الّتي حصل فيها البيزنطيّون على امتيازات كثيرة من المسلمين، ولكنّها تغضّ الطرف عن المعاهدات والانتصارات الّتي حقّقها المسلمون على البيزنطيّين[3].

وتصف المصادر السريانيّة المسلمين، عمّالاً وولاة وخلفاء، بأنهم

---

(١) المرجي، م. س.، ص١٣٥.

(٢) رشدي، م. س.، ص١١٥.

(٣) رشدي، م.س.، ص١١٥.

يستغلّون مراكزهم السياسيّة لتحقيق مآربهم الشخصيّة، فتروي أنهم صادروا أموال النّاس والرهبان وامتلكوا الضياع[1]. في حين أن المصادر الإسلاميّة تؤكّد الجوانب الإيجابية في علاقة الحكام المسلمين برعاياهم المسيحيّين وبغيرهم من أهل الذمة. ومع ذلك فإنها تروي بعض الجوانب السلبيَّة في هذه العلاقة مع ندرتها[2].

كما تذكر أنّ المسلمين أحصوا المسيحيّين أربع مرات لمعرفة عددهم وإحصاء ممتلكاتهم ونواحيهم الزراعيّة ومدخولاتهم السنوية. وتصف عمليات الإحصاء بأُسلوب يتصف بالعنف[3]. ولا تروي المصادر الإسلاميّة إلَّا إحصاءين: الأوَّل تم في عهد الخليفة الراشديّ عمر بن الخطاب (فترة خلافته)، والثاني في عهد الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (فترة خلافته)[4].

ويُعدّ التّلمحريّ من أكثر المصادر السريانيّة اهتماماً بعملية الإحصاء السكاني الّتي ربطها بجباية الضرائب، إذ يزوّد الباحث معلومات مفصّلة، أكثر من أي مصدرٍ آخر، عن عمليات الإحصاء ووسائل الجباية والهجرة من الريف إلى المدينة، ومعاملة عمّال الخراج لأهل الذمة، ووقوع الفلاحين تحت سطوة المرابين[5]. وقد ورد في كتاب «الخراج»

(١) المرجي، الرؤساء، ص١٩٥ ـ ١٩٩.
(٢) إسحاق، دراسات في تاريخيّ أبي الفرج الملطي، ص٧٤.
(٣) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٥؛ الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص ٦٨٧ ـ ٦٩٨؛ فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩.
(٤) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٧/ ٥٣.
(٥) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٥٩.

لأبي يوسف وتاريخ الطبريّ وبعض مؤلّفات الجاحظ والمصادر الإسلاميّة الأوليّة الأخرى معلومات تؤيّد روايات التّلمحريّ[1]. وقد أخطأ التّلمحريّ حينما قال: إنَّ أوَّل إحصاء سُكاني قام به المسلمون لأهل الذمة كان في أيام عبد الملك بن مروان، لأنّ المصادر الإسلاميّة والمصادر السريانيّة الأخرى تروي أن أوَّل احصاء سكاني لأهل الذمة تم في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م[2].

ومن الأُمور الّتي تستحق البحث هو كيفية تصوير المصادر السريانيّة لعلاقة الخلفاء المسلمين وولاتهم بكبار رجال الدين من النصارى. وهل كانت الخلافة الإسلاميّة تتدخّل في تنصيب رجال الدين النصارى. تُشير بعض الوثائق السريانيّة إلى مدى علاقة الخلافة الإسلاميّة بأمر تعيين رئيس النصارى، فيذكر تاريخ جبرائيل أنّ جبرائيل أُسقف طور عبدين[3] كان قد حصل في عهد عمر بن الخطّاب كتاباً يخوّله حكم أتباعه النصارى[4]. ويفهم من ذلك أنّ المسيحيّين الخاضعين لحكم طور عبدين قد حصلوا على حُكْمٍ ذاتي تحت ظلّ الخلافة الإسلاميّة في عهد إسلاميّ مبكر جداً. ويروي ابن المقفّع ما يأتي: «عندما مات بطريرك أنطاكية، قال الوليد بن عبد الملك: سوف لن أسمح بانتخاب بطريرك للنصارى ما دمت حيّاً»[5]. ويفهم من النصّ الأخير أنّ سلطة تعيين البطريرك

---

(١) الطبريّ، م. ن.، ٧/ ٥٣.

(٢) رشدي، م.س.، ص٢٥؛ الربيعي م.س.، ص٦٨٧ - ٦٩٨؛ فييه، م.س.، ، ص٣٩ - ٤٧.

(٣) من مدن الجزيرة الفراتية المهمّة ومن مراكز المسيحيّة اليعقوبيّة، شهدت قبل الإسلام سلسلة من الاضطهادات الفارسيّة (الساسانيّة).

(٤) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ عيسى، الحملات الصليبيّة، ص٢٤٥.

(٥) فييه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩.

النصراني كانت بيد الخليفة في فترة ما بين القرن الهجريّ الأوّل والهجري الثاني.

وعلى الرّغم من إصدار الخليفة أمر تعيين كبير النصارى، فإنه كان بإمكان المسيحيّين اختيار الرجل المناسب لهذه الوظيفة. يروي المؤرِّخ البيزنطيّ ثيوفاونس[1]، وعنه أخذ ميخائيل الكبير[2] وابن العبريّ[3]، أنّ المسيحيّين سألوا مروان الثاني الخليفة الأمويّ (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) الموافقة على قيامهم بانتخاب رئيس لهم بعد موت البطريرك أثناسيوس في العام ١٢٧هـ/ ٧٤٤م، فوافق مروان على ذلك، وانتخبوا يوانيس بطريركاً لنصارى الشرق (١٢٧/ ١٣٧هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٤ م). وكتب مروان إلى ولاته يأمرهم باحترام البطريرك وتبجيله.

وروى ابن حمدون ما يُشير إلى حرية المسيحيّين في انتخاب رئيسهم، وإلى أنَّ الرئيس المنتخَب تتوقف ممارسة صلاحياته على موافقة الخليفة. وكثيراً ما كان يوافق الخليفة على ذلك[4].

وكان المسيحيّون في بعض الأحيان ينتخبون كبيرهم من دون علم الخليفة، ما عكّر علاقتهم بالخلافة في بعض الأحيان. فقد روى التّلمحريّ وآخرون[5] أنّ الخليفة العباسيّ المنصور استدعى البطريرك المنتخَب من دون علم الخليفة، وسأله عن سبب تقديمه طلباً للخليفة لإقرار سلطته على المسيحيّين. وبعد تحقيقٍ وتعنيفٍ، عزل البطريرك

(١) ينظر: الرسالة، الفصل الثاني، ص٦٨ ـ ٧٠.
(٢) ينظر: الرسالة، الفصل الثاني، ص٧٩ ـ ٨١.
(٣) الربيعي، نصارى العراق في العصر الأمويّ، ص١٢٧؛ فيه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧.
(٤) ابن حمدون، تذكرة الحمدونية، ص٨١.
(٥) إسحاق، دراسات في تاريخَيّ أبي الفرج الملطي، ص٧٤.

وعيّن بطريركاً جديداً مكانه.. وإذا كانت المصادر السريانيّة قد روت هذه الرواية لإبراز الجانب السلبي من حكم الخلافة الإسلاميّة للأقليّات الدينيّة، فإنّ مخالفة المسيحيّين بعدم أخذ موافقة الخليفة على انتخاب رئيس لهم، يعني أنّ المسيحيّين قد أساؤوا استعمال الحرية المعطاة لهم في عهد الدَّولة الإسلاميّة. إن دراسة حالة المسيحيّين قبل الإسلام أو حالة المسيحيّين الذين يختلفون مذهبيّاً عن الإمبراطوريَّة البيزنطيّة، تُشير إلى مدى التعسّف والحيف الذي كان يُعانيه المسيحيّون قبل الإسلام وتحت حكم البيزنطيّين المعاصرين للدولة الإسلاميّة، ومدى الحرية الّتي وفّرتها لهم الخلافة الإسلاميّة.

وتولي المصادر السريانيّة الكوارث الطبيعية اهتماماً كبيراً، إذ تروي معلومات كثيرة عن هذه الكوارث الطبيعية الّتي تعرّض لها رعايا الخلافة الإسلاميّة أو محاصيلهم الزراعية كالفيضانات والجراد والمجاعة والقحط. وهي تتفق مع المصادر الإسلاميّة في ذلك، ولكن المصادر السريانيّة تربط حدوث هذه الظواهر بغضب الله على البشرية لاقترافهم الآثام والذنوب.

وتروي المصادر السريانيّة روايات لتثبت بها أنّ المسلمين والمسيحيّين كانوا مبتعدين عن بعضهم البعض، ولم تكن هناك أي رابطة اجتماعيَّة تربطهم ببعضهم البعض، فقد روت هذه المصادر أن الكنيسة منعت المرأة المسيحيّة من الزواج بالمسلم[١]، وفرضت عقوبة الحرمان على من خالف ذلك[٢]. وفي حقيقة الأمر فقد كان هذا المنع مجرّد حبرٍ

---

(١) فييه، م.س.، ص٣٩ ـ ٤٧.

(٢) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ عيسى، الحملات الصليبيَّة، ص٢٤٥؛ فييه، م. س.، ص٣٩ ـ ٤٧.

على ورق، إذ تمت عمليات الزواج بين النصرانيات والمسلمين، ولم تقف دونها القوانين الكنسيّة[١]. وروت المصادر السريانيّة أيضاً أن الكنيسة منعت أتباعها من تناول لحوم أضاحي المسلمين[٢]. ولعلّ الغرض من الروايات السالفة الذكر هو توسيع ذات البين بين المسلمين والمسيحيّين لإبقاء المسيحيّين في عزلة عن المسلمين لئلا يترك المسيحيّون دينهم ويعتنقوا الإسلام.

وتتفق المصادر السريانيّة مع المصادر الإسلاميّة في روايتها الأوامر الّتي تقضي بعدم قبول شهادة النصراني ضدّ المسلم، والأوامر المنسوبة إلى عمر بن الخطّاب أو عمر بن عبد العزيز، والّتي تلزم أهل الذمة التقيّد بارتداء زي معيّن لتمييزهم عن المسلمين[٣]. ولعلّ هذا الاتفاق مرجعه أنّ المصادر السريانيّة قد أخذت ذلك من المصادر الإسلاميّة.

وعند ذكر المصادر السريانيّة اسم النبي محمد والخلفاء الراشدين، فإنها تسميهم ملوك العرب، ولعلّها تفعل ذلك لأنها لا تريد أن تعترف بنبوّة محمّد ورسالته، ولا بخلافة من جاء بعده من الخلفاء المسلمين.

وما يُثير الانتباه في تاريخ التّلمحريّ، أنّ التّلمحريّ يُطلق على الأمويّين لفظة السوريين، وعلى العباسيّين لفظة الفرس[٤]، ولعلّه فعل

---

(١) فيه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص١٦٣.

(٢) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠، ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٣) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٢٥؛ الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٤) رشدي، م. س.، ص٢٥؛ الربيعي م.س.، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

ذلك لأنّ الأمويّين كانوا في سورية، في حين أنّ التّلمحريّ كان يعيش في تكريت. وأطلق لفظة الفرس على العباسيّين لإشراك العباسيّين معهم في الحكم تسامحاً أو لأن الثورة العباسيّة انطلقت من خراسان مركز التذمّر الفارسيّ ضدّ الأمويّين.

وتزوّدنا المصادر السريانيّة بمعلومات عن الحالة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للناس البُسطاء، وهي تعطي القارئ صورة واضحة عن المشاكل الّتي عاناها عامة الناس. وقد وردت في بعض المصادر المتأخرة منها مقاطع انتقادية، وحتى انتقادية بعنف، للعهد الذي يعيشون فيه، وهذا يعني أنّ هؤلاء المؤرِّخين أصبحوا أحراراً «ليكتبوا ما يرونه صحيحاً» بلغتهم السريانيّة الّتي يجهلها المسلمون. وقد أخذت المصادر السريانيّة أموراً تاريخيّة ورد ذكرها في المصادر الإسلاميّة.

وعلى الرّغم ممَّا ذكر عن المصادر السريانيّة من أمور إيجابيَّة، فهي غير موثوق برواياتها عن الحوادث الرئيسيَّة في التاريخ الإسلاميّ، لأنّ مؤلفيها كانوا بعيدين عن مسرح الأحداث، باستثناء أفراد قلائل منهم. وقد عاش مؤلفو هذه المصادر بعيدين عن المجتمع وبلاط الأمراء والولاة، وذلك لمنزلتهم السياسيّة الدنيا كأقلية خاملة.

ويمكن تقسيم المصادر السريانيّة إلى قسمين: شرقيّة، وغربيَّة. ومن أهم المصادر السريانيّة الشرقيّة رسائل إيشوعياب الثالث[١] البطريرك النسطوريّ (ت٣٨هـ/ ٦٥٨م)، وتاريخ ابن بنكاية[٢] (ت القرن الأوَّل هـ/ القرن السابع م) وتوما المرجي (ت٢٢٦هـ/ ٨٤٠م) ومؤرِّخ مجهول[٣]، ومؤلفو الشهداء والقدّيسين، وتاريخ ماراليا مطران نصيبين. وهذه

---

(١) ينظر: الرسالة، الفصل الثاني، ص٦٦.

(٢) رشدي، م. س.، ص٢٥؛ الربيعي م.س.، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٣) رشدي، م.س.، ص٢٥؛ الربيعي، م.س.، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

المؤلفات غير انتقادية وممزوجة بالحقائق وقصص القدّيسين، ما عدا ثلاثة مؤرّخين هم: مؤرّخ مجهول يزودنا نصوصاً عن الحوادث التاريخيّة حتى العام ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وله فائدة عظيمة لأنَّه ألف قبل العام ٥٠هـ/ ٦٧٠م بواسطة راهب نسطوري. والمؤرّخ الثاني هو ابن بنكاية الذي يهاجم المسلمين هجوماً «عنيفاً» ويتشفّى بهم عند حديثه عن الحرب الأهلية الّتي عاشها المسلمون بعد مقتل عثمان بن عفان، والحرب الأهلية الّتي رافقت حركة عبدالله بن الزبير. ويزوّدنا بمعلومات مفصّلة مزيجة بمبالغات من أثر الحروب الأهلية في الحياة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة في المجتمع العربيّ والإسلاميّ. وهو المصدر السريانيّ الوحيد الذي يروي لنا معلومات مفصّلة عن المساعدات الّتي قدمها المسيحيّون للخلافة الأمويّة في أثناء حربها ضدّ المختار بن أبو عبيد الثقفي[1]. والمؤرّخ الثالث هو ماراليا مطران نصّيبين، وهو من مؤرّخي القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ. وكتابه الموسوم بـ«تاريخ ماراليا النصيبيني» عبارة عن رزمةٍ من الأحداث والتواريخ. إنه تاريخ استقرائي، يعتمد مؤلفه على المصادر السريانيّة والإسلاميّة، وهو المؤرّخ السريانيّ الوحيد الذي يعرض الروايات التاريخيّة بأُسلوبٍ هادئٍ بعيد عن العاطفة. لذا فمن الصعب معرفة هويته الدينيّة من خلال تاريخه. ويروي ماراليا الحوادث التاريخيّة بعد أن يسبق الرواية بذكر اسم المصدر الذي استقرأ منه الرواية، وهو يفعل ذلك بنهجٍ دقيقٍ مغربلٍ للمصادر[2].

---

(١) الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٢) فيه، «الفكر التاريخيّ عند السريان»، الفكر العربيّ، السنة العاشرة، العدد٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

وأما المصادر السريانيّة الغربيّة فعلى الرّغم من قلتها، فإنها تمتاز بأنّ أُسلوبها تاريخيّ عميق. وأول هذه المصادر هو تاريخ التّلمحريّ الذي ينتهي عام ١٥٨هـ/ ٧٧٤م. والكتاب عبارة عن روايات مُملّة مليئة باقتباسات طويلة من الكتاب المقدّس ومناجاة السماء ضدّ آثام الآخرين وأخلاقهم المبتذلة. ومع ذلك فالكتاب يزوّدنا بصورة واضحة عن تاريخ القرن الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ في أرض الرافدين. فهو يصف أرض ما بين النهرين وصفاً دقيقاً «مبيناً» صلاحيتها للزراعة وكيف استغل الفلاحون كلّ بقعة فيها[١].

ويصف التّلمحريّ بشيءٍ من المبالغة سوءَ معاملة العمال للفلاحين، ما أدّى إلى ثورة الفلاحين ضدّ العمال. ويوضّح الأساليب الّتي قمع بها العمال ثورة الفلاحين. ويتكلم بالتفصيل على المصادرات الّتي اتّبعها الولاة وتدخلهم المستمر في حياة النّاس الخاصة. ويُعطينا معلومات عن صيادي السمك والضرائب المفروضة عليهم. ويصف وصفاً «دقيقاً» عمليات ختم أعناق الفلاحين وتعاون الدهاقين والموظفين لإنجاح عملية ختم الأعناق. ويتكلم أيضاً على الضرائب الّتي أُثقل بها الفلاحون، ما اضطرهم إلى الوقوع في ديون التجار وبيع أطفالهم وممتلكاتهم لغرض الإيفاء بهذه الديون. ويبيّن التّلمحريّ أنّ عمال الخراج أجبروا الفلاحين على دفع الخراج ذهباً بدلاً عن دفعه عيناً[٢]. وقد أيّد الطبريّ[٣] هذه المعلومات الّتي هي حالات فردية وليست جزءاً من سياسة الدولة.

ويروي التّلمحريّ أنّ في زيارته مصر وجد أن جزية أهل الذّمة ثقيلة،

---

(١) فيه، م.ن.، ص٣٩ ـ ٤٧.

(٢) أبونا، أدب اللُّغة الآراميّة، ص٣٥٤. محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠،ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٧/ ٢٦٩.

فتوسّط لدى والي مصر بجعلها مساوية لجزية أهل الذّمة فيما بين النهرين، وهي ٤٨ درهماً على الأغنياء و٢٤ درهماً على الطبقة المتوسطة و١٢ درهماً على الفقراء[١]. ولا تذكر المصادر الإسلاميّة هذا التغيير في كمية الجزية المفروضة على أهل الذمة.

وهناك مؤلف سريانيّ آخر يتناول تاريخ الرُّها، يعالج تاريخ النصف الأوَّل من القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ. ويبدو أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث الّتي وصفها، ومن المحتمل أنه كان شاهد عيانٍ لبعضها. يروي المؤلف معلومات دقيقة عن المسلمين والصليبيين في الرُّها، وما أصاب المدينة من ذعرٍ وإرهابٍ بسبب تبادل حكم المدينة بين المسلمين والصليبيين. ويلقي اللوم على الصليبيين، ويقول إنّهم كانوا وراء هذا الرعب والعنف[٢].

ويصف المؤلف عملية دخول نور الدين زنكي المدينة في العام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بطريقة يبيّن فيها مدى تسامح المسلمين مع سكّان المدينة من أهل الذمة. ويروي صوراً كثيرة من صور التسامح الإسلاميّ الّتي عكستها معاملة نور الدين لكبار نصارى مدينة الرُّها[٣]. وقد ورد ما يشابه هذه المعلومات في مؤلف سريانيّ آخر عاش مؤلفه أيام سقوط القدس على يد صلاح الدين في العام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

ويُعدّ ميخائيل الكبير بطريرك أنطاكية (٥٦٢ ـ ٥٩٣هـ/ ١١٦٦ ـ ١١٩٦م) من أهم المصادر السريانيّة الّتي اهتمت بالتاريخ الإسلاميّ.

---

(١) الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٢) الربيعي، م.ن.، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

(٣) أبونا، أدب اللُّغة الآراميَّة، ص٣٥٤.

وضع كتاباً في التاريخ الدينيّ والمدني العام من أوَّل الخليقة حتى العام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م، ألفه بالسريانيّة في عدة مجلدات، وجعل كلّ صفحة منه ثلاثة أعمدة، خصّ أولها بالتاريخ الدينيّ، والثاني بالمدني، ودوّن في الثالث أموراً متفرقة تضم حكايات ونوادر محلية. وهذا القسم هو أهم الأقسام في كتابة التاريخ الإسلاميّ، ففيه يروي أموراً تتعلق بالحصاد والقحط والجفاف والحرائق، ومعلومات مفصّلة عن العمّال المسلمين ورؤساء القبائل العربيّة والفلاحين وعامة الناس(١).

وعند ميخائيل الكبير فإنّ ظهور الإسلام كان بداية لإنقاذ اليعاقبة من استبداد البيزنطيّين الذين اضطهدوا المسيحيّين المختلفين عنهم مذهبياً، وهو بهذا يعكس وجهة نظر اليعاقبة الذين ينتمي إلى مذهبهم. ويقول ميخائيل: إن الله عاقب الروم بظهور الإسلام لأن الله «لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، ونهبوا أديرتنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمةٍ ولا شفقة، أرسل إلينا إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلّصنا على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق أننا إذا كنّا قد تحمّلنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا وإعطائها لأهل خلقيدونية، فقد استمرّت هذه الكنائس في حوزتهم. ولما سُلِّمت المدن للعرب خصَّص هؤلاء لكلّ طائفة الكنائس الّتي وجدت في حوزتها، وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص وكنيسة حران. ومع ذلك لم يكن كسباً «هيناً» أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمّسهم العنيف ضدنا وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام»(٢).

---

(١) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص٧٦.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ٢/ ١٧٤.

ويرى ميخائيل الكبير أن ما لحق بالمسيحيّين ومزارعهم ومدنهم من التخريب في بداية الفتوحات الإسلاميّة أمر طبيعي يرافق كلّ حرب. ويقول بعد أن استقرت الفتوحات الإسلاميّة عادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية، وانتعشت الحياة الاقتصاديَّة للنصارى وتمتعوا بكامل حريتهم الّتي حرموا منها أيام البيزنطيّين[١].

ويمتاز ميخائيل الكبير عن غيره من المؤلفين السريان، بأنَّه يزوّد الباحث بمعلومات مفصلة عن علاقة الحكام المسلمين بمشاهير النصارى، ويرويها بشكل موضوعي لأنَّه يروي الجانب السلبي والإيجابي من هذه العلاقات[٢]. وقد ورد ما يؤيده في رواياته عن هذه العلاقات في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني[٣].

ومن المؤرِّخين السريان الذين اهتموا بكتابة التاريخ الإسلاميّ ابن العبريّ (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وهو أحد مشاهير عُلماء السريان، كَتَبَ في أمور كثيرة منها التاريخ المدني والتاريخ الكنسيّ. أخذ عن يعقوب الرُهاوي (ت٩٠هـ/ ٧٠٨م). وروى عن ميخائيل الكبير نقلاً «حرفياً». وأخذ عن تواريخ سريانيّة وعربيَّة وفارسيَّة. وفي تاريخه المدني يوجّه انتقادات عنيفة إلى الإسلام النبي محمد . وقد أغضب المسلمين لأنَّه كَتَبَ تاريخه المدني والكنسيّ بالسريانيّة الّتي يجهلها المسلمون. وعندما طلب منه أن يُترجم كتابه التاريخ المدني إلى العربيّة، ترجم الكتاب وحذف منه تلك الانتقادات الموجهة ضدّ الإسلام[٤]. وابن العبريّ هو المؤرِّخ السريانيّ الوحيد الذي كَتَبَ في تاريخه المدني أن عمر بن

(١) ميخائيل الكبير، **تاريخ ميخائيل**، ٢/ ١٧٤.
(٢) ميخائيل الكبير، م. ن.، ٢/ ١٧٤.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ٥/ ١٦٥، ١١/ ٢٨٢، ١٢/ ١٣٣ ـ ١٣٨.
(٤) رشدي، **ميخائيل السرياني**، ص٧٦.

الخطّاب كان قد جاء إلى الرُّها ووقع عقد الصلح مع سكانها[1]، في حين لم تذكر ذلك المصادر الإسلاميّة.

وروى ابن العبريّ في تاريخه الكنسيّ أموراً كثيرة تخصّ العلاقة بين النبي محمد والخلفاء الراشدين من ناحية، وبين المسيحيّين الشرقيّين (النساطرة) من ناحية أخرى. فهو يروي أن إيشوعياب الثالث البطريرك النسطوريّ قد أرسل هدايا للنبي محمد وأعطاه عهداً وسلطة لحكم النصارى. وقد حدّد النبي محمد في هذا العهد اثني عشر درهماً «ضريبة» يدفعها كلّ نصراني للدولة الإسلاميّة. وحثّ النبي محمد في هذا العهد المسلمين على مساعدة المسيحيّين في بناء كنائسهم وأديرتهم[2]. ولم تذكر المصادر السريانيّة الأولية والمصادر الإسلاميّة ما يؤيد ذلك. وعلى كلّ حال فإن التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ خصّص لدراسة الأُمور الّتي تهم الكنيسة المسيحيّة. وقد أورد معلومات مفصلة عن علاقة كبار رجال الكنيسة النسطوريّة بالخلافة الإسلاميّة بأُسلوب يظهر فيه النساطرة، الذين يختلفون عنه مذهبياً، يفتقرون إلى الكياسة وبُعد النظر، ويُظهر الخلفاء والولاة المسلمين بأنهم ميالين إلى البطش والتخريب[3].

ويمكن أن نستنتج أن المصادر السريانيّة تروي من التاريخ الإسلاميّ الروايات ذات العلاقة بتأريخ الكنيسة، مؤكّدة الجوانب السلبيَّة منها. وهي، وإن روت بعض الروايات الإيجابية من هذا التاريخ، فهي قليلة جداً، وروت بعضها لأجل توجيه الانتقادات إلى الإمبراطوريَّة البيزنطيّة الّتي خضع لها المسيحيّون، والّتي يختلفون عنها مذهبياً. لذا فمن

(١) ابن العبريّ، تاريخ مختصر الدول، ص٦٩.
(٢) ابن العبريّ، م. ن.، ص٦٩.
(٣) قنواتي، المسيحيّة والحضارة العربيّة، ص١٥١.

الممكن القول إن الرأي الذي طرحته الباحثة الإنكليزية كراون (P. Crown) والذي تؤكّد فيه الاعتماد كليّاً على المصادر السريانيّة في كتابة التاريخ الإسلاميّ[1]، هو رأي مبتسر ويحتاج إلى إعادة نظر. ولكن يمكن الاستفادة من المصادر السريانيّة في كتابة التاريخ الإسلاميّ وخصوصاً الأمور الّتي تتعلق بدراسة تاريخ أهل الذمّة في ظلّ الخلافة الإسلاميّة. وتشكّل المصادر السريانيّة العمود الفقري في أي محاولةٍ لكتابة تاريخ أهل الذمةّ تحت ظلّ الخلافة الإسلاميّة، ولكن لا يمكن الاستغناء بأيّ حالٍ من الأحوال عن المصادر الإسلاميّة في هذه المحاولة، لأن الكثير من الأمور الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة لم يرد بشكلٍ واضحٍ في المصادر السريانيّة أو لم ينل اهتمامها.

(١) الربيعي (جاسم صكبان). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ - ٦٩٨.

الفصل الرابع

روايات عن ميخائيل الكبير
عن التاريخ الإسلاميّ
ومقارنتها بتاريخ الطبريّ

المبحث الأوَّل: قيام الدَّولة العربيّة الإسلاميّة في جزيرة العرب

أوَّلاً: قيام الدَّولة العربيّة الإسلاميّة في جزيرة العرب في رواية ميخائيل الكبير

ثانياً: تحليل النص السريانيّ

المبحث الثاني: الفتوحات الإسلاميّة في تاريخ ميخائيل الكبير في العهدَيْن الراشديّ والأُمويّ

أوَّلاً: العصر الراشديّ

ثانياً: في خروج المسلمين إلى مناطق الروم والفرس

ثالثاً: انقراض مملكة الساسانيين

المبحث الثالث: تحليل النص

أولاً: موقع الراوي

ثانياً: الميول

ثالثاً: تركيب النص

تحتل مصادر المؤرِّخين السريان مكانةً بالغة الأهمية في دراسة التاريخ الإسلاميّ بصورة عامة، وتاريخ الفتوحات الإسلاميّة، وتاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيّة والخلافة الإسلاميّة على وجه الخصوص.

ويلاحظ أن معظم المصادر البيزنطيّة أهمل سرد أخبار الفتوحات الإسلاميّة سرداً تفصيلياً، بينما زودنا بعض السريانيّة المعاصرة للفتوحات بتفاصيل دقيقة وجديدة عن حركة المد الإسلاميّ. ومما زاد من أهميتها أن كتابها كانوا من معاصري هذه الأحداث الجارفة، بل ومن شاهدي العيان لها.

أما المصادر الإسلاميّة، فعلى الرّغم من تناولها الوقائع والأحداث بالتفصيل، إلَّا أنها جاءت متضاربة متناقضة أحياناً أخرى. ويرجع ذلك إلى ابتعادها عن الأحداث واعتمادها على الأسانيد. ولا أدل على ذلك التناقض في سرد أخبار الفتوحات الإسلاميّة المبكرة من اعتراف الطبريّ صراحة بذلك قائلاً: «أما الفتوحات الّتي نسبها بعض النَّاس إلى أنها كانت في عهد عمر وبعضهم إلى أنها كانت في عهد عثمان، فقد ذكرت قبل في ما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كلّ فتح كان من ذلك»[1].

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرُّسُل، ٥/٤٧.

والحقيقة أن مصادرنا عن الفتوحات الإسلاميّة اعتمدت على الرواية الشفوية، فلم يعرف المسلمون التدوين التاريخيّ حتى العصر العباسيّ. ومن المحقق أن العرب في جاهليتهم وفي أوائل الإسلام لم يدونوا التاريخ، ولجهلهم الكتابة، ولتحبيذهم الحفظ عليها لأنها لم تكن وقتذاك لتعطي صاحبها تفوقاً في المجتمع أكثر ممَّا تعطيه ملكة الحفظ. فكان تاريخ المسلمين الأول، عبارة عن وقائع وأيام، محفوظا في الذاكرة، يرددونه على ألسنتهم ظن إعانتهم على بيئتهم الصحراوية الطليقة الّتي ليس فيها تعقيد. لذا التجأ مؤرِّخوهم الأوائل إلى الأسانيد في رواياتهم التاريخيّة.[1]

تزامنًا مع هذا الوضع، ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة، واتجهت جيوشه إلى بلاد الشام، فسانده المسيحيّون العرب (المسيحيّون العرب عمومًا اتبعوا الطقس السريانيّ) والسريان، كما حصل مع فتح الحيرة على يد خالد بن الوليد[2]، و معركة اليرموك ومعركة القادسية[3] أو فتحوا أبواب المدن بذاتها مهللين للفاتحين[4]، لتبدأ إثر ذلك مرحلة جديدة من التفاعل بين الحضارتين العربيّة والسريانيّة، ومن ثم بين اللغتين. ففي ظلِّ الدَّولة الأمويّة استمرت اللُّغة السريانيّة لغة الدواوين والوزارات حتى عهد عبد الملك بن مروان، ولن تنتهي عملية التعريب حتى القرون الوسطى ما يدل على تفاعل حضاري بين اللغتين وليس على إحلال لغة وثقافة مكان أخرى. وسيطر السريان على كثير من قطاعات الدَّولة الحيوية كبناء الأسطول وجباية الضرائب، ونالوا امتيازات عديدة

---

(١) ماجد، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلاميّ، ص٣١.

(٢) شبارو، الدولة العربية الإسلامية الأولى، ص٢٦٨.

(٣) شبارو، م. ن.، ٢٧٩ ـ ٢٨٨.

(٤) اسكندر، أرمينيَّة بين البيزنطيّين والخلفاء الراشديّن، ص٢٩.

أخرى[1]. استمر الوضع على حاله، طوال عهد الدَّولة الأمويّة باستثناء فترة قصيرة من الاضطهادات قادها عمر بن عبد العزيز[2]. ومع قيام الدَّولة العباسيّة بدأت مرحلة أخرى عرفت بمرحلة الترجمات، إذ كان العرب يجهلون اللُّغة اليونانيَّة الّتي دوِّن بها أغلب المؤلفات العلميّة القديمة أمثال كتابات أرسطو وأفلاطون وغيرهما، ومع اهتمام الخلفاء خصوصًا هارون الرشيد وابنه المأمون بالعلوم، عهد بعملية الترجمة إلى السريان فكانت الترجمات تتم على مرحلتين، من اليونانيَّة إلى السريانيّة ومن السريانيّة إلى العربيّة. كذلك فقد نقل العرب الأدب السريانيّ بكامله إلى لغتهم. وقد اعترف المؤلّفون العرب القدماء، كابن أبي أصيبعة، والقفطي، وابن النَّديم والبيهقي، وابن جلجل وغيرهم، بقصّة غزو العرب للأدب السريانيّ ونقل المؤلّفات السريانيّة إلى العربيّة في أرجاء الدَّولة العباسيّة والأندلس[3].

ومن الملاحظ أن المؤلفات التاريخيّة السريانيّة تكاد لا تزيد على عدد المؤرِّخين إلَّا قليلاً. وندر فيهم من كَتَبَ أكثر من كتاب. ومع أنَّه ليس في أيدينا إلَّا حوالي أربعة عشر مؤلفاً من أصل حوالى ثلاثة وأربعين ضاع الباقي الذي يزيد على ٧٠٪ من ذلك الإنتاج، وهي تعادل تقريباً نسبة الكتب المفقودة من المؤلفات التاريخيّة الإسلاميّة. وكما حافظت الأوساط الدينيّة المسلمة على مخطوطات بعض الكتاب، فقد حافظت الأديرة والكنائس على الكتب والمخطوطات[4].

---

(١) اسكندر، م.ن.، ص٢٠.

(٢) محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠، ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٣) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٣٩.

(٤) حبي، التواريخ السريانية، ص٢٩؛ حراق، التواريخ السريانية، ص٢٠٢ ـ ٢٠٧.

وتجدر الإشارة إلى أن التفاوت في حجم التواريخ العربيّة والسريانيّة يمثّل ظاهرة تثير اهتمام الباحثين، فالتواريخ السريانيّة بلغت حوالي ثلاثة مجلدات، في حين أن التواريخ العربيّة جاءت بمثابة مختصر تصل أحيانا إلى الاقتصار على عدة صفحات من جداول السنين والأحداث (كما في تاريخ ابن الراهب) وقد تطول أحياناً لتصبح مجلداً حسناً، جيد التأليف. ولكنها في الحالتين عرض مختصر مركز، سريع، كأنّما كانت عملية التاريخ بالنسبة إليهم مجرد استذكار للوقائع عبر الزمن ومجرد وضع الأحداث في إطارها الزمني.

ركّز المؤلفون السريان اهتمامهم على التاريخ العام، وبخاصة التاريخ الكنسيّ السابق للإسلام لإبرازه بشكل متكافئ مع التاريخ الإسلاميّ الذي كانوا يعيشون في إطاره، ولهذا نجد أن ما يعادل ثلث أعمالهم التاريخيّة كانت تواريخ عامة، وينطلق بعضها من العهدَيْنِ: الرومانيّ أو البيزنطيّ، أما غالبية المؤرّخين المسلمين فقد اقتصر اهتمامهم على تاريخ الإسلام[1].

أما من حيث المادة وأُسلوب المعالجة التاريخيّة فقد وجدنا بصورة عامة ـ ومن خلال كتب المؤلفين السريان ـ أنَّ هذه الكتب تشترك في بعض الميزات[2] ومنها:

إقامة نوع من التوازن الكمي بين تواريخ الأُمم السابقة للإسلام، وخاصة تاريخ الروم والمسيحيّة وبين التاريخ الإسلاميّ.

اعتماد الأسلوب المختصر والمباشر في السرد من دون إطالة ولا سند ولا دخول في التفاصيل أو الروايات.

---

(١) حراق، م. ن.، ص٢٠٢ ـ ٢٠٧.

(٢) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ١/٤٢٨.

أبرزَ التاريخ المسيحيّ، حتّى خلال التاريخ الإسلاميّ نفسه؛ فكثيراً ما يعطف الكاتب، فيذكر مثلاً الأطباء النصارى أو خبر هذا البطريرك أو ذلك الشاعر أو ذلك الكاتب من المسيحيّين خلال السرد في نوع من إثبات الوجود المبرَّر. وهذا ما سمح بكشف الكثير من أحوال أهل الذمَّة خلال العصور الإسلاميّة.

إنَّ روحاً من الاعتدال الواضح والحياد كانت تميِّز بعض التواريخ الّتي كتبها المسيحيّون، وروح التعصُّب لا تبرز فيها وكثيراً ما تغيب عنها.

واستجابة لما تقدَّم، سنحاول دراسة روايات ميخائيل الكبير في تاريخه، وتحليل هذه الروايات، ومقارنتها مع روايات تاريخ الرُّسُل والملوك للطبريّ.

المبحث الأوّل

قيام الدَّولة العربيّة الإسلاميّة في جزيرة العرب

شهدت الجزيرة العربيّة في أوائل القرن السابع للميلاد تحولات عميقة صاحبت ظهور الدين الإسلاميّ الذي انتشر تباعاً ليسود أجزاء مهمة من العالم، كما وحد العرب والمسلمين باختلاف أعراقهم في أُمة واحدة ضمن سلطةٍ مركزيةٍ انطلقت نواتها من المدينة المنورة وسعت إلى نشر الفتوحات تدريجياً.

ظهر الإسلام بمكّة ضمن إقليم الحجاز بالجزيرة العربيّة سنة ٦١٠م عند بلوغ النبيّ محمّد سنّ الأربعين. وكان ظهوره في ظرف تاريخيّ سيطرت فيه الدولتان المجاورتان الساسانيَّة والبيزنطيّة على معظم أطراف بلاد العرب وفي ظروف اجتماعيَّة متردية جداً. كانت مكة قطباً دينياً وتجارياً ازدادت قيمته في نفوس العرب خاصَّة لاشتمالها على الكعبة مقصد الحجّاج من كلّ صوب. وقد أدى أهلها القرشيون دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، ما بوأهم مركز الزعامة بين العرب. من جهة أخرى أدَّى تراكُم الثروات عند نُخبةٍ من التُّجار والأثرياء إلى تزايد الفوارق بين العشائر والأفراد داخل القبيلة الواحدة وتضرر علاقات التضامن المميزة للنظام القبلي في فترة عرفت أيضاً بروز ظاهرة الأحناف

وهم أُناس يبحثون عن دينٍ آخر غير الوثنية المهيمنة في وسط الجزيرة واليهوديَّة والمسيحيّة والمجوسيّة المنتشرة في الأطراف[1].

مع أنّ النبيّ محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، من بني هاشم تلك العشيرة الّتي حظيت بالشرف في قريش، وأدت دوراً أساسيّاً في العناية بالحجّاج في المواسم من خلال وظيفتي السقاية والرفادة وتنظيم تجارة مكة وتوسيعها من خلال نظام الإيلاف. فقد عاش في صغره يُتماً مبكراً وظروفاً صعبة، وشهدت له قريش بالجدّ والاستقامة والأمانة وحُسن الخُلُق، الأمر الشيء الذي جعله فاصلاً لعدة نزاعات كانت قد جرت في قريش، منها ما يخصّ تجديد الكعبة ووضع الحجر الأسود. كما مارس النبي محمد عدة أعمال منها رعي الغنم والتجارة[2].

أوّلاً: قيام الدَّولة العربيّة الإسلاميّة في جزيرة العرب في رواية ميخائيل الكبير

«في سنة ٩٣٣ يونانية، والثانية عشرة لهرقل، والـ٣٣ لكسرى، بدأ ملك الطائيين (المسلمين) عندما جاء إلى منطقة يثرب، محمّد من قبيلة قريش، وقال إنه نبي، ودعا أتباعه «مسلمين» أو «إسماعيليين» أو «هاجريين» نسبة إلى هاجر وإسماعيل، وسرقيين نسبة إلى سارة[3]، ومذيانيين أبناء قنطور. ولكن ولأن تعددت تسميتهم، غير أنَّ اسمهم العام هو «العرب»، وهم يطلقون على أنفسهم هذه التسمية، وهي

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) الطبريّ، م. ن.، ٢/ ٢٧٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/ ١٩٩.

(٣) السراسين أو السراكين (Saracens) هي التسمية الّتي كان يطلقها الروم على العرب ولتفسير ذلك راجع دراسة ديفيد غرافس، أصل اسم العرب في اللاتينيّة. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٤٢؛ عيتاني، الفتوحات الإسلاميّة في روايات المغلوبين ص٢٨.

مأخوذة من العربيّة الخصبة الّتي هي موطنهم، وهي المنطقة المحصورة بين نهر الفرات شمالاً حتّى البحر الجنوبي، ومن البحر الأحمر حتّى خليج بحر فارس شرقاً.

كان محمّد بن عبد الله يذهب إلى فلسطين للتجارة، وإذ رأى أبناء شعبه يعبدون الحجارة والخشب وغيرها من المخلوقات، طرح عبادة الله على أبناء أُمته فأطاعته قلّة في بادئ الأمر، ثم أخذوا بالتزايد. وإذ قوي أخذ يأمرهم رسمياً بطاعة الخالق، مُرهباً حيناً ومُرغباً حيناً آخر، وحيناً يمتدح أرض فلسطين بقوله: لقد أعطيت تلك الأرض الطيبة لأولئك الناس، نظراً إلى إيمانهم بالله الواحد. وقال لهم أيضاً: إذا أطعتموني ونبذتم هذه الآلهة الباطلة وآمنتم بالله الواحد، فإنَّ الله سيعطيكم تلك الأرض الطيبة... ووضع للمسلمين شريعة قال إنَّ الله أنزلها عليه. فعلّمهم أنْ يؤمنوا بإله واحد خالق الكل وأقنوم واحد لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفء أو شريك، وهو يقبل أسفار موسى والأنبياء وقسماً من الإنجيل، لكنَّه ترك معظمه، ومال إلى الأمور البسيطة»[1].

أما نظرته إلى المسيح فهي: أنَّ المسيح هو الشخص الذي تنبأ بمجيئه الأنبياء، لكن كإنسان بارّ ونبي كسائر الأنبياء، وليس كإله أو ابن الله كما نؤمن نحن المسيحيّين، غير أنَّه أكبر من سائر الأنبياء لأنَّه لم يولد من زواج بل بكلمة الله نفخها في مريم كما نفخ في آدم فخلق من التراب، ثم نفخ فيه الروح القدس فاستقام، لذا فهم يسمونه أحياناً كلمة الله وروحه، على اعتبار أنه عبد وخليقة كلمة الله، وهذا بدلاً من عبارة (ابن الله) الّتي نتداولها نحن، انهم ينظرون إليها نظرة مادية. ويتهموننا

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص٩٦؛ ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل الكبير، ٢/ ٢٩٥.

بأننا نؤمن بأنَّ الله أولده من امرأة وهي، في نظرهم، مريم أخت هارون وموسى. أما عن صلب اليهود للمسيح فإن معظمهم لا يعترفون به، لكنهم يقولون: إن الله ألقى شبهه على أحد تلاميذه فصلب ومات، أما المسيح فتوارى، حيث إنَّ الله أخذه إلى الفردوس. إنهم يصلون خمس مرات في اليوم، وفي كلّ صلاة يركعون أربع ركعات، يؤمنون بقيامة الأموات والحساب والمجازاة، كلّ بحسب أعماله. إنهم مغرمون بمحبة العالم. والأكل والشرب واللبس وتعدد الزوجات، ولا مانع من أنْ يطلّق أحد زوجته ويتزوج بأخرى. يصومون ثلاثين يوماً طوال النهار، ويأكلون طوال الليل حتّى الفجر، يتوضؤون بالماء قبل الصلاة ويغسلون أعضاءهم، وفي حالة اقترابهم من المرأة أو الاحتلام، يطهّرون أجسامهم كلها ومن ثم يصلون، وقبلتهم هي الكعبة أينما كانوا، وهم يمارسون الختان ذُكوراً وإناثاً، من دون أنْ يتقيّدوا بشريعة موسى الّتي تقضي بأنْ يتم الختان في اليوم الثامن[1].

أن لكلّ من الطبريّ وميخائيل الكبير منهجاً صريحاً أو خفيّ قاده في قراءة سيرة النبي محمد . ولا شكّ من أنّ النّفاذَ إلى معالم المنهج الّذي حكم روايات المؤرِّخين يرُدّ نتائجَ كثيرةً متفرّقةً في تاريخ الطبريّ[2] وتاريخ ميخائيل الكبير، لكن هل احتكم المؤرِّخون إلى أصول واحدة على اختلاف العصر والمِصر والثّقافة؟ فمنهم مَن غلبت عليه الثّقافة العربيّة الإسلاميّة التّقليديّة كالطبريّ، والآخر تشبّع بالثّقافة التاريخيّة

(١) هذا النص هو معظم التقرير الكنسيّ الذي أعدّه رجال دين سريان عندما ظهرت الدعوة الإسلاميّة، ملخصين ما عرفوه عن هذا الدين الجديد، على الرّغم بما في ذلك من بعض المغالطات الّتي أُضيفت في فترات لاحقة ولم نر فائدة من نشرها. رشدي، م. س.، ص٩٨.

(٢) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٢/٢٩٣.

والفلسفيّة الدينيّة المسيحيّة كميخائيل الكبير. إنّنا نعتقد أنّ تناظُراً ما قائمٌ بين بعض الأصول الّتي اعتمدوا عليها من حيث الغاية في كتابة الروايات التاريخيّة.

ثانياً: تحليل النص السريانيّ

تسميات العرب في التواريخ السريانيّة

أ: ذكر ميخائيل الكبير عدة تسميات للعرب وفيما يليبيان أصل هذه التسميات

لم يظهر العرب فجأة على مسرح الأحداث. فقد كانت تربطهم علاقات وثيقة بالمراكز الحضاريّة المحيطة بالجزيرة العربيّة، وما يُرافقها من تبادل في العادات والمعارف والثقافة عموماً. وعلى الرّغم من الطابع المفاجئ للفتوحات الإسلاميّة، على المستوى التاريخيّ، إلَّا أنَّ عدداً كبيراً من الأحلاف والحروب ومستويات متنوعة من العلاقات نشأت بين العرب وبين الشعوب والدول القريبة منهم، وسبقت الفتوحات بقرون من الزمن.

لم تتفق المصادر السريانيّة والساسانيَّة والبيزنطيّة على أصل العرب وفصلهم ولم تجمع على شيء من صفاتهم أو أسمائهم.

كذلك المصادر المتأخرة كثيرة عن الفتح الإسلاميّ، فأسماء العرب متعددة هي: السراسنة والطائيون والمهاجرون والإسماعيليون[1]. ولكن ما يهمنا من هذه التسميات هو تسمية الطائيين، ذلك لأنَّ هذه التسمية أكثر استعمالاً في الكتابات السريانيّة.

---

(١) الإسماعيليون: نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل وليس إلى المذهب الإسماعيلي. الشرهاني، أضواء على السيرة النبويّة، ص٤٧.

ب: أصل تسمية الطائيين

قبيلة الطائيين هي إحدى قبائل العرب القحطانيّة اليمانيّة الأصل. هاجرت بعد انهيار سدّ مأرب وسكنت شمال الجزيرة العربيّة، وتحديداً في بلاد الجبلين (أجا وسلمى) أو كما يسمى الآن جبل شمر. ولا يزال معظم أبناء هذه القبيلة موجودين فيها. كما كان للطائيين وجود خلال الفتوحات الإسلاميّة في كلّ من العراق وسوريا وتركيا. بدأت الهجرات مع ظهور الإسلام، حيث كان جزءٌ من قبيلة طيء يعتنق المسيحيّة النصرانيَّة القديمة والمختلفة عن المسيحيّة المعروفة اليوم، وهاجر أفراد منها إلى أنطاكية ومنها تفرقوا شمالاً وغرباً.

إنَّ تسمية الطائيين وما يتفرع منها من عبارات مثل «تازيغ» و«تازي» و«طاجيك» مسار طريف يعكس التشعب الذي سارت فيه الفتوحات. فقبيلة طيء الكبيرة الّتي انتشرت في منطقة شمَّر شمال شرقي الجزيرة العربيّة كانت على صلة مستمرة بالآشوريين المقيمين هناك، وكانوا يسمونها بلغتهم «طيايا» و«طيايو» (باللفظ السريانيّ). ويبدو أنَّ الفرس هم من عمّم تسمية الطائيين عند العرب، بعدما أقام الطائيون علاقات مع العرب اللّخميين الذين كانوا يتولون حماية الحدود الغربيَّة للإمبراطورية الساسانيَّة. ومع تقدم الفتوحات العربيّة إلى آسيا الوسطى وبداية الصدام مع الإمارات التركيَّة هناك، استخدمت شعوب تلك المنطقة، الخاضعة للتأثر الثقافيّ الفارسيّ[1]، التسمية الّتي عرفها من الفرس عن العرب، الطائيين، وشملت بها جميع المسلمين بمن فيهم الموالي من الفرس الإيرانيين[2]. وبالنسبة إلى الشعوب التركيَّة البدوية

---

(١) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٤٥؛ عيتاني، الفتوحات الإسلاميّة في روايات المغلوبين ص٢٨.

(٢) عيتاني، م. ن.، ص٢٨

باتَ الطائيون المتمركزون في الحواضر، والأكثر استقراراً، هم جميع الفلاحين وسكان البلدات والمدن في وسط آسيا ومنطقة ما وراء نهر جيحون (أموداريا) (Transoxania)، وتحول الاسم إلى «تازيغ» الّتي باتت تعني الشعوب الفارسيَّة الإيرانيّة الواقعة تحت حكم الإمارات التركيَّة. من هناك انتقل الاسم إلى الصين فسمي العرب «تا ـ شي» (Ta - she) وإلى حيث أطلقت عليها تسمية «تا ـ زيغ» (Ta - zig)[1].

وتُطالعنا في نصوص الأفيستا الجديدة (Young Avesta) الزرادشتيّة وفي فصول الأناشيد «يشت» (Yashts)، قصة عن بداية الخلق تقول: إنَّ هوشيانغا باراداتا (Haoshiyangha Paradhata) وهو أوَّل حاكم لطبقات الأرض السبع، أنجب ولدَيْن هما: فغرد (Fgerd) وتاز (Taz) منه جاء التازيون العرب. ومن المحال الوصول إلى حكم قاطع في شأن أي من المصدرَيْن حول أصل كلمة «تازي» المعروفة في الثقافة الفارسيَّة نظراً إلى امتداد تدوين الـ«يشت» على فترات طويلة تداخلت آخرها مع الفتوحات العربيّة.

ومع تطور اللُّغة الفارسيَّة الجديدة الّتي كانت لغة الساسانيين في فارس وتبلورها مستقلة أو شبه مستقلة، أصبح الفرس فيما وراء النهر يشكّلون ما يشبه قومية منفصلة احتفظت بتسمية أطلقها جيرانها عليها وهي الطاجيك نسبةً إلى الطائيين.

يعترض بعض المستشرقين على هذا التفسير ويقول: إنَّ للكلمة أصلاً فارسياً يختلف عن ذلك العربيّ. وفي روسيا، كان يعتقد أنَّ أصل الكلمة «تازيغ» الّتي كانت متداولة بين التتر المسلمين وكذلك كلمة «تاجِر».

---

(١) دوسلييه، مسيحيو الشرق والإسلام، ص٨٨؛ عيتاني، م.س.، ص٢٩.

إنَّ الانتشار والاتساع لمشتقات كلمة «طي» في الكتابات السريانيّة والآشورية، جعلها تجد طريقها لتعود إلى العرب. وينقل الطبريّ في معرض حديثه عن أصل أسرة البرامكة عن امرأة فارسيَّة سباها العرب توجهها بالحديث إلى العربيّ الذي أسرها عبد الله بن مسلم «ياتازي»[1] إلى آخر الرواية...

ويعود اعتماد هذه التسمية من قبل المصادر السريانيّة إلى أمرين أساسيين: أولهما تبيان قوة وسطوة القبيلة في المجتمع الإسلاميّ، وثانيهما محاولة التقليل من أهميَّة الدين الإسلاميّ.

ج: الاختلاف في طرائق دراسة تاريخ النبيّ محمد

تبدو مظاهر الاختلاف في الأمور الآتية:

١ ـ اعتماد ميخائيل الكبير في تاريخه الأُسلوب المختصر والمباشر في السرد من دون إطالة أو سند أو دخول في التفاصيل الروايات.

٢ ـ تركيزه على جغرافية التاريخ في بيان الحدود الجغرافية لجزيرة العرب (اسمهم الجامع هو العرب وهو اسم منسوب إلى الإقليم الذي يسكنونه والذي يمتد من الشمال إلى الجنوب ومن نهر الفرات حتى بحر الجنوب ومن الغرب إلى الشرق ومن البحر الأحمر حتى بداية البحر الفارسيّ)[2].

أما الطبريّ فقد أوضح في تاريخه حدود جزيرة العرب، وأشار إلى أثر العوامل الجغرافية في معارك المسلمين في نبي محمد، وفي غزوة أُحد سنة ٣هـ/ ٦٢٥م «ومضى النبي محمد حتى نزل بالشعب من أُحد في

(١) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٢/ ٢٩٥.
(٢) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١٥٦.

عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد»[1]، إذ استفاد النبي محمد من الطبيعة الجغرافية لمنطقة المعركة، وذلك بإسناد ظهره وحمايته إلى المانع الطبيعي وهو الجبل. وبنظرة فاحصة من لدن النبيّ محمد أحس بوجود خطرٍ يدهم المسلمين يمكن أنْ يتلافاه قبل حدوث المعركة، ويكمن هذا الخطر في ذلك التل الصغير أُحد المسمى جبل عينين، وذلك لأنَّه مقطوع عن أحد ما يسهِّل على العدوّ الالتفاف من خلفه. ولمواجهة هذا الخطر وضع النبي محمد خطةً محكمةً بحيث لا تدع ثغرة في صفوف المسلمين، ولهذا كلف النبي محمد خمسين من رماة السهام وأمّرَّ عليهم عبد الله بن جبير[2]، وقال له «انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك»[3].

٣ ـ لا يرى ميخائيل الكبير في الدين الإسلاميّ ديناً مُتميزاً، بل ديناً يعتمد في معظم جوانبه على الأديان الّتي سبقته، ولا سيّما اليهوديَّة فيقول: إنَّ محمداً كان يُتاجر بأموال خديجة بين يثرب ومكّة وفلسطين، وخلال جولاته كان يحادث اليهود في تلك الأمصار ويتعلم منهم، ولما أدرك أنهم بسبب اعتقادهم بالإله الواحد، ونفورهم من الأوثان، منحهم الله أرض الميعاد، ارتاح إلى أحاديثهم، وجعل يرشد أبناء قومه العرب إلى تلك الأمور وهو في سن الأربعين[4]. ويذكر أنَّ محمداً واجه

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٢٥؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، ٢/ ١٩٤.

(٢) عبد الله بن جبير: صحابيّ جليل شهد العقبة وبدراً، استشهد يوم أُحد؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣/ ١٩٤.

(٣) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٢٦؛ الواقديّ، المغازي، ٢/ ٢٢٤؛ ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٤٠.

(٤) رشدي، ميخائيل السريانيّ، ص١١٥؛ ابن العبريّ، تاريخ مختصر الدول، ص٩٧.

صعوبات في مكة، اضطرته إلى الهجرة إلى يثرب حيث رحّب به أهلها، ووعدوه بالمساعدة فسماهم أنصاراً، ولقنهم عقيدة الإيمان بالإله الواحد، وحضهم على ترك عبادة الآلهة الباطلة[١]. ويرى أنَّ لشدة قذارة العرب في وقت محمّد، شدّد على الطهارة الجسدية، وأوصى بالوضوء المستمر[٢].

لم يثبت أنَّ النبي محمد سافر إلى الشام أكثر من مرتين[٣]، الأُولى كانت بصحبة عمّه أبي طالب، وقد اختلفوا في سنه عندما ذهب في تلك الرحلة، فقد ذكرها بعضهم من دون أنْ يذكروا سنه[٤]. وقال آخرون: إنَّه ابن تسع سنين[٥]، وفي رواية انه ابن اثنتي عشرة سنة[٦]، وزاد على ذلك آخرون بأنَّه كان ابن ثلاث عشرة سنة[٧]، وذكر ابن خلدون (وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل ابن سبع عشرة)[٨].

ورافق ذكر هذه الرحلة ذكر قصة الراهب بحيرا[٩]. وقد اعترض عليها بعض المؤرّخين وأنكرها آخرون. وما يهم من الاعتراضات ما يتعلق بالجانب الزمني، فقال العمري: (قد حاول بعض المستشرقين أنْ يبني

---

(١) رشدي، م.س.، ص١١٥؛ ابن العبريّ، م.س.، ص٩٧.

(٢) رشدي، م. س.، ص١١٦. محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠،ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٣) الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٢/ ٢٩٥.

(٤) ابن إسحاق، م.س.، ٢/ ٧٣؛ شلبي، موسوعة الإسلام، ص٦٥.

(٥) الطبريّ م. س.، ٢/ ٢٧٨؛ المسعوديّ، مروج الذهب، ٢/ ٢٨٦.

(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢/ ٥١٤؛ الذهبيّ، أعلام النبلاء، ١/ ١٧٠.

(٧) المسعوديّ، التنبيه والإشراف، ص١٩٧؛ الشرهاني، أضواء على السيرة النبويّة، ص٤٧.

(٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٥٦.

(٩) العلي، دولة الرسول، ص١٢٣؛ الشرهاني، م. س.، ص٤٧.

على هذه القصة اتهامات فيها مجازفة علمية، زعموا أنَّ النبي محمد تلقى علم التوراة عن بحيرا... كيف يعقل أنْ يتلقى النبي محمد في سن الثانية عشرة علم التوراة في ساعة الطعام الّتي التقى خلالها بحيرا؟)[1].

وذكر أحد المؤرِّخين أنَّ أبا طالب عم النبي محمد أعاده إلى مكة برفقة بلال الحبشي، بأمر من أبي بكر، ردّه من الشام وزوّدهم الراهب بالكعك والزيت، وعلق على هذا القول: (إذا كان عمر النبي محمد اثنتي عشرة سنة فإنَّ عمر أبي بكر تسع سنين أو عشر، وعمر بلال أقل من ذلك، فأين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب)[2]. وأضاف آخر أنَّ بلالاً في حينها لم يكن مملوكاً لأبي بكر[3]. وقد أورد الطبريّ حوار الراهب مع جُند الروم (فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا، إنَّ هذا النبي محمد خارج في هذا الشهر، فلم يبقَ طريق إلَّا بعث إليها ناس)[4]. هذا الموقف كان حسب الرواية قبل البعثة بثمان وعشرين سنة، فكيف وافق خروج النبي محمد هذا الشهر عندهم؟

ودقّق العمري في هذا الحديث وذكر أنَّ أقوى طرق هذه القصة ورد عند الترمذي في جامعه وقال عنه الترمذي حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه[5]، وصححه الحاكم[6]، ونقل قول الذهبيّ أظنه موضوعاً وبعضه باطل[7] وبيّن اعتراضه على سند الرواية ومتنها ووصفها

---

(١) دوسليه، مسيحيو الشرق والإسلام، ص٩٠.
(٢) ابن كثير، السيرة النبويّة، ١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٣) محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠،ص ٥٩ ـ ٧٣.
(٤) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٢/ ٢٧٩.
(٥) الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٥٩٠ ـ ٥٩١.
(٦) الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦١٥ ـ ٦١٦.
(٧) الذهبيّ، ميزان الاعتدال، ٢/ ٦١٥ ـ ٦١٦.

بالنكارة، بل يفهم من كلامه شكّه في الرواية كلها، بل يمكن اعتبار ابن إسحاق أوّل من شكّك في الرواية باستعماله صيغة التمريض (يزعمون) ثلاث مرات، وأضاف تعليقاً على رد الذهبيّ لسائر الرواية واعتبارها موضوعة بقوله: (أما توسع الذهبيّ في ردّ سائر الرواية لمجرد احتمالات قابلة للنقاش لا تصلح أدلة للطعن في سائر الرواية فلا مبرر له)[١].

وذكر أحد المستشرقين عند حديثه عن رحلته الأُولى إلى الشام أنَّ له رحلة ثانية إلى الشام بقوله: (إنَّ هذا الشاب ابن الثالثة عشرة سنة لا بدَّ أنَّه تلقى فكرةً مفصلةً عن تكوين دينٍ جديدٍ وكيفية الدعوة إليه من بحيرا (سرجيوس) في وقت لاحق من حياته عندما اقترب من العشرين من العمر، أثناء رحلته الثانية إلى الشام)[٢]، ولم أجد ذكراً في المصادر لهذه الرحلة، وأخيراً فإنَّ رحلته إلى الشام كانت ما بين التاسعة والثالثة عشرة، وأرجح الأقوال إنه كان في سن الثانية عشرة. إنَّ الرحلة إلى الشام تتطلَّب قدرةً على التحمّل كونها شاقَّة ولذلك يفترض أنْ يكون سنه متناسباً مع ذلك، ويوافق ذلك سنة خمسمائة وثلاث وثمانين للميلاد[٣].

ويفصل ميخائيل الكبير بعض العوامل الّتي ساعدت على انتشار الدين الإسلاميّ بين العرب، ومن ثم سيطرته على أقسام كثيرة من العالم المعروف عصرئذ. فيرى أنَّ محمداً في بداية أمره انتقى بعضاً من مُشايعيه، وخرج على رأسهم بغزوة إلى فلسطين، فذهبوا، وعادوا محمَّلين بالأموال والأرزاق، ففرحوا، وتبعوه بكامل قلوبهم. وإنَّ محمداً كان يَعِدُ من يدخل دينه بالمتع الجسدية والروحية، ففي هذه الدنيا، يتزوج الرجل من يشاء، ويطلِّق من يشاء، من دون أنْ يقترف ذنباً، أو

---

(١) علي، المفصل في تاريخ العرب، ٦/٦٢٨.

(٢) العلي، دولة الرسول، ص١٣٨.

(٣) محجوب، م.س.، ص٥٩ . ٧٣.

يأتي إثماً، ويكتفي من الصيام بالإمساك شهراً واحداً في السنة، يصوم أثناء النهار، ويمضي الليل كلّه يأكل ويشرب حتّى مطلع الفجر. أما في الحياة الأخرى، فقد صرّح محمّد لتابعيه أنَّ الله هيّأ لأبناء مذهبه بعد القيامة، جنات وأنهار لبنٍ وعسل وخمر، وأشجاراً وارفة مثقلة بالثمار الشهية، وسُرراً مذهبة، وفُرشاً مكسوة بالاستبرق، ونكاح نساءٍ يفقن الشمس جمالاً[1]. ويذهب الملكي في حديثه إلى أنَّ الإسلام في البداية لم يقم على الإقناع والتخاطب بالبرهان، بل قام وانتشر بحدِّ السيف والقوة[2].

ويرى أنَّ الدَّولة العربيّة الإسلاميّة اتسعت وامتدت في فترةٍ وجيزةٍ، واحتلت أكثر بلاد الروم، ومملكة الفرس برمتها، بالإضافة إلى البلدان الّتي كانت تحت سيادتها[3]، بسبب طغيان الروم واضطهادهم لأبناء مذهبه من جهة، ولاقتراف مُلوكهم معاصي كثيرة من جهة أُخرى. فلما أرسل القيصر هرقل جيوشاً لمقاتلة العرب بقيادة أخيه تأودوريقي، صادف في ضواحي انطاكية راهباً عمورياً خلقيدونياً قال لتأودوريقي: عاهدني أنْ تمحو أتباع سويرا[4]، وأنا أضمن لك الغلبة على العرب، فأجابه تأودوريقي: إنني مُصمّمٌ على استئصال شأفتهم من غير أنْ تُشير إليّ بذلك. ويذكر ميخائيل الكبير: أنّه لما دنا الروم من العرب، واصطف الفريقان للقتال، اندحر الروم، وجعل المسلمون يقطعونهم

---

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص٨٤؛ ابن العبريّ، تاريخ مختصر الدول، ص٩٨.
(٢) رشدي، م. س.، ص٨٥؛ ابن العبريّ، م. س.، ص٩٩.
(٣) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٢/ ٢٨٣.
(٤) هم اتباع الكنيسة السريانيّة الأورثوذكسية، يؤمنون بطبيعة واحدة وأقنوم واحد في السيد المسيح. وسويرا بطريرك أنطاكية، كان أشهر المدافعين عن هذه العقيدة. شيخو، النصرانيّة وآدابها، ١/ ٩١.

قطع الأغصان اليابسة فانهزموا شرّ هزيمة، ونهب العرب ذخائرهم، وأخذوا ما صادفوه من ذهبٍ وفضةٍ وعبيدٍ وماشية[1].

أما السبب الثاني، فقد كان في نظره هيبة العرب، ويقول: إنَّ هذه الهيبة حلّت على الأمم المجاورة فجعلوا يتخلون عن كلّ شيء ويهربون من أمامهم. ولكي يدعم هذا الرأي، يأتي بقصة طريفة يقول: إنَّ يزدجرد سيّر جيوشاً كثيفة إلى الفرات لملاقاة سعد وهو يومئذ مخيمٌ بمن معه في ظاهر الكوفة. وأرسل العجم جاسوساً عربياً يتجسّس على المسلمين، فلما دنا من معسكرهم رأى أعرابياً يتغوّط وهو يلتهم خبزاً، فبادره الجاسوس بالعربيّة: ماذا تفعل يا فتى؟ أجابه الأعرابي: كما ترى أخرج عتيقاً وأدخل جديداً. فعاد الجاسوس من ساعته إلى صفوف الفرس وأخبرهم بأنَّه رأى شعباً حافياً عرياناً لكنَّه شجاع لا يهاب[2].

ويذكر أنَّ العرب تفوّقوا في العلوم الشرعية، فصنّفوا الكثير من الكتب في قوانين الزواج والحقوق الشرعية والطهارة وحدود الصلاة وكمية الزكاة وضروب التجارات والقروض والمواريث، ويرى أنهم توسعوا في هذا العلم فوق الحدّ حتّى إذا صرف المرء جلّ حياته في دراسته، لما تيسر له الإلمام بكلّجوانبه[3].

د: موقف الإسلام من الديانة المسيحيّة في رواية ميخائيل الكبير[4]

إنَّ المسيح هو الشخص الذي تنبأ بمجيئه الأنبياء، لكن كإنسان بارّ

---

(١) رشدي، م. س.، ص٩١.

(٢) رشدي، م. س.، ص٩١.

(٣) رشدي، م. س.، ص٩٢.

(٤) ينظر: الرسالة، الفصل الرابع، ص؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

ونبيّ كسائر الأنبياء، وليس كإله أو ابن الله كما نؤمن نحن المسيحيين، غير أنه أكبر من سائر الأنبياء لأنَّه لم يولد من زواج بل بكلمة الله نفخها في مريم كما نفخ في آدم فخلق من التراب، ثم نفخ فيه الروح القدس فاستقام، لذا فهم يسمونه أحياناً كلمة الله وروحه، على اعتبار أنَّه عبد وخليفة كلمة الله، وهذا بدلاً من عبارة (ابن الله) الّتي نتداولها نحن، ولأنه ولد دون ألم كولادة الكلمة من العقل، انهم ينظرون إليها نظرة مادية، ويتهموننا بأنّنا نؤمن بأنَّ الله أولده من امرأة وهي، في نظرهم، مريم أخت هارون وموسى، أما عن صلب اليهود للمسيح فإنَّ معظمهم لا يعترفون به، لكنهم يقولون: إنَّ الله ألقى شبهه على أحد تلاميذه فصلب ومات[1].

(1) ورد اسم عيسى في ٢٥ آية، واسم المسيح في ١١ آية، واسم مريم في ٣٤ آية، موزعة على النحو التالي: عيسى ٩ مرات، وعيسى ابن مريم ١٣مرة، والمسيح ٣ مرات، والمسيح ابن مريم ٥ مرات، والمسيح عيسى ابن مريم ٣ مرات، وابن مريم مرتان، ومريم ١٠ مرات، ومريم ابنة عمران مرة واحدة. ينظر: قزما، **عيسى ومريم في القرآن والتفاسير**، ص١ ـ ٩.

المبحث الثاني

الفتوحات الإسلاميّة
في تاريخ ميخائيل الكبير
في العهدَيْن الراشديّ والأُمويّ

الفتوحات الإسلاميّة هي عدَّة حروب خاضها المسلمون بعد وفاة النبي محمد ضدّ بيزنطة والفرس والقوط في السنوات ما بين (٦٣٢ ـ ٧٣٢م) في العهدَيْن الراشديّ والأُمويّ. كان من نتائج الغزوات سقوط مملكة الفرس وفقدان البيزنطيّين لأقاليمهم في الشام وشمال أفريقيا ومصر. بعد وفاة النبي محمد في المدينة المنورة بويع أبو بكر بالخلافة وحارب قبائل العرب في حروب الردة. وبعدها فتح المسلمون بلاد الروم البيزنطيّين والفرس الساسانيين. ففتحوا الشام ومصر والعراق وفارس. ثم ازدهرت الحضارة الإسلاميّة في الدول الّتي دانت بالإسلام ودانت له طواعية تحت ظلّ الخلافة الراشدة وحكم الدولتَيْن الأُمويّة والعباسيّة. ولقد ظلت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً (٦٣٢ ـ ٦٦١م). وكان الخليفة عمر بن الخطاب أوَّل من أُقيمت المدن الإسلاميّة في عهده كالكوفة والفسطاط ومدن إسلاميّة عديدة.

أوّلاً: العصر الراشديّ

الفتح الإسلاميّ للشام، هو المصطلح الذي يُطلق على سلسلة المعارك الّتي وقعت بين عامي ٦٣٤ و٦٣٨ بهدف السيطرة على سوريا الرومانيّة من قبل الخلافة الراشدة بقيادة أساسيَّة من خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان، أفضت في نتيجتها النهائية إلى انتصار المسلمين وخروج البلاد السوريَّة من سيطرة الإمبراطوريَّة البيزنطيّة وأتباعها. بدأت معارك فتوح الشام في عهد خلافة أبي بكر بعد نهاية حروب الردَّة، وكانت قد اندلعت مناوشات بين الدَّولة الإسلاميّة التليدة والإمبراطوريَّة البيزنطيّة منذ عام ٦٢٩ في غزوة مؤتة، غير أن المعارك الحاسمة وقعت في عهد عمر بن الخطاب، وكان أهمها معركة اليرموك في آب ٦٣٦، والّتي هزم فيها الجيش البيزنطيّ هزيمةً ساحقةً حدّدت مصير البلاد[١].

إنَّ العديد من المدن السوريَّة فتح سلماً من دون قتال، وبحفظ الأمن والأملاك الخاصة، والحرية من الرقّ، والحرية من الإجبار على تبديل الدين، وماهية الكنائس، ومن هذه المدن بعلبك، وحماه، وشيزر، ومعرة النعمان، ومنبج. القسم الثاني من المدن فُتح سلمًا إنما بعد حصار طويل لا سيّما في المواقع المهمة حيث وُجدت حاميات رومانيّة ومنها دمشق، والرقة، وحمص، والقدس. أما القسم الثالث من المدن فقد فتح حرباً، ومنها رأس العين، وحامية غزة، وقرقيسيا، بينما استعصت جرجومة في الشمال حتى عهد عبد الملك بن مروان[٢].

جرت معارك فتح الشام تزامنًا مع معارك الفتح الإسلاميّ للعراق.

---

(١) العلي، دولة الرسول، ص١٣٨

(٢) كيغي، بيزنطة والفتوح الإسلاميّة المبكرة، ص١٤٩ العلي، م. س.، ص١٣٨

وكان من نتائجها نقل الحاضرة من أنطاكية إلى دمشق، بسبب قرب أنطاكية من الحدود الشمالية للدولة الجديدة، وقد استمرت دمشق حاضرة البلاد حتى الوقت الحالي. ووجد الكثير من المؤرِّخين أنَّ سقوط سوريا الرومانيّة السريع نوعًا ما، يعود لعاملين أساسيين أولهما: إنهاك الجيش البيزنطيّ بعد الحرب البيزنطيّة الفارسيَّة ٦٠٢ ـ ٦٢٨، وثانيهما: سخط قطاع واسع من الشعب على السياسة البيزنطيّة، وهو ما دفع بعض القبائل والجهات المحلية إلى مساعدة قوات الفتح مساعدة مباشرة. وقد وضع العديد من المؤرِّخين القدماء مصنفات وكتباً تروي وقائع الفتح أهمهم البلاذريّ والواقديّ، كما توجد أخبار الفتح في مصادر غير إسلاميّة كتاريخ ثيوفاونس وتاريخ سيبوس الأرمني، ووثائق مختلفة معاصرة أو كُتبت بعد الأحداث بفترةٍ وجيزة[(١)].

ثانياً: في خروج المسلمين إلى مناطق الروم والفرس:

بعد وفاة النبي محمد خلفه أبو بكر، فأرسل أربعة قواد على رأس جيوش، أحدهم إلى فلسطين والآخر إلى مصر، والثالث إلى فارس، والرابع ضدّ العرب المسيحيّين وعادوا جميعهم ظافرين[(٢)].

أ: معركة داثن

اتجه الجيش الأوَّل إلى فلسطين، فجمع البطريرك سرجي (قائد حامية قيصرية فلسطين) جيشاً من الروم والسامريين مؤلّفاً من خمسة آلاف رجل واستعد لمحاربة المسلمين. غير أنَّ جانب المسلمين كان الأقوى

---

(١) محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠، ص ٥٩ ـ ٧٣.

(٢) المعروف أنَّ أبا بكر أرسل أربعة قادة على أربعة أجناد إلى الشام، وأرسل جيشاً بقيادة خالد بن الوليد إلى العراق لقتال الفرس. الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٤/ ٢٩٠.

فسيطروا على الروم، وأفادوا أوّلاً السامريين، فلما رأى البطريرك ذلك أدار ظهره وهرب. فطاردهم المسلمون ودمّروهم وحصدوهم حصد السنابل، وفجأة سقط البطريرك عن فرسه، فوضعوه على الفرس ثانية، ثم سقط للمرة الثانية، وعاد وركب الفرس، فطورد فسقط للمرة الثالثة. فقال لمن معه: اتركوني وانجوا بأنفسكم، لئلا تشربوا أنتم أيضاً معي كأس الموت الذي قضاه الله على مملكتنا لغضب العدالة علينا، فتركوه وهربوا، فأدركه المطاردون وقتلوه بضربة سيفٍ. واستمر المسلمون يطاردون الروم حتّى المساء ولم ينج منهم سوى نزر يسير، فأذاعوا هذا في قيصرية. وهكذا تكللت بالنجاح جهود المسلمين حيثما ذهبوا، فهابهم الملوك وجيوشهم[1].

في أيلول من عام ٩٤٥ يونانية (٦٣٣م)، حدثت هزّة عنيفة، عقبتها إشارة في السماء، وهي ظهور ما يشبه الحربة قادمة من الجنوب نحو الشمال، ظلت ثلاثين يوماً، واعتقد الكثيرون بأنها دلالة على مجيء المسلمين.

في هذه الفترة أصدر هرقل ملك الروم أوامر بوجوب اقتبال جميع اليهود الذين في مملكته العماد ليتنصروا. وهرب قسمٌ منهم من مناطق الروم. وجاؤوا إلى الرها، ولما ضيق عليهم الخناق هربوا إلى فارس، في حين أنَّ كثيرين منهم تقبَّلوا المعمودية وتنصَّروا[2].

---

(١) تشير المصادر البيزنطيّة وخصوصاً ثيوفان إلى أن سرجي المذكور في النص السريانيّ أو سرجيوس أتى إلى داثن من قيصرية فلسطين، راجع: كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة ص١٣٧. وهنا يخلط المؤرِّخون السريان في الجغرافيا فيجعلون معركة داثن هذه قرب قيصرية مع أنها في جنوب فلسطين قرب غزة .رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٠٢؛ كيغي، بيزنطة والفتوح الإسلاميّة المبكرة، ص١٤٩.

(٢) رشدي، م.س.، ص١٣٢.

وفاة الخليفة أبي بكر: في عام ٩٤٦ يونانية، والـ٢٤ لهرقل (٦٣٤م) والـ١٣ هجرية، توفي أبو بكر بعد حكم دام سنتين، وخلفه عمر بن الخطاب، فأرسل جيشاً إلى ولاية االشام واحتل بصرى وفتح عدَّة مدن[1].

ب: معركة أجنادين

لدى سماع هرقل أنَّ المسلمين قتلوا البطريرك سرجي وتبدّد جيشه، أوعز إلى أخيه ثاودريقي، فعبأ جيشاً لمحاربة المسلمين، وانطلق بتجبّرٍ وخيلاءٍ مُتكلاً على القوة البشرية، وسخروا وهزوا رؤوسهم قائلين: من هم أولاد هاجر؟ ليسوا سوى كلاب ميتة، ووصلوا إلى قرية كوسيت في كورة أنطاكية، وكان هناك رجل خلقيدوني[2] يقيم فوق عمود شبه متوحِّد، فجاءه ثاودريقي مع بعض الزعماء وتحدثوا إليه لبعض الوقت، قال لثاودريقي: أنا أدري أنَّ زمام حكم الروم مسلَّمة إليك كما كانت مسلَّمة إلى أخيك، وأنا واثق من عودتك مُنتصراً إذا ما تعهَّدت بإبادة جماعة يعقوب (يقصد يعقوب البرادعي وهم السريان) قبل أنْ تطلب مني. وكان بين مرافقيه ضابط أرثوذكسي، اتَّقد غيرة لدى سماعه هذا الحديث لكنَّه لم يستطع أنْ يفعل شيئاً في حينه خوفاً من الحاكم. ولـمَّا قابل المسلمين مُتكلاً على الكبرياء الفارغ ضرب معسكره بالقرب منهم، ثم تقابل الطرفان، فهزم المسلمون الروم، وطاردوهم وداسوا عليهم كأغصان منبوذة.

---

(١) الطبريّ م.س.، ٤/ ٢٩٠؛ رشدي، م. س.، ص١٠٣.

(٢) أي راهب عمودي نسبة إلى سمعان العمودي وطريقته بالتنسك على عمود، وكان هذا الراهب يتبع العقيدة الخلقيدونيَّة المنسوبة إلى مجمع خلقيدونية اليونانيَّة وهي العقيدة الملكية المسماة اليوم بالأورثوذكسية، والّتي كانت في حرب طاحنة مع عقيدة السريان حول طبيعة السيد المسيح. شيخو، النصرانيَّة وآدابها، ص٨٦ ـ ٨٧.

بعد أنْ استنفدت قوَّة الروم، دنا ذلك الضابط من ثاودريقي وقال له: تُرى أين هي وعود العمودي الذي وثقت به؟ ألعلك راجع مرفوع الرأس؟ فخجل ثاودريقي الذي بالكاد استطاع النجاة مع فئة قليلة، وأخفى نفسه لئلا يراه أحد. وبعد هزيمة الروم، دخل المسلمون معسكرهم وغنموا ما فيه من ذهبٍ وفضةٍ وعبيدٍ وأموالٍ طائلة، فأثرى المسلمون وتوسعوا على حساب ما احتلوه من بلاد الروم(١).

ج: سقوط كنيسة القيامة

حدثت في هذه الفترة هزَّةٌ هائلةٌ، وفي الوقت ذاته أظلمت الشمس، وعلى إثر الهزَّة سقطت كنيسة القيامة وكنيسة الجلجلة، وغيرهما في أماكن أخرى، فأعاد بناءها الأُسقف مادوسطس الخلقيدوني. وفي هذه الفترة خرج الفرس على الروم، وطرد أشعيا أُسقف الرها وجميع الأساقفة الأرثوذكسيين، ودخل الخلقيدونيون الكنائس، وبعد فترة سيطر المسلمون على ما بين النهرين وطرد الأُسقف الخلقيدوني قورسا من الرها، وعاد الأساقفة الأرثوذكسيون إلى كراسيهم في كافة أرجاء النفوذ الإسلاميّ(٢). وفي هذه الفترة، تفشَّى وباءٌ فتَّاك في سائر مناطق سورية وفينيقيا، وظهر نجمٌ هائلٌ على هيئة شخصٍ رومي، وحدث زلزال في منطقة أرمينيا ودمَّر عدة أماكن(٣).

---

(١) المصادر البيزنطيّة تتحدث عن أنَّ شقيق هرقل ثيودور كان من قادة معركة أجنادين. رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٠٤ ـ ١١٠؛ كيغي، بيزنطة والفتوح الإسلاميّة المبكرة، ص١٤٧.

(٢) إشارة إلى تعاطف العرب المسلمين مع السريان اليعاقبة. الربيعي، نصارى العراق في العصر الأمويّ، ص٦٣؛ قاشا، أحوال النصارى في خلافة بني أميَّة، ص٧٦.

(٣) رشدي، م.س.، ص١٠٤ ـ ١١٠.

د: فتح بلاد فارس

وفي السنة التالية أرسل عمر جيشاً إلى فارس، وكان الفرس منقسمين ومتقاتلين، إذ كان بعضهم يريدون يزدجرد ابن كسرى، والبعض الآخر هورمزد، فدارت الحرب بينهم وانتصر المسلمون، وقُتل الفرس وضعُفت مملكتهم، كما قتل هورمزد فيما بعد، فحكم يزدجرد. أمّا المسلمون فتفوقوا على كلٍّ من الفرس والروم.

هـ: معركة اليرموك

في السنة الرابعة لعمر بن الخطاب خليفة المسلمين، غزا المسلمون مناطق سورية حتّى سواحل نهر الفرات، وفي السنة الخامسة لعمر(١) أثار روم الولاية العربيّة حرباً على العرب ومدينة جابيثا (الجابية) الواقعة على النهر المعروف بـ(اليرموك)(٢)، وهزم الروم شرّ هزيمة وغادروا المنطقة، وكان قيام الحرب على النحو التالي:

جمع القائدان بانيس (أو بانوس)(٣) وابن شهربرز الفارسيان جيشاً واتجهوا صوب دمشق لحماية تلك المنطقة، فلاقاهم قائد المسلمين وقتل منهم عدداً كبيراً، ولمّا وصلوا إلى دمشق عسكروا بالقرب من نهر فرر الذي يسميه المسلمون «كرون»(٤).

---

(١) المصادر العربيّة الإسلاميّة ترجّح أنْ تكون معركة اليرموك قد وقعت في السنة الثالثة للخليفة عمر أي ١٥ هجرية. الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٤/ ٢٧٤.

(٢) راجع: الرسالة، خريطة رقم (٢)، ص١٨٣.

(٣) يرد عند ميخايل الكبير بانيس، وعند الرّهاويّ المجهول بانوس، ويرى الباحثون المعاصرون أنّه هو نفسه القائد باهان كما يرد في المصادر العربيّة. عيتاني، الفتوحات الإسلاميّة في روايات المغلوبين، ص٢٨.

(٤) نهر فرر ونهر أبانة هما الرافدان القديمان اللذان يُشكلان نهر بردى حسب التراث السريانيّ، وقد ورد ذكرهما في قصة نعمان السريانيّ. شيخو، النصرانيّة وآدابه، ص٦٧.

وفي السنة الثانية جاء المسلمون إلى دمشق أيضاً فخاف البطريرك وأرسل إلى وكيل الملك (لمالي) في الرها (اسمه ثيودور تريثوريوس حسب المصادر البيزنطية)، فجمع عشرة آلاف جندي، والتقى البطريرك في حمص ومعه ستون ألف. فاصطدموا مع المسلمين وهزموا، وقُتل في ذلك اليوم أربعون ألفاً من جيش الروم مع بانيس ووكيل الملك، وقد غرق معظمهم في نهر اليرموك، أمّا ابن شهربرز فنجا وجاء إلى حمص واستسلم للمسلمين، وكتب رسالةً إلى الخليفة عمر يقول فيها: أعطني القيادة وجيشاً وسأنزل إلى فارس وأخضعها برمتها، فلما قرأ عمر الرسالة، أراد تنفيذ ما جاء فيها، غير أنَّ بنات كسرى اللواتي أسرن في حران قلن للخليفة: لا تنخدع بكلامه الكاذب، وأخبرنه بما فعله ابن شهربرز وابنه بكسرى وأولاده. فالذي لم يحفظ القسم لملكه وأولاده فقتلهم غدراً، كيف يحفظ القسم لك؟ بل يريد أنْ يتمرد ويحكم. فأخذ عمر بكلامهن فأرسل وصلب ابن شهربرز على خشبة في حمص[1].

و: فتوحات المسلمين

بعد انتصارهم على الروم، جاء المسلمون إلى دمشق، وأعطوا الأمان لأهلها، ثم أخضعوا غيرها من المدن، ومن هناك أرسل عمر خالد (ابن الوليد) على رأس جيش إلى منطقة حلب وأنطاكية وفتكوا بعددٍ كبيرٍ من الناس، بحيث لم يستطع أحد منهم النجاة. ومهما تحدَّثنا عن المآسي الّتي قاستها منطقة سورية، فسنظل عاجزين عن الحديث عن جميعها لكثرتها، لأنَّ هذه الضربات كانت نتيجة غضب الله[2].

---

(١) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٣/ ٣١٤.
(٢) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٢٠.

ز: الجبهة الفارسيَّة[1]

في هذه الأثناء، غادر (سعد بن أبي وقاص) يثرب وعسكر بالقرب من مدينة الكوفة أي عاقولا، وجمع يزدجرد ملك الفرس جيشاً وأرسله لملاقاة جيش المسلمين، وعسكروا على ساحل الفرات بالقرب من عاقولا، وأرسلوا أحد أبناء الحيرة والذي يتقن اللُّغة العربيّة، للتجسُّس عليهم، ولـمَّا اقترب منهم فكَّر في نفسه وقال: سأعرف من جواب من يلاقيني أوَّلاً لمن سيكون النصر. فصادف بدوياً جالساً يتغوط ويأكل خبزاً ويفلي قميصه، فكلم الحيري البدوي بالعربيّة قائلاً: ماذا تفعل؟ فأجاب: كما ترى، فإنِّي أدخل جديداً وأخرج عتيقاً واقتل أعدائي.

فتألم الحيري وقال في نفسه: إنَّ شعباً جديداً سيدخل، ويخرج الشعب القديم ويقتل الفرس، فعاد وقصَّ الأمر على الفرس وقال: لقد وجدتهم شعباً حافياً وعارياً وضعيفاً، لكنهم شجعان، وكشف للقائد ما رآه وما فكر فيه. ولمّا التقى الجيشان هزم الفرس فطاردهم حتّى قطسفون (المدائن) الواقعة على دجلة، وهرب أحد قواد الفرس وهو مسلَّح يرتدي ترساً، فطارده بدوي غير مسلح سوى برمح، وفي إحدى القرى، وجد الفارسيّ شخصاً في الحقل فطلب إليه أنَّ يدله إلى مكان يختفي فيه لينجو من مطاردته، فأخفاه. وظلَّ متخفياً بعض الوقت ظناً منه أنَّه يطارد من قِبَل كثيرين. وما هي إلَّا هنيهة حتّى ظهر رجل لا يرتدي ثياب الحرب ويمتطي فرساً بشكل غير منتظم، ولا تبدو عليه ملامح الجنود، فتعجب وقال: كيف يهرب مرتعباً رجل يرتدي ترساً ومسلحاً بمختلف الأسلحة، وأضخم جسماً وأهيب منظراً، من أمام رجل دميم المنظر! فغضب ذلك الرجل واحتقر الفارسيّ لأنَّه هرب واختفى من أمام بدوي.

(١) راجع: الرسالة، خريطة رقم (٣)، ص؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

فقال له الفارسي: لا تلمني، بل اسمعني وانظر بأمّ عينك لتؤمن، فانتزع سهماً ورماه برمح حديدي فثقبه وقال: بمثل هذه الرمية رميت البدوي عدة مرات، لكنَّه كان يطرد السهام بردنه وكأنه يطرد ذباباً. فهل صدقت إذاً أنَّ نصرهم هو من الله؟ هذا ما دعاني إلى الهرب.

ح: استشهاد إيبفانيوس

في الفترة الّتي أرسل هرقل شخصاً يدعى غريغور لحراسة جسر قيليقيا خشية أنْ يجتازه المسلمون، نال القديس إيبفانيوس المظفر شرف الشهادة الحقَّة من أجل الإيمان القويم، وكان استشهاده على النحو التالي: عندما ابتعد الطوباوي عن المسلمين ودخل منطقة الروم للأمان، أخبر بعضهم القائد غريغور المرسل لحراسة الجسر، وإذ كان متعجرفاً يسخر من المسلمين ويهدِّدهم وجماعة ساويرا (بطريرك السريان)، وعرف أنَّ الطوباوي أرثوذكسي، واستدعاه وسأله عن طائفته. فأجاب: أنا من ايسورية (ولاية رومانية جنوب غربي تركيا الحالية)، انحرفت عن طريق الحق، لكنَّ النعمة وعتني فانتميت إلى جماعة ساويرا.. فهدده غريغور وقال: اقبل إيماننا وسيمنحكم الملك نفوذاً عظيماً، وإنْ رفضت سأسلمك إلى الموت. فأجاب إيبفانيوس المجاهد: لا نار ولا سيف يستطيعان أنْ يفصلاني عن الإيمان الأرثوذكسي الحقّ الذي أنا متمسكٌ به. وللحال أمر غريغور بقتله، فقال إيبفانيوس وهو على وشك الفوز بإكليل الشهادة: لي رجاء بالله أنْ يكون موت غريغور في سورية ومن خلال حرب. وبعد أنْ صلَّى القديس من أجل قاتليه، استشهد بحدِّ السيف، وبعد يوم واحد من استشهاده وصل قائد جيش المسلمين ويدعى قنان[1]، وهو يقود أسرى، فخرج غريغور لإنقاذ الأسرى، ولدى

---

(١) قنان بن دارم بن أفلت بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي أحد=

وصوله إلى مخيّم المسلمين، باغتهم المسلمون وضربوهم وأبادوهم، وضربوا الفرس الّتي كان يمتطيها غريغور، فدعا جندياً ليأتيه بفرس أخرى، فلم يستطع ذلك أنّ ينتظره أو يستجيب له، فلحق به المسلمون وكبّلوه وقتلوه كما تنبأ عند القدّيس الشهيد إيبفانيوس[1].

ثالثاً: انقراض مملكة الساسانيين

أ: فتح المدائن

للمرة الثانية يتجمع الفرس وملكهم على دجلة الذي كان الفاصل بينهم وبين المسلمين ويدمرون الجسر المقام على النهر بين المدينتين. وكان معسكر الفرس هادئاً، أمّا المسلمون فركبوا رؤوسهم وقالوا: هلموا نعبر إلى الجانب الفارسيّ، فإنَّ الله الذي عضدنا في البر سينصرنا ويؤازرنا في البحر أيضاً.

فاجتازوا النهر وباغتوا الفرس وهم معسكرون وقتلوهم وفتحوا قطسفون (المدائن) وغنموا مالاً وبشراً. ثم عبأ يزدجرد تجمعاً ثالثاً في عاقولا (الكوفة)، غير أنَّهم هُزموا ودُمروا، فتجمعوا للمرة الرابعة في بلد مادي، وهناك أيضاً هزموا وفتك بهم المسلمون. ولقد تمت هذه التجمعات الأربعة في سنة واحدة، فلما رأى يزدجرد آخر ملوك فارس

=الوفود التسعة، ذكره ابن الكلبي والطبريّ والدارقطني وغيرهم وذكره أبو إسماعيل الأزدي في فتوح الشام وأنَّه شهد اليرموك. وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة وقال: إنَّه كان مع خالد بن الوليد في وقائعه بالشام كلِّها وذكر عبد الله بن ربيعة القدامي في فتوح الشام بسنده عن محرز بن أسيد الباهلي قال: ثمَّ إنَّ أبا عبيدة أمر خالداً أنْ يسرعوا المساغ فغلب عليها ونزل على بعلبك فخرج إليه رجال فأرسل فرساناً من المسلمين فواقعوهم حتّى أدخلوهم الحصن فطلبوا الصلح، وعدّ من الفرسان المذكورين قنان بن دارم. ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٢٣١.

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٢٢.

أنَّ بلاده دمرت، وقد قُضي على جيشه، وهرب الشعب وتشتّت، وتأكّد من عجزه عن إيقاف تيار المسلمين، هرب إلى حدود الأتراك إلى منطقة مراغاتي (مراغة) المسماة سجستان، وبعد اختفاءٍ دام خمس سنوات قُتل، سواء على يد المسلمين أم الأتراك، وبمقتله زالت مملكة فارس المعروفة بمملكة الساسانيين الّتي حكمت ٤١٨ سنة. وقد أُسِّست سنة ٥٣٨ يونانية. من قبل أردشير بن ساباق وزالت سنة ٩٥٦ من نفس التقويم... وبعد أنْ قتل ملك الفرس وزالت دولتهم، سيطر المسلمون على فارس برمتها. فازدادوا بأساً لا سيّما وقد نجحوا في كلّ مكان وحالفهم النصر في الحروب، لأنَّ الله كان يؤيدهم، فجاؤوا إلى حلب وأنطاكية وقتلوا عدداً كبيراً[1].

ب: فرار هرقل

وإذ رأى هرقل ملك الروم أنَّ الحرب استفحلت غادر أنطاكية كئيباً إلى القسطنطينيَّة، وقيل: إنَّه ودَّعهم كوداع مسافر حيث قال: «سوزا[2] سورية» أي وداعاً يا سورية، وأطلق العنان لجيشه فنهب وسلب القرى والمدن وكأنما هي منطقة الأعداء، فاغتصبوا ونهبوا كلّ ما وجدوه، ودمَّروا تلك المناطق أكثر ممَّا فعله المسلمون، وتركوها بين المسلمين ليسيطروا عليها. ووجه هرقل رسائل إلى الروم الموجودين فيما بين النهرين ومصر وأرمينيا، حذَّرهم فيها من مقاومة المسلمين، ودعا من يستطيع الحفاظ على حاميته، إلى أنْ يصمد في مكانه[3].

---

(١) رشدي، م.ن.، ص١٢٣.

(٢) سوزا باليونانيَّة تعني بالضبط إلى اللقاء أي لنا عودة. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٤٥.

(٣) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٣/٣١٨ ـ ٣١٩.

ج: فتح مصر[1]

لدى دخول (عمرو بن العاص) قائد المسلمين مصر، استقبله قورا أُسقف الإسكندريَّة وعرض عليه دفع مبلغ مئتي ألف دينار سنوياً، لقاء عدم دخول المسلمين مصر، فوافق وعاد، غير أنَّ بعضهم رفعوا شكوى إلى هرقل ضدّ الأُسقف على اعتبار أنَّه يعطي أموال مصر للعرب من دون أنْ يكون هناك إكراه. وحيث إنَّ تفكير الروم كان قد سقم، لذا كَتَبَ هرقل إلى قورا أنْ يرفع يده عن الإدارة في مصر، وأرسل شخصاً أرمنياً يدعى مانوئيل ليدير شؤون مصر، فلما جاء وفد المسلمين لتستلّم المال، وجدوا مانوئيل مع جيش الروم في باسلونه الّتي تعرف اليوم بالفسطاط، فأعادهم فارغين قائلاً: أنا لست، فذاك لم يرتد سلاحاً بل قميصاً، لذا سلَّم إليكم مصر. أمّا أنا فمتقلد سلاحاً كما ترون، فعاد الوفد وأخبر عمر فدخل حينذاك مصر وهزم مانوئيل وهرب إلى الإسكندريَّة بصحبة القلة الذين نجوا، فسيطر المسلمون على مصر، فكتب هرقل إلى الأُسقف ليخرج المسلمين من مصر إنْ أمكن بإعطائهم أضعاف ما اشترط معهم سابقاً من المال، فجاء قورا إلى معسكر المسلمين، وبرر ساحته أمام عمرو، والتمس منه قبول المال. فأجاب عمرو: لا أنفذ رغبتك، فطالما سيطرنا على البلاد، فلن نتركها بعد، وبهذا يكون عمرو قد طرد قورا فعاد كئيباً[2].

د: وصول عمر إلى القدس

في نهاية سنة ٩٤٨ يونانية وهي السنة الـ٣٦ لهرقل والـ١٥ للهجرة،

---

(١) راجع: الرسالة، خريطة رقم (٤)، ص١٨٥.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٣/٣١٩.

وصل الخليفة عمر إلى فلسطين فاستقبله صفرونيوس أُسقف القدس وتحدث إليه عن البلاد، فكتب له عهداً على أنْ لا يسكن يهودي في القدس. فلما دخل عمر القدس، أمر ببناء مسجد في موقع الهيكل، وإذ رأى صفرونيوس ثياباً رثَّة على عمر، وعرض عليه ثياباً ومئزراً، والتمس منه قبولها فأبى، لأنَّه اعتاد أنْ لا يأخذ شيئاً من أحد وكان يقول: «لا ينبغي على المرء أنْ يأخذ شيئاً من آخر لما يعطه الله إياه، لأنَّ الله يعطي لكلِّ إنسان ما يريده، وإذا طمع بما عند رفيقه يكون قد تصرف ضدَّ مشيئة الله».

وكان عمر بن الخطاب موضع الثناء في مثل هذه التصرفات. فالمسلمون يروون عنه الكثير من هذا القبيل، والحق يقال إنه كان عادلاً وغير جشعٍ، بحيث إنَّه لم يأخذ شيئاً لنفسه ممَّا غنم من أموال الفرس والروم وكنوزهم بعد السيطرة عليهم، حتّى ولا ما يغيِّر به بساطة ثيابه، وكان يضع عباءته تحته لدى ركوبه الجمل. وإذا ما جلس أو نام كانت الأرض مقعده وسريره. ولمّا ألحَّ عليه الأُسقف، أجاب: حيث إنَّك التمست مني، ونظراً إلى كرامتك لديّ، فسوف أستعير الثياب الّتي جلبتها لألبسها ريثما تغسل ثيابي، وسأُعيد إليك ثيابك لدى إعادة ثيابي، وهكذا فعل[1].

هـ: فتوح الجزيرة

ومن فلسطين اجتاز المسلمون إلى المدن السوريَّة واحتلوها. والتقى يوانيس (يوحنا الرصافي) قائد جيش الروم بالمسلمين في قنسرين، وتم الاتفاق معهم على أنْ يدفع سنوياً مئة ألف درهم شريطة أنْ لا يعبروا

(١) ميخائيل الكبير، م. ن.، ٣/ ٣٢٠.

الفرات نحو الشرق، ولا يدخلوا بين النهرين، وسلَّم إليهم جزية سنة واحدة. لما سمع هرقل السخيف غضب على يوانيس ونفاه. ولأنَّ الله نبذ مملكة الروم، فقد انتهى هرقل إلى التفكير الأعمى الذي به كان يدير شؤون الدولة.

وفي سنة ٩٥١ يونانية، والـ ٢٧ لهرقل والـ ١٨ للهجرة، والـ ٦ لعمر، اجتاز المسلمون الفرات بسبب عدم دفع الجزية، فخرج الروم وأخذوا تعهداً لمدينتهم، وغادر جيش الروم المدن كافةً بحسرةٍ، أمّا تللا[١] ودارا[٢] فلم توافقا على الاستسلام للمسلمين. لذا احتلوهما حرباً وقتلوا جميع من فيهما من الروم.

وبعد أنْ سيطروا على بلاد ما بين النهرين بقيادة (عياض)، ابن غنم، عادوا إلى سورية، وأمر عمر بفرض الجزية على البلدان كافةً الّتي احتلها. ففرضت الجزية على المسيحيّين سنة ٩٥١ يونانية.

وفي سنة ٩٥٢ يونانية، والـ ١٩ للهجرة والـ ٧ لعمر، مات هرقل، بعد حكم دام ٣٠ سنة وخمسة أشهر، فخلفه ابنه قسطنطين، ثم هرقل الصغير الملقب داود الجديد، وقد سبَّبت مرطينة زوجة هرقل، عميَ لقسطنطين، وأقامت ابنها هرقل الصغير ملكاً، فاستاء المستشارون من هذا العمل، فخلعوه ونصبوا قسطس ابن قسطنطين[٣].

---

(١) من مدن الجزيرة تقع في تركيا الحالية. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٥٥.

(٢) مدينة من مدن الجزيرة بنيت أيام الإسكندر الكبير تخليداً لانتصاره على دارا الفارسيّ. كيغي، م.ن.، ص٥٣.

(٣) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٢٩؛ محجوب. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠، ص٥٩ - ٧٣.

تفشى في هذه الفترة وباء الطاعون فمات عددٌ كبيرٌ في سورية وما بين النهرين[1]. وفيما كان المسلمون يبنون المسجد في القدس مكان الهيكل[2]، سقط البناء، فقال اليهود: إنْ لم تنزلوا الصليب المرفوع فوق جبل الزيتون قبالة الهيكل، لن يبنى المسجد، ولما أنزلوا الصليب ثبت البناء، وبهذه الحجة أنزلوا صلباناً كثيرة، وسادت منذئذٍ في دولة المسلمين الكراهية للصليب، وأخذوا يضطهدون المسيحيّين لإكرامهم الصليب.. في هذه الفترة، وفي الساعة الثالثة من يوم ٢٩ تشرين الأول، كسفت الشمس فظهرت النجوم، فخاف الذين شاهدوا هذه الآية الرهيبة.

أمر عمر خليفة المسلمين بعدم ظهور الصلبان في الأعياد أو خلال التشييع فسرَّ اليهود لهذا القرار، وأنزلوا الصلبان من الكنائس، وذات يوم رأى شخص مسيحي مقرَّب من الأمير يهودياً يصعد فوق كنيسة يوحنا المعمدان ليقلع الصليب، فاتقد غيرة ودخل إلى عمر وقال له: أيُّها الأمير العادل، ليس من العدل أنْ تفسح المجال لليهود أنْ يسخروا من أسرار ديننا، فغيَّر الله قلبه، فقال: أنا لم آمر بقلع الصلبان باستثناء تلك المثبتة على الحيطان في الشوارع، فأوعز إلى أحد الحضور وصعد إلى تلك الكنيسة والتقى باليهودي حاملاً الصليب وهو نازل، فاختطف منه الصليب وضربه على رأسه فانفجر دماغه ومات، وارتاح المسيحيّون، وخاب اليهود، وأُلغي الأمر، وباشر المسيحيّون يخرجون الصلبان أثناء

---

(١) هذا ما سُمي في المصادر العربيّة طاعون عمواس. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٣٩.

(٢) إشارة مهمة إلى أنْ البدء ببناء المسجد الأقصى تم بعد فتح بيت المقدس مباشرة. كيغي، م.ن.، ص٣٩.

الصلوات والاحتفالات والتشييع. غير أنَّ أهل حمص ودمشق، لم يأبهوا أصلاً لأمر الأمير[١].

لقد سيطر عمر خليفة المسلمين على الروم والفرس في أعقاب الانتصارات الّتي حقّقها عليهم، فهرب ملك الفرس واختفى في بلاد الأتراك، وترك هرقل كلّ المقاطعات وهرب إلى الحاضرة حيث حلَّ أجله، فخلفه قسطنطين الذي أعمت بصره زوجة أبيه فمات، فملك قسطس فقتل عمّه ووالدتهم، أمّا عمر خليفة المسلمين فقتل بعد أنْ حكم ١٣ سنة[٢].

ز: الخليفة عثمان

سنة ٩٦١ أرسل عثمان ابنه سعيداً لمطاردة يزدجرد ملك الفرس فاختفى في سجستان مدة خمس سنوات، ثم جاء إلى الكوفة، أمّا سعيد فبعد أنْ احتل كلّ المناطق جاء إلى مرو، فخاف يزدجرد أنْ يسلِّم إليه فاختبأ في رحى، فقتله أحد الأتراك هناك وأخذ رأسه إلى مرزبان المدينة الذي حيث رأى أنّ ملكه قتل، سلم المدينة للمسلمين، فأُرسلوا تاج الفرس إلى عثمان فأرسله بدوره إلى مكة، ولا يزال هناك[٣].

ح: فتح قيصرية فلسطين

لقد دمَّر المسلمون قيصرية فلسطين، فصحَّ أنْ تُقال في جمالها وكنوزها، المراثي الّتي قيلت في أورشليم، لأنَّ حكّامها لم يعرفوا الرب، ولم يفهم الشيوخ القضاء. فامتلأت شوارعها وأزقّتها إثماً،

---

(١) رشدي، م. س.، ص١٣٦.

(٢) استمرت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر واربعة أيام. الطبريّ، **تاريخ الرُسُل**، ٣/ ٣٦٥.

(٣) ميخائيل الكبير، **تاريخ ميخائيل الكبير**، ٣/ ٣٣٦.

ودنس الشباب والشابات ببعضهم البعض، ووصل صراخ المظلومين إلى مسامع الرب، فسلَّط عليها غضب المسلمين، فجاء معاوية وحاصرها برّاً وبحراً، وشنّ عليها حرباً، بدءاً من كانون الأوّل حتّى أيار دون انقطاع ليلاً ونهاراً، ولم يحصلوا على تعهد للإبقاء على حياتهم فلم يدأ ٧٣ منجنيقاً عن قذف الحجارة، غير أنَّ السور لم يثلم لمتانته، وأخيراً فتحوا فجوة فدخل بعضهم منها، وتسلق البعض الآخر السور بالسلالم، فقتلوا وقتل منهم مدة ثلاثة أيام، وأخيراً انتصر المسلمون، وهرب الآلاف السبعة من الرومان الذين كانوا يحرسون السور بالسفن، فغنم معاوية مالاً وفيراً، وفرض جزية على سكانها.. فاجتاز في قيليقيا وأعمل فيها نهباً وسلباً، ثم اتجهوا إلى أونيطا وباغتوا أهلها باحتلال أبوابها، وأمر معاوية بقتلهم ووضع حراساً كي لا ينجو أحد.

وبعد أنْ جمعوا ثروتها أخذوا يستنطقون الزعماء ليدلوهم على كنوزها الدفينة، وسبوا جميع أهلها رجالاً ونساءً وفتياناً وفتيات واستعبدوهم.. ثم عادوا إلى بلادهم فرحين. وقعت هذه الأحداث سنة ٩٥١ يونانية (٦٤٠م)[١].

ط: فتوح أفريقيا وقبرص[٢]

في سنة ٩٥٨ يونانية، والـ ٢٥ هجرية، والـ ٥ لقسطس، تمرد غريغوريوس بطريق أفريقيا (تونس) على قسطس وفي تلك السنة دخل المسلمون أفريقيا وحاربوا البطريرك فقتل عدد كبير من جيشه، ثم رجع المسلمون وسيطروا على مدن الساحل كافة، أمَّا غريغوريوس، فقدَّم خضوعه للملك..

---

(١) ميخائيل الكبير، م. ن.، ٣/ ٣٢٧.

(٢) راجع: الرسالة، خريطة رقم (٤)، ص١٨٥.

لقد قسَّم معاوية قائد المسلمين جيشه إلى معسكرين، وعيَّن حبيباً السريانيّ الشرير قائداً لأحدهما، وأرسله في تشرين إلى أرمينيا، فلمَّا بلغوها وجدوها مغطاةً بالثلوج، فأتوا بثيرانٍ وسيَّروها امامهم فمهدت لهم الطريق فدخلوها دون أنْ يحولهم عنها الثلج، أو يشعر بهم السكان إذ لم يخطر ذلك على بالهم، فحارب المسلمون وغنموا وأسروا عدداً كبيراً وأحرقوا القرى وعادوا إلى موطنهم فرحين. أمَّا الجيش الذي يقوده معاوية فجاء إلى قيصرية قبادوقيا، وعبروا الحواجز ووجدوا قرى مكتظةً بالناس والحيوان فغنموها، ثم حاصر معاوية المدينة وقاتلها مدة عشرة أيام، وأخيراً دمَّر الولاية برمتها وتركوا المدينة معزولةً وعادوا، ثم أعادوا الكرة إليها بعد عدة أيام وحاربوها. وإذ رأى القيصريون أنْ لا مناص من الغضب الآتي، استسلموا وطلبوا الإبقاء على حياتهم، فخرج الزعماء ووقعوا تعهداً بدفع الجزية، فدخل المسلمون، ورأوا جمال أبنية الكنائس والأديرة والمال الوفير، فندموا لإعطائهم تعهداً، لكنهم لم يتراجعوا عن قسمهم، فأخذوا ما أرادوا واتجهوا إلى منطقة اموررين (عمورية)، وإذ رأوها بجمال الفردوس، لم يلحقوا بها أذى، بل داروا حول المدينة، ورأوا من الصعوبة احتلالها، فأعطوا ذهباً ومالاً وفيراً كالتراب، ثم عادوا إلى بلادهم[1].

ي: فتح قبرص

وفي سنة ٩٦٠ يونانية (٦٤٩م)، جمع معاوية آلاف الجنود، وجلب من الإسكندريَّة مع جيش ١٧٠٠ سفينة عليها رجال مسلحون، ولدى وصولهم إلى قبرص أمر معاوية بضمِّ الأرمن وأوقف السفن في البحر، وأعطى الأمان لأهل الجزيرة لكنهم لم يرضوا، فانزعج منهم

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٤٧.

الإسكندريون لعدم سماحهم لهم بالدخول فربطوا السفن ودخلوها مسلحين، وشرعوا يخربون وينهبون.

ك: احتلال قسطنطينيَّة قبرص

ثمَّ اتجهوا نحو القسطنطينيَّة[1] أمَّ البلاد وكانت مكتظةً بالسكان فاحتلوها بقوة السلاح، وحلَّ (معاوية) في دار الأُسقفية.. وقد سمح الله بتدنيس تلك الكنيسة لأنَّ الكهنة كانوا قد غيَّروا إيمان القديس إبيفانيوس الذي شيِّدت في عهده. وبعد أنْ جمعوا ذهب الجزيرة ومالاً وعبيداً، قسموا الغنائم، فأخذ المصريون قسماً، وأخذوا هم القسم الآخر وقفلوا راجعين[2].

ل: إعادة فتح قبرص

وإذا كان الله قد قضى بإبادة الجزيرة، تحرَّك بعد فترة أبو العور[3] وجيشه، فعادوا إلى قبرص ثانية لأنَّه سمع أنَّ أُناساً استوطنوها، ولدى وصوله ارتعب أولئك السكان، فدخل المسلمون وأخرجوا النَّاس من أنفاق تحت الأرض، ونهبوا الجزيرة كلها، ثمَّ انتقلوا إلى مدينة

---

(١) كانت القسطنطينيَّة عاصمة جزيرة قبرص في تلك الآونة، وقد سُميت في العهد البيزنطيّ الكثير من المدن باسم القسطنطينيَّة إحداها في حوران. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٦٤.

(٢) رشدي، م. س.، ص١٣٦.

(٣) المقصود أبو الأعور السلميّ، والي جند الأردن في عهد معاوية بن أبي سفيان وقائد جيوشه في معركة صفين كما يذكر البلاذريّ في أنساب الأشراف في نسب بني سليم، وهو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد الذكواني السلميّ، مشهور بكنيته، نقل ابن حجر العسقلاني عن عباس الدوري أنّ يحيى بن معين قال: (أبو الأعور السلميّ، رجل من أصحاب النبي محمد، وكان مع معاوية). وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: (إنَّ أبا الأعور أدرك الجاهلية، ولا صحبة له، وقد غزا قبرص سنة ٢٦، وكانت له مواقف بصفين مع معاوية). ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٦٧.

بافوس[1] وشدَّدوا عليها الخناق، فطلب سكانها الأمان، فاشترط أبو العور أنْ يعطيهم السكان الذهب والفضة والأموال متعهداً بعدم إيذاء أي منهم، ففتحوها وجمعوا ثرواتها وعادوا إلى سورية.

ثمَّ حاول معاوية الدخول إلى جزيرة أرواد، فحاصرها لكنَّه فشل في احتلالها، فأبلغ أُسقفها توما بترك المدينة والانصراف بسلام.

م: فتح جزيرة رودس:

وفي سنة ٩٦٥ يونانية، ركب أبو العور وجيشه البحر ووصلوا إلى جزيرة قوس[2] (Cos) فاحتلها بخداعه أُسقفها، ونهبوا كلّ أملاكها وقتلوا سكانها وأسروا البقيَّة ودكّوا حصونها، ثم اجتازوا إلى كريت ونهبوها، وذهبوا إلى رودس وخربوها، وحطموا التمثال النحاسي العجيب الذي يُعتبر من عجائب الدنيا وأخذوا رأسه، وكان نحاسه من قورنثية، وهو شبه إنسان واقف، فلمَّا أضرموا النار تحته، وجدوا أنَّه مغروس في الأرض بقضبانٍ حديديةٍ ضخمة متغلغلةٍ بين الصخور، فتعاون عددٌ من الرجال على سحبه بالحبال، للحال اقتلع وسقط على الأرض، كان طوله ١٠٧ أقدام، ونحاسه ثلاثة أطنان، وكان رجل يهودي قد اشترى النحاس من مدينة حمص[3].

---

(١) بافوس هي أصغر المدن القبرصية الآن فيها محمية طبيعية وآثار عمرانية إغريقية ورومانية وبيزنطية كثيرة ولها ذكر في الملاحم الإغريقية. كيغي، م.س.، ص٥٨.

(٢) قوس (Cos) إحدى الجزر اليونانيَّة الواقعة في شرق بحر إيجة ولد فيها الطبيب اليونانيّ الشهير أبقراط. كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٤٣.

(٣) تشير المصادر الإغريقية إلى أنَّ هذا التمثال البرونزي بُني عام ٣٨٠ق.م وسقط عام ٣٣٧ق.م نتيجة زلزال مدمر، وكان يمثل الإله الإغريقي أبولو أو هيليوس إله الشمس بحسب بعض المصادر، ويبدو أنَّ المسلمين قد وجدوا قطع هذا التمثال مبعثرة في المكان فنقلوها معهم ولم يقوموا هم بتدميره. إسكندر، أرمينيَّة بين البيزنطيّين والخلفاء الراشديّن، ص٧٣.

في هذه الأثناء، تحالف رجل أرمنيّ يدعى داود من الحاضرة، مع منطينا الغربي، واتفقا على أنْ يلتقيا في مكانٍ ما لمقاتلة المسلمين، فعلم المسلمون فذهبوا وقتلوا منطينا، أمَّا داود فوصل إلى ما بين النهرين، ولم يكن هناك مسلمون، فأخذ جنده يرتكبون المساوئ والشرور، فوصلوا إلى قرية بيت معد فنهبوا الذهب والفضة والأموال والخبز والخمر واللحم، وضربوا المسيحيّين ورموا رملاً ورماداً في أنوفهم ليدلوهم على الكنوز المخفية تحت الأرض. ولم يكن يُسمع شيء سوى صوت البكاء والعويل لا سيّما من النّساء المحصنات اللواتي كُنَّ يُغتصبْن أمام أزواجهن، فلمَّا رأى طيطو وجنده ما يقترفه الروم دون رادع، قال لداود: ليس جديراً بك وأنت مسيحي أنْ تشهر رمحك على المسيحيّين، فإنَّ الملك سوف لن يكافئك، فأشار إليه أنْ ينقذ الذين أسرهم الأرمن، فأنفذ طيطو بذلك عدداً كبيراً، ولمّا طرقت أخبار داود مسامع عيص (عياض بن غنم) في دمشق، ألَّب جيشاً وجاء إلى الرها، فارتعب الأرمن وتركوا معسكرهم بما فيه وهربوا، فطاردهم العرب بسرعة فائقة ولحقوا بهم أفواجاً أفواجاً، فعاد داود وأمر باستئناف القتال مع المسلمين، أما طيطو والذين معه، فشكّلوا جبهة واحدة، وحاول جيش المسلمين القبض عليه، وإذ وجدوا معه رجالاً أشداء تركوه، ووجهوا أنظارهم إلى داود وجيشه، فنادى داود التعيس طيطو وقال: هو ذا الوقت الذي تظهر فيه محبتك للروم، فأجاب: إذا ساعدتك فسوف لن يؤازرني الرب، إلى مثل هذا الغضب كانت تثير تنهدات الفقراء وتدنيس النّساء، فقتل داود ومعظم الذين معه، لأنَّ المسلمين طاردوه وحده، أمَّا طيطو فهرب إلى آمد[1].

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٤٣.

ن: الحملة على القسطنطينيَّة:

«وفي سنة ٩٦٦ يونانية، والـ ٣٥ هجرية، والـ ١٠ لقسطس والـ ٩ لعثمان، جهز معاوية آلافاً ليبحروا إلى القسطنطينيَّة الحاضرة، والسبب: أنَّ شخصَيْنِ غيورَيْن أطلقا سراح الأسرى المسجونين في طرابلس حيث كانت تصنع السفن وقتلا قائد جيش المسلمين، وأحرقا معدات السفن وهربا بالقوارب إلى منطقة الروم، فاستشاط معاوية قائد قوات المسلمين غضباً لدى سماعه بما حدث، وعبأ جيشاً أكبر من الأوَّل وهيأ سفناً، وقاد أبو العور الحملة، فوصلوا إلى قيليقيا حيث التقوا بالملك قسطس وأخيه ثاودوس، وفيما كانوا يخطِّطون للهجوم على المسلمين في اليوم التالي، نام الملك ورأى في حلمه أنَّه في تسالونيقي، فقصه على مفسِّر الأحلام، فقال له: ليتك لم تنم أيُّها الملك ولا ترى هذا الحلم، فإنَّ معنى تسالونيقي هو: تاس، لوطين، نيقي، أي إنَّ النصر هو للآخرين، ومعنى هذا أنَّ النصر سيحالف أعداءك. فهزئ الملك من هذا التأويل وأعدَّ سفنه للحرب في البحر، لكنَّ المسلمين انتصروا وخذل الروم، وأوشك أنْ يقبض على الملك، لولا أنْ دخل ابن بوقنطر وقفز إلى سفينة الملك ونقله إلى سفينة أخرى، وبقي هو في السفينة الملكية. وبعد أنْ قتل الكثيرين قُتل هو الآخر، واشتدت المعركة حتّى قيل إنَّ رمل اليابسة تصاعد أكثر من الأبخرة بين السفن. وعلى أثر اندحار الروم وهروب الملك قسطس وأخيه إلى الحاضرة، هدأ القتال، وأمر أبو العور قائد المسلمين أنْ تجمع الجثث الطافية على الماء كالقفف، فبلغ عددها نحو عشرين ألفاً، وإذ تأهب المسلمون للتوجه إلى القسطنطينيَّة، التقاهم فطولومس وتعهد بدفع الجزية سنوياً عن بلاد الروم، وإذ أخلَّ بوعده صعد المسلمون وسبوا إيسوراً، فدفع فطولومس المال، وعقد صلحاً مع

المسلمين لثلاث سنوات، وأرسل الملك ابن أخيه غريغوريوس رهينةً إلى معاوية مقابل الذهب»[1].

غير أنَّ المسلمين لم يبقوا على تعهدهم مُتشبهين بالروم الذين لا يخلّون العهد مع المسلمين فحسب، بل حتّى مع بعضهم البعض مثل قسطس، الذي قتل أخاه ثاودوس لكي تبقى الخلافة لأولاده، فكرهه جيشه لأنَّه تصرف دون رحمة، وإذ علم بهذا ذهب إلى رومية وتأخر، فثار الجيش وقالوا: لا يجدر بالملك أنْ يكون في رومية في منأى عن المسلمين. فجاء إلى جزيرة صقلية، وفضَّل الإقامة في سرقوسا وأرسل بطلب أولاده، فرفض أهل المدينة وقالوا: لا ندع ملوكنا يتركوننا. فعيَّن أولاده الثلاثة: قسطنطين وطيبريوس وهرقل، وكلاء له، وأقامهم في الحاضرة، وأمضى هو في سراقوسا بقيَّة حياته، لأنَّه كان يخاف لئلَّا يقتله قواده كما قتل هو أخاه دون ذنب، وقد شبههما النَّاس بقابيل وهابيل[2].

س: معاوية وأرمينيَّة[3]

سنة ٩٧٦ يونانية، والـ٤٥ هجرية والـ ٢٤ لقسطس والـ ٦ لمعاوية، تمرَّد على قسطس قائد جيش الأرمن ويدعى شابور، ويسمونه أفريستكين، فأرسل إلى معاوية شخصاً يدعى سرجي، يطلب مؤازرته لقاء تسليم أرمينيا له، فلمَّا علم بذلك قسطنطين ابن الملك وهو في الحاضرة، أرسل إلى معاوية رجلاً تافهاً يعمل (مراسلاً) يدعى أندريا الشهير بشجاعته.

---

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص١٥٣.

(٢) رشدي، م.ن.، ص١٤٤.

(٣) راجع: الرسالة، خريطة رقم (٢)، ص١٨٣.

فأمر معاوية بإدخال سرجي إليه أوّلاً ليتآمر على قسطس، أمّا أندريا فامتطى دابة عمياء، وأوشك أنْ يدعو إلى معاوية ليحذّره من أنْ ينخدع بذلك المتمرد، فلما سمع.... غادر سرجي المدينة، لأنَّه لم يكن راغباً في دخوله، ولكن لما استوجب الأمر دخوله، أمر أنْ يدخل سرجي أوّلاً ومن ثم أندريا فدخل سرجي وجلس، ثم دخل أندريا، فارتعب سرجي وأسرع وانحنى أمامه، فاغتاظ معاوية من سرجي فقال له: ما الذي حدث لك، أيُّها الجبان القليل العقل؟ فإذا كان هذا، وهو عبد، قد أفزعك بهذا المقدار حتّى قمت وانحنيت أمامه، ترى ماذا كنت تفعل لو رأيت الذي أرسله؟ أجاب سرجي: لقد خدعتني العادة المتبعة، ولم أفعل ذلك خوفاً. ثم التفت نحو أندريا وقال: ما الذي تريده؟ أجاب: لقد أرسلني الملك لأسألك أنْ تطرد هذا الجالس أمامك، فقال معاوية: كلّكم أعداؤنا، لكننا نساعد الذي يتفق معنا ويزيد في جزيته لنا. فقال أندريا: حقاً إنَّهم أعداؤكم سواء الملك أم الذي تمرد عليه. ولكن هناك عدوّاً يفضل على عدوّ، كما يفضل صديقٌ على صديق، فليس السَّيد والعبد على مستوى واحد، لأنَّ السيد يقوم بالعمل من منطق كونه حرّاً وجديراً. أمّا الذي يعيش تحت وطأة العبودية، فإنَّه ينفذ الأمور العظيمة بتواضعٍ وذلك من منطلق كونه عبداً، فإنْ كان ملكي قد تعهد تحت أيَّة شروطٍ كانت، ولئن كان أقل ممَّا تعهد به هذا الطاغية، فعليك أنْ تصدقه ولا تميل إلى مَنْ يغش، وإذا أقسم الطاغية بأنَّه يستطيع، عن طريق التعهد، أنْ يستميلك إليه، فاعلم أنَّه كاذب، فإذا كان قد أساء بهذا المقدار إلى سيِّده الذي أنعم عليه، فكيف يثق بوعدك وأنت لم تقم ولم تنحن له؟، فقال له أندريا: يا لخيبة أملك، لماذا لم تقم أمامي؟ فسخر منه سرجي، وكلمه بنبرة نسائية، فهدد أندريا أنْ يقطع خصيتي سرجي، فقال معاوية لأندريا: إنْ كنتم لا تدفعون الجزية، فإنَّ بلادكم

ستكون لنا ولا يبقى لكم سوى الاسم، فاحذروا، فقال أندريا: يبدو أنَّ المسلمين قرروا أنْ يكونوا الجسم ونحن الظل، لكنَّ لنا رجاء بالله[1].

ثمَّ خرج واتجه نحو ملطيَّة، وأمر حراس الحواجز أنْ يقبضوا على سرجي عندما يحاول الاجتياز، ووعده معاوية بإرسال جيش معه، لكنَّ الكمين قبض عليه وقادوه إلى أندريا، فقال له: أأنت سرجي الذي هزئ بي أمام معاوية؟ فأمر باستئصال خصيتيه ثم شنقوه، أمَّا معاوية فأرسل قوة إلى سرجي بحسب وعده، وقبل وصول الجيش، حدث أنَّ الحصان الذي كان يمتطيه شابور ضايقه فسقط ومات، وإذ علم المسلمون بهذا، نهبوا المنطقة الرومانيّة حتّى خلقيدونية، وعادوا[2].

---

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ١٥٩.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ٣/٣٤٦.

المبحث الثالث

تحليل النص

يهدف هذا القسم إلى تحليل مضمون الرواية السريانيّة للفتوحات الإسلاميّة المُبكرة، ومقارنة هذه الرواية مع الرواية العربيّة عند الطبريّ في محاولة للوقوف على زاوية الرؤية الّتي نظر من خلالها الرواة السريان إلى الأحداث، وعلى الميول الّتي حكمت رؤيتهم ومدى تأثرها بالروايات الأخرى.

أولاً: موقع الراوي

لقد اتَّخذ الراوي السريانيّ وخصوصاً في الفتوحات المبكرة، موقعاً مُراقباً من داخل الحالة البيزنطيّة، بمعنى أنَّ زاوية الرؤية الّتي نظر من خلالها صاحب الرواية السريانيّة إلى الأحداث هي من داخل المعسكر البيزنطيّ. ومعلوم أنَّ المعسكر البيزنطيّ المقصود في حديثنا هو تجمُّع عريض لمختلف القوميات الّتي شكلت الإمبراطوريَّة البيزنطيّة، من لاتين ويونان وسريان وعرب وأرمن.

لقد توافر للسريان في هذه الفترة مؤرِّخ كان والده يحتل موقعاً بارزاً في قيادة الجيوش البيزنطيّة، وهو سرجي ابن إيوانيس (يوحنا)

الرصافي[1]. وهذا المؤرِّخ الذي اطَّلع على بعض الوقائع المهمة المتعلقة بالحروب الفارسيَّة الرومية الّتي سبقت الفتوحات الإسلاميّة، ثم الوقائع المتعلقة بالفتوحات الإسلاميّة، هو الذي أشار المؤرِّخ ديونيسيوس التّلمحريّ إلى اعتماده مصدراً في نقل أخبار تلك المرحلة[2]. ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذا المؤرِّخ قد توافرت له مصادر مهمة عن سَيْر المعارك على الجبهة الفارسيَّة، وفي الجزيرة الفراتيَّة أكثر ممَّا هو عليه الأمر بالنسبة إلى معارك الشام، والّتي ربما استقى أخبارها من جنود سريان شاركوا في القوات البيزنطيّة الّتي حاولت الدفاع عن سوريا من زحف القوات الإسلاميّة.

إنَّ الإشارة الّتي ترد حول ضابط سريانيّ شارك في معركة أجنادين في عداد جيش ثاودريقي شقيق هرقل لهي دليلٌ على أنَّ السريان كانوا يحتلون مواقع مهمة في القوات البيزنطيّة، ولذلك فقد اعتمدت الرواية السريانيّة لسير المعارك على نتفٍ كثيرةٍ من هذه الروايات[3].

ولذلك كان الراوي السريانيّ يعرف أسماء القادة على الجبهة البيزنطيّة، وأقسام الجيوش ومواعيد تحركها، وانتماءات القادة القومية،

---

(١) سرجي ابن إيوانيس (يوحنا) الرصافي. سرجي ابن القائد السريانيّ في الجيش البيزنطيّ يوحنّا الرصافي، المعاصر لزمن الفتوحات الإسلاميّة. والمؤرِّخ المذكور لم يكن بعيداً من الناحية الزمنية عن التّمحريّ، وربما فصلت بينهما أجيال أربعة أو خمسة، كما أن هناك صلة قرابة كانت تجمعهما. وقد انتشر خطأ تاريخ لراهب مجهول من دير زوقنين دعي باسم تاريخ الزوقنيني، ظنّ بعض المستشرقين خطأ أنه للبطريرك التّمحريّ، ولكن نظرة سريعة تكفي لاكتشاف أن ذلك التاريخ لا علاقة له بالبطريرك التّمحريّ لا من قريب ولا من بعيد. أبونا، أدب اللُّغة الآرامية، ص٣٢١.

(٢) عطية، تاريخ المسيحيّة الشرقيّة، ص٢٤٥؛ عيسى، الحملات الصليبيَّة، ص٢٤٥.

(٣) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٥٨؛ العلي، دولة الرسول، ص١٣٨؛ عيتاني، الفتوحات الإسلاميّة في روايات المغلوبين، ص٢٨.

في حين أنَّ المعسكر الإسلاميّ في الفترة المبكرة، بقي غامضاً بالنسبة إليه، ولم يقدِّم أي رواية من الزاوية الإسلاميّة، باستثناء الخبر عن إرسال أبي بكر الصديق أربعة جيوش لنشر الدعوة وفتح البلاد المجاورة، وهو خبرٌ لا بدَّ أنَّه انتشر وعمَّ ووصل إلى الرواية السريانيّة بوساطة انتقال الشائعات.

لم تقدِّم الرواية السريانيّة أي تفاصيل تتعلق بأسماء القادة المسلمين وإنْ حدث وذكر اسم قائد فإنَّه لا يُذكر بشكل صحيح، وهذا مفهوم إلى حدٍّ ما نظراً إلى أنَّ مصادر الأخبار عن المعسكر الإسلاميّ كانت شحيحةً جداً، إنْ لم تكن معدومة في فترة الفتوحات المبكرة، في حين أنَّ هذا الأمر تغيَّر في فترة خلافة عثمان بن عفان، وتولي معاوية بن أبي سفيان مقاليد الحكم في بلاد الشام، ودخول السريان في عداد جيوشه، ولذلك توافرت مصادر مهمة من داخل المعسكر الإسلاميّ الذي كان يقوده معاوية، إنْ كان براً أو بحراً، ولذلك قدَّمت الرواية السريانيّة تفاصيل مهمَّة عن سَيْرِ المعارك تحت قيادة معاوية، انفردت برواية الكثير من الأخبار الّتي لا ترد في أي مصادر أخرى، وهي أخبار سنأتي عليها بالتفصيل في الفقرات اللاحقة[1].

هذا ما يتعلَّق بأسماء القادة المسلمين، أمَّا أسماء المواقع الجغرافية في جنوب سورية، فالأمر يتَّخذ منحىً لافتاً للنظر، على صعيد الخلط والتحوير، والسبب، كما أسلفنا، عائدٌ إلى أنَّ الرواة أو ناقلي الروايات ينتمون إلى مناطق جغرافيَّة بعيدة نسبياً عن جنوب سورية، الذي كان ذا هوية عربيَّة خالصة منذ مدة طويلة. وعلى سبيل المثال فعند الحديث عن معركة داثن وهي المعركة الأُولى في الفتوحات الإسلاميّة، يخلط الراوي السريانيّ بين موقع المعركة الذي هو في جنوب فلسطين وبين

(١) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٥٨.

موقع قيصرية فلسطين الّتي تقع في الشمال، لأنَّ القائد الذي قاد المعركة أتى من قيصرية فلسطين، فاعتقد الراوي السريانيّ أنَّ المعركة جرت في قيصرية نفسها أو بالقرب منها، مع أنَّه لم يتحدث عن فتح المسلمين لهذه المدينة. والأمر نفسه يقال عن معركة الجابية، إذ خلط الراوي بين بصرى والجابية على أساس أنَّ بصرى كانت حاضرة الولاية العربيّة أيام الرومان، والجابية كانت حاضرة العرب الغساسنة، فقال إنَّ المعركة وقعت في بصرى الّتي تُسمى الجابية قرب نهر اليرموك، ولذلك فإننا نجد أنَّ بصرى مقحمة هنا إقحاماً على أساس أنَّ بصرى هي حاضرة الولاية من الناحية النظرية في حين كانت الجابية هي الحاضرة الفعلية للحكام العرب.

كما أنَّ خلطاً وقع بالنسبة إلى وصول الخليفة عمر بن الخطاب إلى الجابية بعد معركة اليرموك، وبدا وكأنه وصل إلى حمص، في حين يتبيَّن لنا أنَّ مَنْ كان في حمص فعلاً هو القائد الفارسيّ نيكيتاس ابن القائد المعروف شهربرز، والذي نجح في الفرار من الجابية بعد مقتل وكيل الملك ثيودور تريثيوس والقائد بانيس (باهان) وحاول وضع نفسه في خدمة المسلمين كما سبق وأن فعل بالنسبة إلى البيزنطيين. وهذا الخلط، الذي نرجِّح أنَّه ناتجٌ عن سوء النسخ، يتكرر أيضاً بالنسبة إلى القادة الذين تجمعوا للمشاركة في معركة اليرموك، فللوهلة الأُولى نظن أنَّ المعركة وقعت في حمص، غير أنَّ الحديث عن غرق الجيش في نهر اليرموك يعيد الصورة إلى منطقيتها، ولذلك لا بدَّ من التيقُّظ عند الحديث عن المواقع الجغرافية الّتي جرت فيها معارك جنوب سورية، ولا بُدَّ من إعمال العقل وإجراء المقارنة مع المصادر الأخرى للوصول إلى حلول منطقية ومعقولة لبعض الأسئلة المتعلقة بالرواية السريانيّة[1].

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل، ٣٦٩/٤؛ رشدي، ميخائيل السرياني، ص٢٩.

ثانياً: الميول

على الرّغم من مشاركة السريان في جيوش البيزنطيّين، قادةً وضباطاً وجنوداً، فإنَّ الموقف السريانيّ العام كان مُعادياً للسلطة البيزنطيّة، والسبب في ذلك الخلاف الدينيّ الناشئ بعد مجمع خلقيدونية، وما يتعلق بطبيعة السِّيد المسيح.

لقد حدث الانقسام الكبير في الكنيسة المسيحيّة عندما عقد المجمع الخلقيدوني في المدينة الّتي سُمي باسمها (خليقدونية) عام ٤٥١م بناء على دعوة الإمبراطور مرقيان، والإمبراطور بولخاريا، بناء على طلب لاون الرومانيّ أُسقف روما[١]. وكان من نتيجة قرارات هذا المجمع انقسام الكنيسة إلى قسمَيْن:

القسم الأوَّل: يضم كنيسة روما والقسطنطينيَّة، اللتين اعتنقتا المعتقد القائل بأنَّ للمسيح طبيعتين، وفيما بعد مشيئتين، وقد سمي هؤلاء في أدبيات مخالفيهم بالملكيين، لأنَّهم اتَّبعوا الملك أو الإمبراطور.

والقسم الثاني: ويضم كنيسة الإسكندريَّة ومن اتَّبع خطاها مثل: السريان، والأقباط، والعرب، والأرمن الذين احتفظوا بإيمانهم الأرثوذكسي (القويم)، الذي اعتمده مجمَّع أفسس الثاني بشكل واضح، وهو أنَّ طبيعة المسيح هي الطبيعة الواحدة، حيث سُمي هؤلاء في أدبيات مخالفيهم بـ«المونوفيسيين» لإلصاقهم بما سُمي بدعة اوطاخي.

وكان من نتيجة ذلك انفصال كنيسة بيت المقدَّس عن أنطاكية واستقلالها بنفسها متبعة قانون الإيمان الخلقيدوني.

أمَّا كنيسة أنطاكيا نفسها فقد ظلَّت الأمور فيها متأرجحة بين أُسقف

---

(١) رشدي، ميخائيل السرياني، ص٨٧؛ رستم، كنيسة مدينة الله، ١/ ٣١٤،

خلقيدوني (ملكي) أو أرثوذكسي (مونوفيسي) حتّى عام ٥١٨م، أي حين استولى جوستين الأوّل على عرش بيزنطة، حيث أُقصيَ سويريوس بطريرك أنطاكية الأرثوذكسي عن منصبه هو والكثير من الأساقفة الأرثوذكسيين، وانتقل من أنطاكية إلى الإسكندريّة بعد ست سنوات من جلوسه على الكرسي وتابع رعاية شؤون كنيسته من هناك، وعيّن بدلاً عنه بولس الثاني الخلقيدوني، ومنذ ذلك الوقت لانطاكية أُسقفان أحدهما خلقيدوني (ملكي) والآخر لاخلقيدوني (مونوفيسي).

ولذلك حاول جميع الأباطرة البيزنطيّين تحويل السريان وغيرهم عن معتقداتهم وجعلهم يؤمنون بالمعتقد الخلقيدوني، من دون فائدة، فعمَّ الاضطهاد بمختلف صوره، ولذلك بقي ولاء السريان للسلطة الّتي تضطهدهم موضع شكّ، فكانوا عوناً لأي قوة يمكن أنْ تخلصهم من نير الاضطهاد الخلقيدوني، فتجدهم قد تعاطفوا مع الفرس عندما اجتاحوا أراضي الروم في آسيا الصغرى والجزيرة وسورية وفلسطين ومصر، غير أنهم عادوا واتخذوا موقفاً سلبياً من الفرس بعد أنْ وقع الاضطهاد عليهم من هؤلاء.

أمّا موقف السريان من المسلمين فقد تأرجح بين التأييد المطلق والقليل من التحفظ على بعض المواقف، وخصوصاً خلال فترة الفتوحات في انطاكية والجزيرة الفراتية وقيليقيا[١].

لقد استقبل السريان العرب المسلمين بوصفهم مخلصين من وطأة الاضطهاد اليوناني، ولذلك أطلقوا على الخليفة عمر بن الخطاب لقب فاروق أي المخلص[٢]، وهو أحد ألقاب السيد المسيح، وعلى الرّغم

(١) كيفي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٦٠؛ عيتاني، الفتوحات الإسلاميّة في روايات المغلوبين ص٧٤.

(٢) عيتاني، م. ن.، ص٧٥.

من أنَّ المصادر الإسلاميّة تذكر النبي محمد، إلّا أنَّ السريان تعاملوا معه باعتباره لقباً يخصهم. وقد وردت عبارات في متن النّصوص الّتي تتحدث عن الفتوحات الإسلاميّة المبكرة تقول: (نشكر الله الذي خلّصنا من حكم البيزنطيّين الظالمين وجعلنا تحت حكم العرب المسلمين العادلين). وقد أشارت الروايات السريانيّة بكثرة إلى عدل العرب ورحمتهم، مقارنة مع ما كانت ترتكبه الشعوب الفاتحة الأخرى، ورُويَت قصصٌ عديدة من هذا القبيل[1]. وكذلك الأمر عند حديثهم عن الخليفة عمر بن الخطاب وفتحه للقدس وتقشفه وامتداحهم لعدله.

غير أنَّ هذه المدائح لسلوك المسلمين، لم تكن بمعزل عن التصور السريانيّ لطبيعة العقاب الإلهي الذي كان الله ينزله على الروم الظالمين والفرس المجوسيين، فالمسلمون هنا ظهروا وكأنهم الأدوات الّتي اتخذها الله لتنفيذ عقابه بهؤلاء القوم، إنهم (المسلمون) صورة من الغضب الإلهي، ولذلك اكتست القصص الّتي تناولتهم صبغة القدرة، وغلب على بعضها منطق الخوارق.

فالعرب المسلمون البُسطاء القادمون من الصحراء بسلاحٍ خفيفٍ ودون دروع، كانوا يهزمون الجيوش المدجّجة والقادرة المدرَّعين والمسلحين بأحدث أسلحة تلك الأزمنة، بقوة إلهية، فهذا القائد الفارسيّ المدجّج والمدرَّع الفار من أمام جندي عربي أعزل إلّا من سيفه، قال: إنَّ الجندي العربيّ المسلم كان يمنع السهام والرماح بكمِّ عباءته، وهذا قائد معركة داثن البطريرك سرجي استسلم لمصيره لأنَّه أيقن أنَّ ما حل به هو عقاب إلهي، وهذا ثاودريقي شقيق هرقل هزم في أجنادين لأنَّه اعتمد على نبوءة راهب (دجال خلقيدوني)، وغير ذلك من

---

(١) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٦١.

القصص الّتي تُشير إلى سيطرة مقولة العقاب الإلهي على ميول ناقلي الرواية السريانيّة لأخبار الفتوح.

إنَّ تحليلنا لموقع الراوي السريانيّ وميوله بيَّن أنَّ روايته لأخبار الفتوح الإسلاميّة أصيلة، لم تتأثر بالروايات الأخرى، سواء منها العربيّة الإسلاميّة أم البيزنطيّة اليونانيَّة، بل ظلت تلك الرواية منسجمةً مع التصوّر السريانيّ الدينيّ للعقاب الإلهي المحتوم على محوري عقيدة (الإيمان القويم)، ولذلك ركَّزت الرواية السريانيّة على القصص والأخبار الّتي تُمثّل عبرةً لمن يعتبر مهما كانت قيمتها التاريخيّة ضئيلة، في حين كان هدف التوثيق التاريخيّ يأتي بالدرجة الثانية ومن زاوية خدمة المقولة الدينيّة.

ثالثاً: تركيب النص

أ: صورة هرقل

سنُحاول الآن إعادة تركيب صور الإمبراطور البيزنطيّ هرقل عبر جمع شتاتها من مختلف تفاصيل الرواية السريانيّة والرواية العربيّة للفتوح الإسلاميّة[1]، ونطمح من خلال هذه المحاولة إلى توضيح بعض الأمور الغائمة والملتبسة المتعلقة بهذه الشخصية المحورية في هذه المرحلة، الّتي تحتل موقعاً مركزياً في روايات الفتوح من وجهة النظر السريانيّة.

إنَّ أوَّل ما يلفت النظر في تناول الرواية السريانيّة لشخصية هرقل تركيزها على أنَّ وصول هذا الإمبراطور البيزنطيّ إلى سدَّة الحكم وارتداءه الأرجوان كان نتيجة المصادفة، إذ أدى الحظ دوراً في وصوله

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل، ٤/ ١٦٠؛ رشدي، ميخائيل السرياني، ص٢٨.

إلى الحاضرة قبل قائد زميل له كان يفترض أنْ يصل هو الآخر للقضاء على الإمبراطور فوقا والجلوس مكانه.

ولنتأمل سلسلة المواقف المرتبطة بمسيرة هرقل إلى الحكم كما وردت في تاريخ التّلمحريّ المنشور في تاريخ ميخائيل الكبير:

أوّلاً: التآمر، فهرقل تآمر على إمبراطوره فوقا وأسهم في قتله.

ثانياً: لعبة الحظ، فهرقل كان محظوظاً بمواتاة الرياح له.

ثالثاً: الفأل السيئ، ففي السنة الّتي ملك فيها حدث كسوف مدة أربع ساعات، وانحبست الأمطار، وهلكت الزروع، واختفت الحبوب فحدثت مجاعة.

رابعاً: الخنوع، وقصة محاولة استرضاء الفرس عبر الزعم بأنّه قتل فوقا إرضاءً لهم.

خامساً: الخسارة، وأخبار احتلال الفرس في عدة مناطق في السنة الّتي ملك فيها هرقل، ثم توالي الخسائر في الفترات اللاحقة مع الفرس والمسلمين من بعدهم.

سادساً: الغدر، حيث حنث باتفاقه مع غريغوريوس ولم يعيِّنه قيصراً، بل عيَّن ابنه قسطنطين قيصراً.

سابعاً: التفريط في المقدّسات، قصة أسر الفرس زكريا أُسقف أورشليم الخلقيدوني وسرقة خشبة الصليب.

ثامناً: تبنّي انتصارات مزعومة على الفرس، في حين أنَّ السبب كان انهيار الفرس من الداخل ونتيجة عوامل ذاتية لا دخل له بها.

تاسعاً: البيعة لابنته مقابل كسب تحالف سياسي.

عاشراً: اتخاذ قرارات عمياء تسبَّبت بسرعة الانهيار البيزنطيّ.

حادي عشر: اتخاذه قرارات حمقاء بتخريب أنطاكية وسلبها عند خروجه منها.

ثاني عشر: تعديه على الناموس، بزواجه ابنة أخيه.

إنَّ الصورة الّتي استطعنا تركيبها لهرقل من خلال المصادر السريانيّة، هي صورة سلبية بالمطلق، من جميع النواحي الشخصيَّة والسياسيّة والعسكريّة الاستراتيجيَّة وحتى الأخلاقيَّة.

والمفاجئ أنَّ الرواية السريانيّة لسيرة هرقل تمتلك مصداقية أكبر من الرواية الإسلاميّة الّتي جاءت صورة هرقل فيها معقَّدة[1] حول هذه الشخصية الإشكالية، ففي حين حاولت الرواية البيزنطيّة المعاصرة له ولسلالته في الحكم، نزع تهمة إضاعة معظم أراضي مملكته، وإلصاقها بالقادة الذين لم يلتزموا تعليماته، نجد أنَّ الرواية السريانيّة تفنِّد هذه الادعاءات بسرد الوقائع عارية كما هي. أمَّا الرواية البيزنطيّة الّتي حاولت تضخيم انتصاراته على الفرس واستعادة سورية ومصر والجزيرة منهم فإنها تتهاوى أمام الرواية السريانيّة شديدة الإقناع، والمثبَّتة بالوقائع والأسماء بتفصيل يكاد أنْ يكون أشبه بمرافعة اتِّهامية لنائب عام أمام هيئة المحكمة.

إنَّ المقارنة بين الرواية الإسلاميّة والرواية السريانيّة بشأن هرقل حتماً ستصبّ لصالح الأخيرة، نظراً إلى عدم امتلاك مؤرِّخي الفتوحات أي معلومات تفصيلية من داخل المعسكر البيزنطيّ، وعدم فهم آلية الحكم في الإمبراطوريَّة البيزنطيّة، إذ يخلط مؤرِّخو الفتوح بين الملك والقيصر ويبدوان وكأنهما شيءٌ واحد!

---

(١) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة، ص٦٤.

وعليه، تبدو الرواية السريانيّة هي الرواية الأقرب إلى حقيقة شخصية هرقل، لامتلاكها الكثير من الحجج والبراهين المقنعة الّتي لا تمتلكها الروايات الأخرى.

ب: التسلسل التاريخيّ للفتوحات حسب روايات ميخائيل الكبير وروايات الطبريّ

على الرّغم من الثغرات الكبيرة في الرواية السريانيّة لسير الفتوحات الإسلاميّة المبكرة، والّتي تحدثنا عنها ونقدناها في الأقسام السابقة من هذه الدراسة، فإنَّها تحوي إلى حدٍّ كبير تسلسلاً منطقياً لبعض المحطات الكبرى في هذه الفتوحات، يمكن أنْ يشكِّل دليلاً لبعض الروايات الإسلاميّة الّتي تعاني من الاضطراب الشديد بشأن التسلسل الزمني، ذلك لابتعاد فترة التدوين عن فترة وقوع الأحداث، فتجد لدى المؤرِّخ نفسه روايتَيْنِ متناقضتَيْنِ زمنياً حول معركة واحدة، وهذه المشكلة تعانيها جميع نصوص الفتوح العربيّة بما فيها نصوص البلاذريّ ذاته، والذي يُعدّ حسب إجماع الباحثين أكثر رواة الفتوح مصداقية، على الأقل من خلال النّصوص المتوافرة للباحثين.

وعليه، فقد بات بالإمكان إعادة تركيب تسلسل زمني لسير الفتوحات من خلال الرواية السريانيّة ومقارنتها مع روايات الطبري نجمله بالنقاط التالية:

* قرار فتح بيت المقدس ومعه بلاد الشام برمتها قرار نبوي، وقد تحدَّث النص السريانيّ بصراحة ووضح حول هذا الموضوع.
* إرسال الخليفة الراشد الأوَّل أبي بكر الصديق أربعة جيوش في السنة الثانية من خلافته[1].

---

(١) ينظر: الرسالة، ص١٨٠.

الجيش الأوَّل: إلى فلسطين (معركة داثن).

الجيش الثاني: إلى مصر، (ولكنه لم يذهب إلى مصر بل توجه إلى فلسطين)، وهذا ينسجم مع وجهة النظر الّتي تقول إنَّ عمرو بن العاص تولى الجيش المعين لفتح مصر في عهد الخليفة أبي بكر، وإنَّه توجَّه إلى جنوب فلسطين ريثما ينضج أمر مصر[1].

الجيش الثالث: إلى بلاد فارس (وهو جيش خالد ابن الوليد)[2].

الجيش الرابع: إلى العرب المسيحيّين والمقصود ولاية العربيّة الّتي عاصمتها بصرى الّتي فُتحت في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٣ هجرية.

* معركة أجنادين بقيادة شقيق هرقل ثاودريقي وقعت في بداية عهد الخليفة عمر أي ١٣ هجرية.

* في السنة الرابعة للخليفة عمر بن الخطاب اجتاحت جيوش المسلمين سورية الداخليَّة بما فيها دمشق وحمص. وثمَّة روايات سريانيّة تتحدث عن حدوث فتح لدمشق وحمص قبل معركة اليرموك.

* في السنة الخامسة لعمر وقعت معركة اليرموك الفاصلة الّتي انهارت بعدها كلّ دفاعات البيزنطيّين.

* في هذه السنة نفسها عاد المسلمون إلى دمشق وحمص وغيرهما من المدن وفتحوهما مجدداً صلحاً.

* وفي هذه السنة أيضاً توجه خالد بن الوليد إلى حلب وأنطاكية وفتحهما، وللمرة الأُولى يرد في الرواية السريانيّة حديث عن مآسٍ للسريان.

---

(١) ينظر: م. ن.، ص١٨٠.

(٢) ينظر: م. ن.، ص١٨٠.

* في هذه السنة انطلق جيش سعد بن أبي وقاص إلى الكوفة وفتحها[1].

* وفي السنة نفسها جمع الفرس جمعاً ثانياً في قسطفون (المدائن) وكانت الهزيمة من نصيبهم، وحدث تجمُّع ثالث جمعه يزدجرد بعد فترةٍ وجيزةٍ في الكوفة أيضاً وكانت الهزيمة أيضاً من نصيبه. ثمَّ تجمّعٌ رابع في بلد مادي (نهاوند) وكانت المعركة الفاصلة الّتي قضت على مملكة الساسانيين.

* فتح مصر بعد هذه الأحداث مباشرة.

* في عام ٦٣٧م دخل الخليفة عمر إلى القدس وفتحها.

* في عام ٦٤٠م فتحت بلاد الجزيرة (ما بين النهرين) على يد عياض بن غنم.

* في عام ٦٤٧م فتح المسلمون أفريقيا.

* في عام ٦٤٩م فتح معاوية قبرص، ودخل عاصمتها القسطنطينيَّة.

* في سنة ٦٥٠م قتل يزدجرد وفتح سعيد ابن الخليفة عثمان بلاد ما وراء النهر وجاء إلى مرو وتمَّ إرسال تاج كسرى إلى المدينة.

* في السنة نفسها فتح معاوية قيصرية فلسطين والجليل ووصل إلى قيليقيا.

* في عام ٦٥٤م فتح أبو الأعور السلميّ جزر قوس وكريت ورودس.

* في عام ٦٥٥م حاصر معاوية القسطنطينيَّة، وكاد أنْ يفتحها.

إنَّ تسلسل الأحداث هذا قابل للنقد من حيث التواريخ المثبتة، ولكنَّه

---

(١) ينظر: الرسالة، ص١٨٠.

من خلال مقارنته ببعض الوقائع في أخبار الفتوحات في تاريخ الطبريّ يمكن أنْ يشكِّل قرائن تدعم بعض الروايات الإسلاميّة الملتبسة التاريخ.

ج: أبو الأعور السلميّ[1]

تُعَدُّ شخصيَّة (أبو العور) الّتي يرد ذكرها في تاريخ ميخائيل الكبير وتاريخ الرُهاوي المجهول بهذه الصيغة، الشخصية المحورية في الفتوحات الإسلاميّة البحرية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، والّتي قادها بشكل مباشر حاكم الشام معاوية بن أبي سفيان.

والروايات السريانيّة المتعلقة بالفتوحات الّتي تمت على يد معاوية مكتوبة للمرة الأُولى من وجهة نظر المعسكر الإسلاميّ، والمرجح أنَّ مصادرها الضباط والجنود السريان الذين ضمهم معاوية إلى قواته، والّتي أفضت، بحسب تاريخ ميخائيل الكبير، إلى تولية قائد سريانيّ قيادة أحد الجيوش ويدعى حبيب، يصفه المؤرِّخ التّلمحريّ أو ميخائيل الكبير بـ(حبيب السريانيّ الشرير). بالإضافة إلى ذلك تذكر الرواية السريانيّة أنَّ أبا العور فرض الجزية على جنوده المسيحيّين عام ٦٦٩م، وهو ما يُشير إلى وجود سريان بينهم[2].

إنَّ الفتوحات الّتي تنسبها الرواية السريانيّة لأبي العور هي التالية:

* قاد عملية الفتح الثانية لجزيرة قبرص.
* قاد عملية فتح جزيرة قو وجزيرة كريت وجزيرة رودس.
* قاد الحملة على القسطنطينيَّة عام ٦٥٥م وانتصر على قوات الروم

---

(١) لم يذكره الطبريّ في تاريخ الرُسُل والملوك إلاَّ في خمس روايات فقط، من خلال حديثه عن الحرب التي نشبت بين الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في أحداث سنة (٣٧هـ). الطبريّ، تاريخ الرُسُل، ٤/٣٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل، ٤/ ٣٧٠؛ رشدي، ميخائيل السرياني، ص٧٩.

المتجمعين في قيليقيا وكاد أنْ يأسر الإمبراطور قسطس وشقيقه، وقد بلغ عدد قتلى الروم فيها عشرين ألفاً طفت جثثهم على سطح الماء.

إنَّ أبا العور هذا المذكور في الرواية السريانيّة ما هو إلّا أبو الأعور السلميّ، الذي يُعدُّ حسب الروايات الإسلاميّة من رؤوس الفتنة الّتي شقَّت الدَّولة الإسلاميّة في عهد الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب.

لدينا الآن مثل حيّ على تدخل الميول السياسيّة والمذهبية في الرواية التاريخيّة الإسلاميّة، فالموقف السياسيّ والمذهبي من هذا القائد الذي تنسب إليه المصادر السريانيّة الانتصارات الهائلة في فتوح البحر، يكاد أنْ يكون مجهولاً لدى مؤرِّخي الفتوح المسلمين، باستثناء الرواية الّتي ينقلها الحافظ الذهبيّ، والّتي تتحدث عن أنَّ أبا الأعور هذا كان له الفتح الثاني لجزيرة قبرص.

يقول الذهبيّ في تاريخ الإسلام: «أبو الأعور السلميّ اسمه عمرو بن سفيان وقيل: عمرو بن عبد الله بن سفيان ويقال غير ذلك، له صحبة وكان يوم اليرموك أميراً على كردوس وكان أمير الميسرة يوم صفين معاوية، روى عنه: قيس بن أبي حازم وأبو عبد الرحمن السلميّ وعمرو البكالي. وقال الوليد بن مسلم: حدثنا عثمان بن حصن عن يزيد عن عبيدة قال: غزا أبو الأعور السلميّ قبرص ثانياً سنة سبع وعشرين، وعن سنان بن مالك أنَّه قال لأبي الأعور: إنَّ الأشتر يدعوك إلى مبارزته فسكت طويلاً ثم قال: إنَّ الأشتر خفّته وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمال عثمان من العراق ثم سار إلى عثمان فأعان على قتله، لا حاجة لي بمبارزته. توفي أبو الأعور في خلافة معاوية لأني وجدت جرير بن عثمان روى عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي قال: لما بايع

الحسن معاوية قال له عمرو بن العاص وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلميّ: لو أمرت الحسن فتكلم على النَّاس على المنبر عيى عن المنطق فيزهد فيه النَّاس فقال معاوية: لا تفعلوا فوالله لقد رأيت النبي محمد يمص لسانه وشفته فأبوا على معاوية. وذكر الحديث تقدم»[1].

أمَّا ابن الأثير الجزري فيقول في ترجمته: «أبو الأعور عمرو بن سفيان السلميّ. ذكرناه في «عمرو بن سفيان» بعد في الصحابة. قال أبو حاتم الرازيّ: لا تصح له صحبة ولا رواية. قيل: شهد حنيناً كافراً ثم أسلم بعد هو ومالك بن عوف النصري. وحدث بقصة هزيمة هوازن بحنين، ثم صار من أصحاب معاوية وخاصته، وشهد معه صفين، وكان أشدّ من عنده على عليّ بن أبي طالب وكان علي يدعو عليه في القنوت». (أخرجه أبو عمر)[2].

من المثلين اللذين سقناهما حول ترجمة أبي الأعور السلميّ، يتَّضح أنَّ المصادر الإسلاميّة على العموم سنيَّة وشيعيَّة، كانت تنظر إلى أبي الأعور بوصفه واحداً من رؤوس الفتنة، ولذلك تجنبت هذه المصادر نسبة أي انتصار أو حدث إيجابي له، ومن هنا نجد أنَّ الروايات المتعلقة بفتوح البحر تنسب إلى عبد الله بن قيس الفزاري، أو إلى جنادة بن أبي أميَّة الأزدي، أو غيرهما من القادة الذين كانوا على الأرجح تحت قيادة أبي الأعور.

مرة أخرى تُساعدنا الرواية السريانيّة على إعادة تركيب الأحداث المتعلقة بفتوح جزر البحر المتوسط من خلال شخصية أبي الأعور الّتي

(١) الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ص٥١٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٤٩ ـ ١٩١.

طمست في المصادر الإسلاميّة لأسباب شتّى، في حين لم تكن المصادر السريانيّة مضطرةً إلى مثل هذا الطمس.

رأينا فيما سبق كيف أنَّ الرواية السريانيّة للفتح الإسلاميّة حملت الكثير من الوقائع التاريخيّة غير المذكورة في المصادر العربيّة الإسلاميّة أو البيزنطيّة، وهي بذلك سدَّدت بعض الثغرات المتعلقة بقصة هذه الفتوح الّتي دوَّنتها كُتُب الفتوح الإسلاميّة بعد أكثر من قرنين من الزمان، وهو ما أفقدها بعض التفاصيل، وخصوصاً الاضطراب الذي نلمسه في التواريخ، وتدخل الميول السياسيّة والمذهبية في بعض الوقائع وخصوصاً ما يتعلق بشخصية محورية في الفتوحات البحرية وهي شخصية أبي الأعور السلميّ.

وقد أكَّدت الرواية السريانيّة أنَّ قرار فتح بيت المقدس والشام كان قراراً نبوياً، وأنَّ الفتوح الإسلاميّة المبكرة امتازت برحمة الفاتحين وعدم ارتكابهم أي تجاوزات ممَّا كان يُرتكب في تلك العهود، باستثناء رواية واحدة عن فتح أنطاكية على يد خالد بن الوليد جرى الحديث فيها عن عمليات سبي وقتل.

وأشارت الرواية السريانيّة إلى فتح دمشق مرتين وهو ما ذهبت إليه بعض المصادر الإسلاميّة، وأكَّدت ما سبق أنْ ورد في أخبار الفتوح حول معركة اليرموك الفاصلة والّتي سقطت بعدها جميع مدن الشام.

وأكَّدت الرواية السريانيّة قصة فتح بيت المقدس على يد الخليفة العادل عمر بن الخطاب وزادت أنَّه أقام في القدس فترة من الزمن وفي عهده ابتُدئ الشروع في بناء المسجد الأقصى.

وقد أماطت الرواية السريانيّة اللثام عن الغموض والأسطرة اللذين أحاطا بشخصية الإمبراطور البيزنطيّ هرقل، بحيث قدمت هذه الرواية

عرضاً متكاملاً لسيرة هذا الملك العسكريّة والّتي امتازت بقوة الحجَّة، وهو ما فسَّر سلسلة الهزائم والنكبات الّتي مُنيت بها مملكته طوال فترة حكمه الطويلة، وهذه الرواية هي الأقوى بين الروايات الّتي تناولت هذا الإمبراطور الخاسر.

كما رأينا أنَّ وجهة النظر السريانيّة من وقائع الفتوح انتقلت في عهد معاوية بن أبي سفيان إلى داخل المعسكر الإسلاميّ، بعد أنْ كانت في الفتوح المبكرة من داخل المعسكر البيزنطيّ، وهو ما دل دلالة معبِّرة على إشراك السريان في جيوش الفتح الإسلاميّ خلال عهد معاوية، بعد أنْ كانوا ضمن جيوش البيزنطيّين في الفتوح المبكرة. وهذه الملاحظة بالذات أعطت الرواية السريانيّة مصداقيةً كبيرةً من شأنها أنْ تُكمل بعض الروايات الإسلاميّة وتدعم بعضها وتصوِّب بعضها الآخر.

الخاتمة

لعلّنا بعد هذه المحاولة في دراسة حياة كلّ من الطبريّ وميخائيل الكبير ومنهجهما في تاريخ الرُّسُل والملوك وتاريخ ميخائيل الكبير، نستطيع أنْ نبرز بعض النتائج الّتي توصّلنا إليها من خلال هذه الرسالة.

١: تباين في الغاية والجمهور

إنَّ مناقشة متأنيَّة لخصائص التاريخين، تُظهر علاقة قريبة بين الغاية الّتي حفزت المؤرِّخين، وبين الخصائص ككلّ، وهذه الغاية لا بدَّ من أنْ تفترض جمهوراً معيناً، له صفاته وأفكاره الاجتماعيَّة، ومناهجه المعاشية، ومعتقداته الدينيّة، وأساليبه السياسيّة، ففي تاريخ ميخائيل الكبير هذا الجمهور هو جمهور نصارى الشرق في الدرجة الأولى، وجمهور كنيسته بالدرجة الثانية. وألَّف الكتاب، كما يبدو، بدافع ديني وقومي لا غبار عليهما، ويذكر أنَّه أقدم على هذا العمل، لأنَّ أحداً من أبناء بجدته، لم يتحرك للكتابة في المواضيع التاريخيّة. وليس هذا هو الدافع الوحيد الذي حرَّك ميخائيل الكبير لتصنيف تاريخه السريانيّ، فقد أورد في مقدمته دوافع أخرى فيذهب إلى أنَّ التذكير بمآتي الأجيال، خيرها وشّها، يقدّم في الواقع فائدة غير قليلة للذين يعكفون على طلب الخير، ويجتهدون في الابتعاد عن الشرّ، لأنَّ تعداد الفضائل وإعلانها، يحثُّ المرء على السعي في أثرها، والتنديد بالمساوئ يشجِّع على إطراحها.

وتختلف الغاية وتباين الجمهور. في تاريخ الرُّسُل والملوك، يحدِّد الطبريّ الغاية من جمع رواياته فيوجز في هذه العبارة المكتنزة مجمل غايته من وضع الكتاب، ألا وهي ترغيب النَّاس بفعل الخير، وتحريضهم لطلب الحق والعدل والجمال، عن طريق رصد الفضائل، أمَّا الجمهور فهو المسلمون.

إنَّ الدراسة والتمحيص في حياة الطبريّ وميخائيل الكبير كانت إضاءةً ساطعةً على حياة هذين المؤرِّخين، حيث المكانة العلميّة سواء في العلوم الدينيّة والتاريخ وعلوم اللُّغة والفلسفة وغيرها من العلوم.

٢: تباين أسلوب منهج المعالجة التاريخية:

إنَّ منهج الطبريّ تاريخه (الموضوعي والحولي) عربي النشأة وبعيد عن التأثيرات التاريخيّة غير العربيّة وذلك أنَّ العوامل الّتي أدَّت إلى الكتابة التاريخيّة بهذا المنهج المُعتمد على الحولية والموضوعية تتصل بالتطورات العلميّة والثقافية من جهة، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربيّ من جهة ثانية.

أمَّا منهج ميخائيل الكبير في تاريخه فبعد بعد دراسة أنماط الحوليّات البيزنطيّة، وتأثيرها في أساليب التواريخ السريانيّة، نرجّح أنّ ميخائيل السريانيّ جمع بين هذه الأساليب بمنهجيّةٍ واعيةٍ، مكوّناً بذلك طريقة خاصَّة اتبعها في تصنيف كتابه التاريخيّ. ففي تاريخه يمزج بين التاريخ الدينيّ، كما ورد في الكتاب المقدَّس، والحوليّات البيزنطيّة. فيبتدئ أخباره من الخليقة ويستمرّ في سرد الروايات إلى عصره، تماماً مثلما يفعل مدوّنو الحوليات وكتبة التواريخ العامّة. وليس هذا فحسب، بل نجده يتقيّد بالتقويم الإسكندري، بالإضافة إلى اعتماده التقويم الميلاديّ والهجريّ. وبتأثير النمط البيزنطيّ أيضاً، يربط ميخائيل السريانيّ

بسلاسل اعتباطية منذ الخليقة حتّى أيّامه، من دون الالتفات إلى نظام العلّة والمعلول. فيصف حادثة الخلق، وينتقل من آدم إلى العائلة البشريّة، فحقبة الآباء فقضاة بني إسرائيل فملوكهم، فملوك الكلدان، فالفرس، فاليونانيون الوثنيون، فالرومان، فاليونان المنتصرون، فالعرب.

ويغلب نمط الحوليّات على تواريخه في تسلّط الجوانب العاطفيّة، وبروز الميول القومية والطائفية، والتركيز على الخوارق، وذكر شخصيّات تمتاز بمواهب وطاقات مذهلة، واعتبار حوليّات الحقب السابقة وثائق تاريخيّة لا يرقى إليها الشكّ فيعتمدها من دون نقد وينقل عنها بطمأنينة متناهية. فكان هذا التسليم المسبق بصحّة أحداث مصادره سبباً في الجمع بين غثّ الأخبار وسمينها. أما بالنسبة إلى أحداث عصره، فقد جمع ما استطاع جمعه بنفسه عن طريق السماع والمشاهدة المباشرة، أو أخذاً عن مؤرّخين معاصرين.

ومع أنّ ميخائيل اقتفى الكثير من أنماط الحوليّات البيزنطيّة، نراه يُعدّل عن الأخذ بالأساليب الإنشائية الجافّة في هذه التواريخ، مرتكزاً على سلاسة المعنى، ورشاقة التعبير، فجاءت تواريخه على جانب من الفصاحة والاختصار والتهذيب.

أما فيما يختص بأثر الأساليب العربيّة، وهذا ظاهر، فقد وجدنا أنّه يجعل الغاية وراء تصنيفه تواريخه، مشابهة للغاية الّتي توخّاها العرب في تأليف مطوّلاتهم.

واقتبس من الطرائق العربيّة أسلوب ترتيب مواد تواريخه، وحصرها ضمن سنوات محددة، محصورة في فترة حكم الملك، أو خليفة أو سلطان، مع الإشارة إلى اليوم والسنة، إلّا أنّه خالف الأسلوب العربيّ

في طريقة الإسناد، واستعاض عنه بالاستشهاد بآباء الكنيسة وعلمائها ومؤرِّخيها، فجاء أسلوبه وسطاً بين العرب والبيزنطيّين. ويُلاحظ على ميخائيل الكبير أنَّه لم يعتمد على أي من مؤرِّخي المسلمين، ولكن نجد أنَّ ميخائيل الكبير يعمل على ترجمة سورة التوحيد في القرآن الكريم وضمها ضمن تاريخه.

٣: انتقاء في اختيار الرواة والروايات وحجم الموضوعات:

يُلاحظ أنّ الطبريّ يعرض روايات عديدة للخبر الواحد، ويجعل الخبر على عهدة راويه، ولا يعلق بترجيح تلك الرواية على غيرها، ويترك للقارئ اللبيب أن يميّز بين الغثّ والسمين ليحكم. ولكن الملاحظة الجديرة بالإشارة أنّ الطبريّ ينتقي أحياناً الرواة دون الرواية، وهذا الانتقاء ظهر واضحاً وجليّاً في تعويله على روايات سيف بن عمر التميميّ في أخباره عن أحداث الفتنة ومعركة الجمل، مع علمه بأنّ سيف بن عمر مطعون فيه واتُّهِم بالكذب والزندقة والوضع كما مرّ بنا، ولم يستعن بروايات الواقديّ صاحب المغازي الذي كان له هو الآخر كتاب عن معركة الجمل وكان أوعيةً من أوعية العلم، وذا علم واسع كما أسلفنا. لكنَّ السبب معروف عن عزوف الطبريّ عن التعويل على روايات الواقديّ، لأنّ الأخير اتُّهم بالتشيّع، لذلك سقط الاعتماد عليه في الموضوع الحسّاس الذي كان الأُولى بالطبريّ أن يأخذ الراوي الأكثر ثقة وأمانة وصدقاً في رواياته، لا أن يركن إلى التهمة البائسة ويؤثر العزوف.

قد يختلف حجم الموضوعات لدى الطبريّ بحسب أهميتها وبلوغ أخبارها لديه، فنراه يُطيل في حادثة ما ويُقصّر في أخرى. فقد تناول أحداث السقيفة في ثماني صفحات، وأفرد بضعة سطور من ضمنها لا

تتجاوز العشرة لقضية فَدَك، بينما تناول أحداث معركة الجمل في تسعين صفحة، وموقعة حنين في مائة صفحة. أما المصادر الإسلاميّة، فعلى الرّغم من تناولها الوقائع والأحداث بالتفصيل، إلَّا أنَّها جاءت متضاربة متناقضة أحياناً أخرى. ويرجع ذلك إلى ابتعادها عن الأحداث واعتمادها على الأسانيد. ولا أدل على ذلك التناقض في سرد أخبار الفتوحات الإسلاميّة المبكرة من اعتراف الطبريّ صراحة بذلك قائلاً: «أمَّا الفتوحات الّتي نسبها بعض النَّاس إلى أنها كانت في عهد عمر وبعضهم إلى أنَّها كانت في إمارة عثمان، فقد ذكرت قبل في ما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كلّ فتح كان من ذلك».

ومنهج الطبريّ في تأريخه عندما نضعه في ميزان الحكم والنقد والتقويم نلاحظ أنَّ له مزايا وعليه مآخذ، وإن كانت هذه المآخذ هي في حقيقة الأمر ملاحظات لا تؤثّر في الجوهر ولا تُصيب المكنون لأنها قطرات في بحرٍ واسعٍ شاسعٍ وخصوصاً وأنَّ الطبريّ متميّز بالدقة والتثبيت في التاريخ ومنهجه فيه.

بغض النظر عمَّا سنسجله من نواقص أو هنات ليست جوهرية سواء في مادته أو منهجه، فلعلَّه قد استبان من موضوعه ومادته أنه تأريخ جليل القدر عظيم القيمة. ومهما يكن لنا من ملاحظات على المنهج فإن ذلك لا يقلل من أهميَّة العمل الذي قام به الطبريّ وجعل له مركز الصدارة بين المؤرّخين العرب والمسلمين وبين مَنْ كتب التأريخ العام منهم بوجه خاص.

وكان الطبري يقطع الأحداث بالروايات المتعددة أو المتخالفة، فإذا انتهى من ذكر الخلاف عاد إلى استئناف الكلام من حيث توقَّف وقطع، مشيراً إلى أنَّه رجع الحديث إلى الرواية الأُولى (رجع الحديث إلى الحديث...).

وبهذا كانت الروايات كثيراً ما تتداخل وتتشابك، وهذه الطريقة تُشتّت القارئ وتُشغله بالفروع عن الحدث الأصلي، على ما في هذه الطريقة من أمانةٍ وصدقٍ ودقةٍ. وكان خيراً منها لو أنه عرض كلّ رواية عرضاً كاملاً ثم أعقبها بغيرها ليستطيع القارئ أن يلم بها مكتملة ويوازن بينها ويرجع بعضها على بعض.

أما أسلوب منهج المعالجة التاريخيّة عند ميخائيل الكبير ومن خلال تاريخه فنجد أنَّه يعمل على إقامة نوعٍ من التوازن الكمّي بين تواريخ الأُمم السابقة للإسلام وخصوصاً تاريخ الروم والمسيحيّة وبين التاريخ الإسلاميّ، واعتماد الأسلوب المختصر والمباشر في السرد من دون تطويل ولا سند ولا دخول في التفاصيل أو الروايات. وأبرز التاريخ المسيحيّ، حتّى خلال التاريخ الإسلاميّ نفسه، فكثيراً ما يعطف الكاتب فيذكر مثلاً الأطباء النصارى أو خبر هذا البطريرك أو ذاك الشاعر أو ذاك الكاتب من المسيحيّين خلال السرد في نوع من إثبات الوجود المبرر. وهذا ما سمح بكشف الكثير من أحوال أهل الذمة خلال العصور الإسلاميّة. إنَّ روحاً من الاعتدال والحياد كانت تميز تاريخ ميخائيل الكبير، وطيف التعصب لا يكاد يبيِّن فيها وكثيراً ما يغيب تماماً.

٤: الاعتناء بالتاريخ السياسيّ والعسكريّ أكثر من غيرهما:

إنَّ فهم الطبريّ للتاريخ كان محصوراً بالأمور السياسيّة خصوصاً، وبالمشاكل الداخليَّة للدولة بصورة أخصّ، إذ أرَّخ للملوك والحروب والقواد، ولم يسجل الأحوال الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة لعصره وما قبله إلَّا نتفاً نجدها هنا أو هناك، ومن الصعوبة على الباحث في هذه الأحوال أو تلك أن يكوّن صورة واضحة المعالم والشخوص.

وقد يخفِّف من هذا المأخذ أنه ليس بدعاً في هذا الاتجاه بين مؤرّخي

عصره ولا بين مؤرِّخي العالم قبل العصر الحديث، فقد نهجوا جميعاً هذا النهج، ومعذرتهم في عنايتهم بتاريخ الملوك أنهم المسيطرون على الشعوب ولم يكن للشعوب ولا للرأي العام صوت في العالم إلى حدود القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ فإذا كانت هذه عادة المؤرِّخين القدامى جميعاً فما أرى الحق أنْ نُطالب الطبريّ بأنْ يسجِّل مظاهر قوتها ونهضتها ونُظُمها العامة في الاجتماع والاقتصاد والعادات ولكنَّه لم ينسَ ما يستحق الذكر.

ويُلاحظ في تاريخ ميخائيل الكبير أنه أرَّخ الجانب العسكريّ في تاريخ الدَّولة العربيّة الإسلاميّة وخصوصاً الفتوحات الإسلاميّة في عهد الخلافة الراشدة والعصر الأُمويّ عند تدوين التاريخ الإسلاميّ، بل يُلاحظ أيضاً أنَّه لم يذكر أحداثاً في الدَّولة الإسلاميّة في غاية الأهمية منها مقتل الخليفة عثمان بن عفان وحرب الجمل وحرب صفين وغيرها من الأحداث المهمَّة في تاريخ الإسلام.

إنَّ المصادر السريانيّة تروي من التاريخ الإسلاميّ الروايات ذات العلاقة بتأريخ الكنيسة، مؤكدة الجوانب السلبيَّة منها. وهي، وإن روت بعض الروايات الإيجابية من هذا التاريخ، فهي قليلة جداً، وروت بعضها لأجل توجيه الانتقادات إلى الإمبراطوريَّة البيزنطيّة الّتي خضع لها المسيحيّون، والّتي يختلفون عنها مذهبياً. لذا فمن الممكن القول إن الاعتماد كليّاً على المصادر السريانيّة في كتابة التاريخ الإسلاميّ، هو رأي مُبْتَسَرْ ويحتاج إلى إعادة نظر. ولكن يمكن الاستفادة من المصادر السريانيّة في كتابة التاريخ الإسلاميّ خاصَّة وأنَّها تشكِّل العمود الفقري في الأمور الّتي تتعلق بدراسة تاريخ الفتوحات وتاريخ أهل الذِّمة في ظلِّ الخلافة الإسلاميّة. ولكن لا يمكن الاستغناء بأيِّ حال من الأحوال عن

المصادر الإسلاميّة في هذه المحاولة، لأن الكثير من الأمور الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيّة لم يرد بشكل واضح في المصادر السريانيّة أو لم ينل اهتمامها اللازم.

والحقيقة أنَّ مصادرنا عن الفتوحات الإسلاميّة اعتمدت على الرواية الشفوية، فلم يعرف المسلمون التدوين التاريخيّ حتى العصر العباسيّ. ومن المحقَّق أن العرب في جاهليتهم وفي أوائل الإسلام لم يدوّنوا التاريخ لجهلهم الكتابة، ولتحبيذهم الحفظ عليها لأنَّها لم تكن وقتذاك لتُعطي صاحبها تفوقاً في المجتمع أكثر ممَّا تُعطيه ملكة الحفظ. فكان تاريخ المسلمين الأوَّل لكلّ منهج أو مسلك أو أسلوب أو نظام تاريخيّ مزايا ومآخذ ومحاسن ومساوئ لأنَّه من صنع الإنسان الذي يُصيب أحياناً وقد يُخطئ أحياناً أخرى وهي سنَّة الله تعالى في خلقه وما الكمال إلّا لله وحده.

٥: تشابة مفهوم التاريخ

إنَّ مفهوم التاريخ عند الطبري وميخائيل السرياني متأثر بالنظرة الدينية أكثر من تأثره من بالنظرة التجاربيَّة. فهو عند الأثين تعبير عن المشيئة الإلهية أوَّلاً.

٦: أفاق جديدة:

بعد إنهاء هذه الدراسة التحليلية والتمحيص في تاريخ ميخائيل السريانيّ وتاريخ الطبريّ، تبيَّن لنا بعد إجراء المقارنة بينهما، رغم اختلاف الميول والاتجاهات إنّ هذه الدراسة تفتح الباب أمام الدراسات الأكاديميَّة العلميّة في إعادة قراءة المصادر السريانيّة والاهتمام بها، وإجراء المقارنات العلميّة بينها وبين المصادر العربيّة من أجل فتح الباب

لإعادة قراءة وكتابة التاريخ الإسلامي، وسد الثغرات الموجودة فيه من خلال المصادر السريانيّة. وعليه، يمكن طرح عدة آفاق جديدة لدراسة التاريخ السريانيّ منها.

* دراسة العصر العباسي من خلال المصادر السريانيّة.
* الإسلام المبكر في التواريخ السريانيّة.
* العصر العباسي في تاريخ ميخائيل السريانيّ الكبير.
* العصر العباسي في تاريخ زوقنين.
* الحملات الصليبيَّة في التواريخ السريانيّة.

وعلى الرّغم من أهمية إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، لسدِّ بعض الثغرات الموجودة فيه، بالعودة إلى المصادر السريانية، إلاَّ أنَّه يتوجَّب الحذر الشديد، فلا نعتمد بصورة عمياء على المعلومات الواردة في المصادر السريانيَّة، بل نعمد إلى إجراء المقارنة بينها وبين المعلومات الواردة في المصادر العربيَّة، فضلاً عن الأخذ بالاعتبار
المعلومات الواردة في المصادر العربيَّة، فضلاً عن الأخذ بالاعتبار
الأخطاء التاريخيَّة العديدة التي برزت في هذه المصدر السريانيَّة وبخاصة في تاريخ ميخائيل الكبير السرياني الذي يغلب عليه تسلّط الجوانب العاطفية، وبروز الميول القوميَّة والطائفيَّة، والتركيز على الخوارق، فهو يمزج بين التاريخ الديني، كما ورد في الكتاب المقدس، والحوليات البيزنطيَّة، مُعتبراً هذه الحوليات وثائق تاريخيَّة لا يرقى إليها الشك، فيعتمدها دون نقد وتحليل، وينقل عنها بطمأنينة متناهية، في تسليم مُسبق بصحة أحداث مصادره، إضافةً إلى أنَّه لم يعتمد في تاريخه على مؤلفات إسلامية، وإنَّما كان كل اعتماده على مؤلفات مسيحية

أخيراً، يحدوني أمل كبير في أن أكون قد قدمت رسالة علمية منهجية تصب في خدمة هذه القضية الّتي طال الأخذ والرد فيها، وتعين المهتمين بها والراغبين في التعمق في شأنها.

المصادر والمراجع

أوَّلاً: الكتب المقدَّسة:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكتاب المقدَّس.

ثانياً: المصادر العربية:

١ ـ ابن الأثير، عليّ بن محمّد بن عبد الكريم أبو الحسن عز الدين الشيباني الجزري (٦٣٠/ ١٢٣٢). **الكامل في التاريخ**؛ صححه عبد الوهاب النجار. الطبعة الأولى. القاهرة: إدارة الطباعة الميرية، ١٣٤٩/ ١٩٣٠ ـ ١٣٥٣/ ١٩٣٤. تسعة أجزاء

٢ ـ ــــــــ . **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. لا طبعة. بيروت: دار الفكر، ١٤١٩/١٩٩٨.

٣ ـ ابن اسحاق، محمد بن إسحاق، (١٥١/ ٧٦٨). **كتاب السيَر والمغازي المسمى سيرة ابن إسحاق**؛ حققه سهيل زكار. الطبعة الرابعة. قم: دفتر تبليغات مطالعات تاريخ ومعارف إسلامي، ١٤١٠/ ١٩٨٩.

٤ ـ الأعشى، ميمون بن قيس (٨/ ٦٢٩). **ديوان الأعشى الكبير**؛ شرح وتعليق محمد حسين. الطبعة الثانية. القاهرة: المطبعة النموذجية، ١٣٧٠/ ١٩٥٠.

٥ ـ البكري، أبي عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز محمّد (٤٧٨/ ١٠٩٤). **معجم ما**

استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق جمال طلبة. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨. ثلاثة مجلدات، خمسة أجزاء.

٦ ـ البلاذريّ، أبو العبَّاس أحمد بن يحيى بن جابر(٢٧٩/ ٨٩٢). **فتوح البلدان**؛ حققه وشرحه وعلق على حواشيه وقدم له عبد الله أنيس الطباع وأخوه. لا طبعة. بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧/١٩٥٧. مجلد واحد، خمسة أقسام.

٧ ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عسى بن سورة (٢٧٩/ ٨٩٢). **سنن الترمذي**. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء الترث العربيّ، ١٤٢١/ ٢٠٠٠.

٨ ـ ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (٨٧٤/ ١٤٦٩). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. الطبعة الأولى (مصورة عن القاهرة، لا ناشر، ١٣٨٣/١٩٦٣(. القاهرة: دار الكتب المصرية، لا تاريخ. اثنا عشر جزءاً.

٩ ـ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمّد (٨٣٣/ ١٤٢٩). **غاية النهاية في طبقات القراء**؛ عُني بنشره ج. برجستراسر. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٥١/١٩٣٢ ـ ١٣٥٤/ ١٩٣٥. مجلدان، ثلاثة أجزاء.

١٠ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد التيمي (٥٩٧/ ١٢٠٠). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** .الطبعة الأولى. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٧/١٩٣٨.

١١ ـ ـــــــ . **صفة الصفوة**؛ حققه محمود فاخوري محمد رواس قلعة جي. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩.

١٢ ـ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (٤٠٥/ ١٠١٤). **المستدرك على الصحيحين**؛ صححه يوسف عبد الرحمن المرعشلي. الطبعة الثالثة [طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة] .بيروت: دار المعرفة، ١٣٣٥/١٩٥٦. خمسة أجزاء.

١٣ ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢/ ١٤٤٨). **الإصابة**

في تمييز الصحابة. الطبعة الأولى.بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٣٢٨/ ١٩٥٠. أربعة أجزاء.

١٤ ـ ـــــــــ . تهذيب التهذيب. الطبعة الأولى (مصورة عن طبعة الهند. مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥/١٩٠٧ ـ ١٣٢٧/١٩٠٩(. بيروت: دار صادر، لا تاريخ. اثنا عشر مجلداً.

١٥ ـ ـــــــــ . لسان الميزان؛ حققه مكتب التحقيق. الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٢٢/ ٢٠٠١.

١٦ ـ ابن حُزم، أبو محمّد عليّ بن أحمد الظاهري الأندلسي (٤٥٦/ ١٠٦٤). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**؛ حققه محمّد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الجيل، ١٤١٦/ ١٩٩٦.

١٧ ـ الحلبي، نور الدين أبو الفرج عليّ بن إبراهيم بن أحمد (١٠٤٤/ ١٦٣٤). **السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون**: إنسان العيون. لا طبعة. بيروت: دار المعرفة، لا تاريخ. ثلاثة اجزاء.

١٨ ـ ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (٥٦٢/ ١١٦٧). **التذكرة الحمدونية**؛ حققه إحسان عباس وبكر عباس. الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٩. عشر مجلدات.

١٩ ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣/ ١٠٧٠). **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٣٨٧/ ١٩٦٧. أربعة عشر مجلداً.

٢٠ ـ ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد التونسي (٨٠٨/ ١٤٠٥). **مقدمة ابن خلدون**؛ [وهي الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر]. الطبعة الرابعة. بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١١/ ١٩٩٠.

٢١ ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمّد (٦٨١/ ١٢٨٢). **وفيات**

الأعيان وأنباء ابناء الزمان؛ حققه إحسان عباس. الطبعة الأولى. بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١/ ١٩٧١. ثمانية أجزاء.

٢٢ ـ ابن خياط، خليفة بن خياط (٢٤٠/ ٨٥٤). تاريخ ابن خياط؛ حققه سهيل زكار. الطبعة الثانية. بيروت ـ دمشق: دار الفكر، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٢٣ ـ الذهبيّ، شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨/ ١٣٤٧). تاريخ الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٤١١/ ١٩٩٠.

٢٤ ـ ــــــ. تذكرة الحفّاظ. الطبعة الرابعة. بيروت: دار احياء التراث العربيّ، لا تاريخ. مجلدان، أربعة أجزاء.

٢٥ ـ ــــــ. سيَر أعلام النبلاء ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق: عمر عبد السلام. الطبعة الأُولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/ ١٩٩٤.

٢٦ ـ ــــــ. ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ حققه علي محمد البجاوي. الطبعة الأُولى. بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢/ ١٩٦٣. أربعة أجزاء.

٢٧ ـ الزبيدي، أبي الفيض السيد محمّد مرتضى الحسيني الحنفي (١٢٠٥/ ١٧٩٠). تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شير. الطبعة الثالثة. الكويت: وزارة الاعلام، ٢٠٠١. (سلسلة التراث العربيّ؛ ١٦).

٢٨ ـ الزمخشري، محمود بن عمر (٥٢٨/ ١١٣٣). أساس البلاغة. الطبعة الأُولى. بيروت: دار صادر، ١٣٨٥/ ١٩٦٥.

٢٩ ـ السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي (٧٧١/ ١٣٦٩). طبقات الشافعية الكبرى؛ حققه محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. لا طبعة. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣/ ١٩٦٤ ـ ١٣٩١/ ١٩٧١. ثمانية أجزاء.

٣٠ ـ ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠/ ٨٤٤). كتاب الطبقات الكبرى؛ عني بتصحيحه وطبعه إدوارد سَخَوْ. الطبعة الأُولى. ليدان: مطبعة بريل، ١٣٢٢/ ١٩٠٥ ـ ١٣٤٧/ ١٩٢٨. تسعة مجلدات، أربعة عشر جزءاً.

٣١ ـ السمعاني، (يوسف سمعان)، **المكتبة الشرقيّة الفاتيكانية الإقليمية** .لا طبعة [طبعة مصورة في ألمانيا]. روما: جمعية انتشار الإيمان، ١٩٧٣. ثلاثة مجلدات.

٣٢ ـ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التيميمي (٥٦٢/ ١١٦٦م). **الأنساب**؛ تحقيق عبد الله عمر البارودي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨/ ١٩٨٧.

٣٣ ـ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١/ ١٥٠٥). **الإتقان في علوم القرآن**. الطبعة الثانية (بهامشه إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني(. القاهرة: مكتبة محمود توفيق، ١٣٥٤/ ١٩٣٥. مجلد واحد، جزءان.

٣٤ ـ الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين بن محمّد بن إبراهيم (٤٣٦/ ١٠٤٤). **أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب**؛ صححه وضبط الفاظه علق على حواشيه محمّد بر الدين وأحمد بن الأمين. الطبعة الأولى. قم: مكتبة المرعشي النجفي، ١٩٨٣. أربعة أجزاء.

٣٥ ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (٥٤٨/ ١١٥٣). **كتاب الملل والنحل**؛ حققه محمد سيد الكيلاني. لا طبعة. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨١/ ١٩٦١. جزاءان.

٣٦ ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن (٧٦٤/ ١٣٦٢). **الوافي بالوفيّات**؛ تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى. الطبعة الأولى. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة، ٢٠٠٨/ ٢٠١٣. اثنان وثلاثون جزءاً. (النشرات الإسلاميّة؛ ٦/ج١، ٣٢).

٣٧ ـ الطبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (٣١٠/ ٩٢٢). **تاريخ الرسل والملوك**؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الرابعة

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩]. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤/ ١٩٨٣. ثمانية أجزاء.

٣٨ ـ ـــــــــ . **جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن**. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٤/ ١٩٥٤. خمسة عشر مجلداً، ثلاثون جزءاً.

٣٩ ـ الطوسي، أبو جعفر بن محمد بن الحسن (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م). **الفهرست**؛ حققه جواد الفيومي. الطبعة الثانية. طهران: مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٠ ـ العبريّ ابن، مار غريغوريوس يوحنا أبو الفرج (٦٨٥/ ١٢٨٦). **تاريخ الزمان**؛ قدم له جان موريس فييه. نقله من الفرنسيَّة إلى العربيّة اسحق أرملة. لاطبعة. بيروت: دار المشرق، ١٩٩١.

٤١ ـ ـــــــــ . **التاريخ الكنسيّ**؛ ترجمه من السريانية إلى العربية صليبا شمعون. الطبعة الأولى. دهوك: دار المشرق الثقافة، ٢٠١٢.جزءان.

٤٢ ـ ـــــــــ . **تاريخ مختصر الدول**؛ صححه أنطوان صالحاني اليسوعيّ. الطبعة الرابعة. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧. [سلسلة نصوص ودروس؛ المجموعة التاريخيّة].

٤٣ ـ العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (٢٦١هـ/ ٨٧٤م). **معرفة الثقات**؛ وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه عبد المعطي قلعجي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧.

٤٤ ـ ابن العديم، كمال الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن هبة الله (٦٦٠/ ١٢٦٢). **بغية الطلب في تاريخ حلب**؛ حققه وقدم له سهيل زكار. لا طبعة. دمشق: دار الفكر، ١٩٧٨. اثنا عشر مجلد.

٤٥ ـ ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (٥٧٠/ ١١٧٥). **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها الأماثل واجتاز بنواحيها من**

وارديها وأهلها؛ حققه صلاح الدين المنجد. لا طبعة. دمشق: مطبوعات المجمع العلميّ، ١٣٧٤/ ١٩٤٥. المجلد الثاني، القسم الأول.

٤٦ ـ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، (ت١٠٨٩هـ ـ / ١٦٧٩م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلميّة، لا تاريخ.

٤٧ ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ/ ٧٩١م). **العين**؛ حققه مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. الطبعة الثانية. ايران: دار الهجرة، ١٩٨٨. تسعة أجزاء.

٤٨ ـ أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمد (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م). **الاغاني**. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٤/ ١٩٨٣.

٤٩ ـ الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب (٨١٧هـ/ ١٤١٤م). **القاموس المحيط**. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧١/ ١٩٥٢. مجلد واحد، أربعة أجزاء.

٥٠ ـ ابن قاضي شهبة، أبو بكر احمد بن محمد (٨٥١هـ/١٤٤٧م). **طبقات الشافعية**؛ حققه عبد الله بن أنس الطباع. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧/ ١٩٨٦.

٥١ ـ القفطي، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف (٦٤٦هـ/١٢٤٨م). **إنباه الرواة على أنباء النحاة**؛ حققه محمّد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٠/ ١٩٥٠ ـ ١٣٧٥/ ١٩٥٥. ثلاثة أجزاء.

٥٢ ـ القلقشندي، ابن أبي العباس أحمد (٨٢١هـ/١٤١٨م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**؛ شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمّد حسين شمس الدين. الطبعة العاشرة. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٧.

٥٣ ـ القيصري (أوسابيوس). تاريخ الكنيسة؛ ترجمه مرقس داوود. لا طبعة. القاهرة: دار الكرنك، ١٩٦٠.

٥٤ ـ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). زاد المعاد في هدى خير العباد؛حققه شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط. الطبعة الرابعة عشر. بيروت: مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، ١٩٨٦.

٥٥ ـ كثير ابن، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤/ ١٣٧٢). البداية والنهاية؛ حققه أحمد أبو ملحم وآخرون. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤١٧/ ١٩٩٧. سبعة مجلدات، أربعة عشر جزءاً.

٥٦ ـ ــــــــ. السيرة النبوية: من البداية إلى النهاية؛ حققه مصطفى عبد الواحد. الطبعة الأولى. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥/ ١١٧٦. مجلدان.

٥٧ ـ المرجي، توما بن يعقوب (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). كتاب الرؤساء؛ نقله من السريانيّة إلى العربيّة ووضع حواشيه البير أبونا. الطبعة الثانية. بغداد: ديانا، ١٤١١/ ١٩٩٠.

٥٨ ـ المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). التنبيه والإشراف؛ تحقيق لجنة تحقيق التراث. لا طبعة. بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٥٩ ـ ــــــــ. مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ حققه سعيد محمد اللحام. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١/ ٢٠٠٠. ثلاثة أجزاء.

٦٠ ـ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم؛ حققه سيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣. سبعة أجزاء، ستة مجلدات.

٦١ ـ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م).

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١/ ١٩٩١.

٦٢ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (٧١١/ ١٣١١). **لسان العرب**. لا طبعة. بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٥/ ١٩٥٥ ـ ١٣٧٦/ ١٩٥٦. خمسة عشر مجلداً.

٦٣ ـ ميخائيل السريانيّ، الكبير (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م). **تاريخ ميخائيل الكبير**؛ أعدَّه وقدَّم له يوحنا إبراهيم، ترجمه صليبا شمعون. الطبعة الأولى. حلب: التراث السريانيّ، ١٩٩٦. ثلاثة أجزاء.

٦٤ ـ ابن النَّديم، أبو الفرج بن إسحاق بن يعقوب (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م). **الفهرست**. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة الاستقامة، لا تاريخ.

٦٥ ـ أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م). **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**؛ حققه سعيد بن سعد الدين خليل الإسكندراني. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. عشرة أجزاء.

٦٦ ـ الواقديّ، أبو عبد الله محمد بن عمر (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م). **كتاب المغازي**؛ حققه مارسدن جونس. الطبعة الثالثة. بيروت: منشورات الأعلمي، ١٤٠٩/ ١٩٨٩.

٦٧ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). **معجم البلدان**. الطبعة الأولى. بيروت: دار صادر، ١٣٧٥/ ١٩٥٥. خمسة مجلدات.

٦٨ ـ ـــــــ . **معجم ألادباء: إرْشاد الأريب إلى معرفة الأديب**؛ حققه إحسان عباس. الطبعة الأولى. بيروت: دار الغربي الإسلامي، ١٤١٤/ ١٩٩٣. سبعة أجزاء.

٦٩ ـ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م). **تاريخ اليعقوبي**؛ قدَّم له وعلَّق عليه خليل المنصور. الطبعة الأولى. إيران: دار الاعتصام، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

ثالثاً: المراجع العربيّة:

١ ـ أبونا (ألبير). آداب اللُّغة الآراميَّة. الطبعة الثانية (منقحة ومزيد عليها(. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٦.

٢ ـ ______ . تاريخ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة: من انتشار المسيحيّة حتى مجيء الإسلام. الطبعة الرابعة. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٩. ثلاثة أجزاء.

٣ ـ أحمد (عبد القادر). الامبراطورية البيزنطية. الطبعة الأُولى. بيروت: دار المكتبة العصرية، ١٩٤٨.

٤ ـ إسكندر (فايز نجيب). أرمينيَّة بين البيزنطيّين والخلفاء الراشديّن. الطبعة الأُولى. بيروت: دار الحكمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥ ـ ألارو (عبد الرزاق المجيد). مصادر النصرانيَّة: دراسة ونقداً؛ قدَّم له أحمد عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن. الطبعة الأُولى. الرياض: دار التوحيد، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧. جزءين. (سلسة الرسائل الجامعية؛ ٦).

٦ ـ أمين (أحمد). ضحى الإسلام. الطبعة العاشرة. بيروت ـ القاهرة: دار الكتاب العربيّ ـ مكتبة النهضة المصرية، ١٣٥٢/ ١٩٣٣ ـ ١٣٥٥/ ١٩٣٦. ثلاثة أجزاء.

٧ ـ أنور (ماجدة محمد). المدارس الفكرية السريانيّة في المشرق الأدنى القديم. الطبعة الأُولى. القاهرة: إيتراك، ٢٠٠٩.

٨ ـ أيوب (إبراهيم). التاريخ العباسيّ السياسيّ والحضاريّ. الطبعة الأُولى. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٠/ ١٩٨٩.

٩ ـ برصوم (إفرام الأول). اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانيّة. الطبعة الثالثة. بغداد: مجمع اللُّغة السريانيّة، ١٩٧٦.

١٠ ـ البستاني (بطرس). دائرة المعارف؛ حققه ناصر خسرو باسار مجيدي. لا طبعة. طهران: دار المعرفة، لا تاريخ.

١١ ـ ترحيني (محمد احمد). **المؤرخون والتاريخ عند العرب**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلميّة، لاتاريخ.

١٢ ـ حبي (يوسف). **التواريخ السريانيّة**. الطبعة الأولى. بغداد: المجمع العلميّ العراقي، ١٩٨٢.

١٣ ـ حراق (أمير). **التورايخ السريانية مصادر أولية لتاريخ الشرق الأوسط**. الطبعة الأولى. أربيل: المدريرية العامة للثقافة والفنون السريانية. ٢٠١١.

١٤ ـ حسن (حسن إبراهيم). **تاريخ الإسلام السياسيّ والديني والثقافيّ والاجتماعي**. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، لا تاريخ.

١٥ ـ الحوفي (أحمد محمد). **الطبريّ**. الطبعة الأولى. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٣.

١٦ ـ خربطلي (شكران). **دور السريان في نقل أخبار العرب قبل الإسلام** .الطبعة الأولى. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣.

١٧ ـ خياطة (نهاد). **الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**. الطبعة الأولى. دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٤.

١٨ ـ الدوري (عبد العزيز). **العصر العباسيّ الأوّل**: دراسة في التاريخ السياسيّ والإداريّ والمالي. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

١٩ ـ ـــــــ . **النظُم الإسلاميّة**. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٨.

٢٠ ـ ـــــــ . **دراسات في العصور العباسيّة المتأخرة**. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٧.

٢١ ـ ـــــــ . **نشأة علم التاريخ عند العرب**. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

٢٢ ـ الربيعي (جاسم صكبان علي). «التاريخ العربيّ والإسلاميّ من خلال المصادر

السريانيّة». مجلة عالم الفكر. المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤، ص٦٨٧ ـ ٦٩٨.

٢٣ ـ رستم (أسد). كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى. لا طبعة. بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، ١٤٠٩/١٩٨٨. ثلاثة اجزاء.

٢٤ ـ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمّد بن عليّ بن فارس (١٣٩٦/ ١٩٧٦). الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. الطبعة السابعة عشر. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٨. ثمانية أجزاء.

٢٥ ـ زغلول (الشحات السيد). السريان والحضارة الإسلاميّة. الطبعة الأولى. الإسكندريَّة: الهيئة الوطنية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

٢٦ ـ زغوت (فتحي). النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي. الطبعة الأولى. بغداد: مطبعة الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

٢٧ ـ زكار (سهيل). الموسوعة الشاميَّة في تاريخ الحروب الصليبيَّة. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣/ ١٩٩٥. عشرون جزءاً.

٢٨ ـ زيات (حبيب نقولا). الديارات النصرانيَّة في الإسلام. الطبعة الثالثة. بيروت: دار المشرق، ١٤٢٠/١٩٩٩.

٢٩ ـ سالم (عبد العزيز). التاريخ والمؤرخون العرب. الطبعة الأولى. بيروت: دار النضة العربية، ١٩٩٣.

٣٠ ـ سجنيني (عصام). مقاتل المسيحيين نجران والقدس: وصفحات أخرى من التنكيل اليهودي بهم؛ تقديم رفعت بدر. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٣.

٣١ ـ شبارو (عصام). الدولة العربية الإسلامية الأولى. الطبعة الثالثة. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٥م.

٣٢ ـ شبارو . **السلاطين في المشرق العربي: السلاجقة ـ الأيوبيون**. الطبعة الأولى. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.

٣٣ ـ الشبل (عليّ بن عبد العزيز بن علي). **إمام المفسرين والمحدثين والمؤرّخين أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ: سيرته وعقيدته ومؤلفاته**. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

٣٤ ـ الشرهاني (حسين علي). **أضواء علي السيرة النبويّة: دراسة في حياة النبي محمد**. الطبعة الأولى. دمشق: دار تموز، ١٠١٣.

٣٥ ـ شلبي (متولي يوسف). **أضواء على المسيحيّة: دراسة في أصول المسيحيّة**. الطبعة الأولى. الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٨/ ١٩٦٦.

٣٦ ـ الشنشتاوي (أحمد)، وآخرين. **دائرة المعارف الإسلاميّة**؛ إشراف الشنشتاوي وعبد الحميد يونس. الطبعة الأولى. القاهرة: وزارة المعارف، لا تاريخ.

٣٧ ـ شوريز (الفونس جميل). **الكنيسة الكلدانيَّة في التاريخ**. الطبعة الأولى. الموصل: المطبعة الكلدانيَّة، ١٩٦٧.

٣٨ ـ شيخو (لويس اليسوعيّ). **النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهلية**. الطبعة الثالثة. بيروت: دار المشرق الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩.

٣٩ ـ صليبا (جميل). **المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربيّة، والفرنسيَّة، والانكليزية، واللاتينيَّة**. لا طبعة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣/ ١٩٨٢.

٤٠ ـ طرازي (فيليب دي). **عصر السريان الذهبيّ**؛ قدم له جوزيف شابو. الطبعة الثالثة. حلب: مكتبة العائلة، ١٩٩١.

٤١ ـ عاشور (سعيد عبد الفتاح). **الحركة الصليبيَّة: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى**. الطبعة التاسعة. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ٢٠١٠.

٤٢ ـ العاني (سامي مكي). الإسلام والشعر. الطبعة الأُولى. الكويت: مطبعة الرسالة، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

٤٣ ـ عبد الحميد (صائب). تاريخ الإسلام الثقافيّ والسياسيّ: مسار الإسلام بعد الرسول ونشاة المذاهب. الطبعة الثانية. قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

٤٤ ـ عبده (سمير). السوريون والحضارة السريانيّة. الطبعة الأُولى. دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٨.

٤٥ ـ العزاوي (عبد الرحمن حسين علي). دراسة أبي إسحاق إبراهيم بن الصابئ مؤرّخاً. الطبعة الأُولى. بغداد: دار الأندلس، ١٩٩٠.

٤٦ ـ ـــــــــ . المسعوديّ مؤرخا. الطبعة الأُولى. بغداد: منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.

٤٧ ـ العسكريّ (مرتضى). خمسون ومائة صحابيّ مختلق. الطبعة السابعة. قم: منشورات كلية أصول الدين، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

٤٨ ـ عطية (حسين محمد). امارة انطاكية الصليبية والمسلمون: ١١٧١/ ١٢٦٨. الطبعة الأُولى. القاهرة: دار المعرفة الجامعية. ١٩٨٨.

٤٩ ـ علي (جواد). المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام .الطبعة الثانية. بغداد: منشورات الشريف الرضي، ١٩٩٣. عشرة أجزاء.

٥٠ ـ ـــــــــ . موارد تاريخ الطبريّ؛ قدم له محمد حامل السلميّ. الطبعة الأُولى. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٣/ ٢٠١٢. (كتاب العربيّة؛ ٤٢).

٥١ ـ العلي، أحمد صالح. دولة النبي محمد في المدينة: دراسة في تكوينها وتنظيمها.الطبعة الأُولى. بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠٠٩.

٥٢ ـ عيتاني (حسام). الفتوحات العربيّة في روايات المغلوبين. الطبعة الأُولى. بيروت ـ لندن: دار الساقي، ٢٠١٠.

٥٣ ـ الغفار (عبد الله الرسول عبد الحسين). **الكليني والكافي**. الطبعة الأولى. قم: مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٦/ ١٩٩٥.

٥٤ ـ فارس (فايز). **حقائق اساسية في الايمان المسيحي**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٩.

٥٥ ـ فييه (جان موريس). «الفكر التاريخيّ عند السريان»، **الفكر العربيّ**. السنة العاشرة، العدد ٥٨، بيروت، ص٣٩ ـ ٤٧.

٥٦ ـ قاشا (سهيل). **أحوال النصارى في خلافة بني أميَّة**. الطبعة الأولى. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤.

٥٧ ـ قزما (يوسف). **عيسى ومريم في القرآن والتفاسير**. الطبعة الأولى. عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينيّة، ١٩٩٦. جزءان.

٥٨ ـ قنواتي (جورج شحاته). **المسيحيّة والحضارة العربيّة**. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لا.ت.

٥٩ ـ القيسي (نوري حمودي). **الشعر والتاريخ**. الطبعة الأولى. بغداد: دار الحرية، ١٤٠١/ ١٩٨٠.

٦٠ ـ كامل (مراد)، البكري (محمد حمدي)، رشدي (زاكية محمد). **تاريخ الأدب السريانيّ من نشأته إلى العصر الحاضر**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٤.

٦١ ـ الكعبي (نصير). **الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام: دراسة ومراجعة**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجمل، ٢٠١١. جزءان.

٦٢ ـ كيرلس (سليم)، حنا (الفاخوري)، جوزيف (العبسي البوليسي). **تاريخ الفكر المسيحيّ عند آباء الكنيسة** .الطبعة الأولى. بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، ١٤٢٢/ ٢٠٠١.

٦٣ ـ ماجد (عبد المنعم). **مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٧١.

٦٤ ـ محجوب (صلاح عبد العزيز). «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية». مجلة سيمثا. المجلد السادس، العدد واحد وعشرين، دهوك، ٢٠١٠.

٦٥ ـ المخلصي (منصور). شهداء الفرس. الطبعة الأولى. دهوك: دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢.

٦٦ ـ مخول (موسى). الحضارة السريانيّة حضارة عالمية. الطبعة الأولى. بيروت: بيسان، ٢٠١٠.

٦٧ ـ مصطفى (شاكر). التاريخ العربيّ والمؤرّخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩/١٩٧٨. أربعة أجزاء.

٦٨ ـ الميداني (محمود عصام). الأطلس التاريخي .لا طبعة. دمشق: دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، لا تاريخ.

٦٩ ـ ناجي (عبد الجبار). نقد الرواية التاريخيّة: عصر الرسالة أنموذجاً. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجمل، ٢٠١١.

رابعاً: المراجع المعربة:

١ ـ بروكلمان (كارل). تاريخ الأدب العربيّ؛ ترجمه عبد الحليم النجار ورفاقه. لا طبعة. القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٩/ ١٩٥٩ ـ ١٣٩٥/ ١٩٧٥. خمسة أجزاء.

٢ ـ بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا. العرب على حدود بيزنطة وإيران: من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي؛ ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم. الطبعة الأولى. الكويت: مطبعة قسم التراث العربي، ١٩٨٥.

٣ ـ جب (هاملتون). علم التاريخ؛ ترجمه من الانكليزية إلى العربيّة ابراهيم خورشيد. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢/ ١٩٨١.

٤ ـ ـــــــــ . دراسات في حضارة الإسلام؛ ترجمه إحسان عباس ورفاقه. الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.

٥ ـ دوسلييه (آلان). مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط؛ ترجمه رشا الصباغ ورندة بعث. الطبعة الأولى. بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤.

٦ ـ دوڤال (روبنس). تاريخ الأدب السريانيّ؛ نقله من الانكليزية إلى العربيّة لويس قصاب. الطبعة الأولى. بغداد: منشورات مطرانية السريان الكاثوليك، ١٩٩٢.

٧ ـ رايت (وليم). الوجيز في تاريخ الأدب السريانيّ؛ نقله من الانكليزية إلى العربيّة يوسف متي اسحاق. الطبعة الثانية. دهوك: دار المشرق الثقافيّة، ٢٠١٢.

٨ ـ زورنتال (رانز). علم التاريخ عند المسلمين؛ ترجمه صالح أحمد العلي. الطبعة الأولى. بغداد: مكتبة المثنى، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٩ ـ سزكين (فؤاد). تاريخ التراث العربيّ؛ ترجمه فهمي أبو الفضل. الطبعة الثانية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٨/١٩٧٧. جزءان.

١٠ ـ عطية، (عزيز سوريال) (١٨٩٨/١٩٨٨). تاريخ المسيحيّة الشرقيّة؛ ترجمة إسحاق عبيد. الطبعة الأولى. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥.

١١ ـ عيسى (إفرام يوسف). الحملات الصليبيَّة كما يرويها السريان؛ ترجمه فخري العباسيّ. الطبعة الأولى. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠١.

١٢ ـ ـــــــ . صلاح الدين وملحمة الأيوبيين في المدونات التاريخ السريانيّ؛ ترجمه فخري العباسيّ. الطبعة الأولى. بيروت: دار الطليعة، ٢٠١٣.

١٣ ـ فلهاوزن (يوليوس). تاريخ الدَّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدَّولة الأمويّة؛ راجعه حسين مؤنس. ترجمه محمّد عبد الهادي أبو ريدة. الطبعة الثانية. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٨/١٩٦٨.

١٤ ـ فييه (جان موريس). أحوال النصارى في خلافة بني العباس؛ ترجمه حسني رنيه. الطبعة الأولى. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠.

١٥ ـ كيغي (ولتر أميل)، بيزنطة والفتوحات الإسلاميّة المبكرة؛ ترجمه نقولا زيادة. الطبعة الأولى. دمشق: مرقس، ٢٠٠٢.

١٦ ـ ليفسكايا (بيغو نينا). **ثقافة السريان في العصور الوسطى**. الطبعة الأُولى. دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٠.

١٧ ـ متز (آدم). **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجريّ أو عصر النهضة في الإسلام**؛ ترجمه محمّد عبد الهادي أبو ريدة. الطبعة الرابعة. القاهرة، بيروت: مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربيّ، ١٣٨٧/١٩٦٧. جزءان.

١٨ ـ مرغوليوث (ديفيد صموئيل). **دراسات عن المؤرّخين العرب**؛ ترجمه حسين نصار. الطبعة الأُولى. القاهرة: المكتبة الإسلاميّة، ٢٠٠١.

١٩ ـ **معجم اللاهوت الكتابي**؛ ترجمه أنطونيوس نجيب وآخرون. الطبعة السادسة. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٨.

٢٠ ـ **موسوعة الأديان الميسرة**؛ نقلها من الانكليزية إلى العربيّة سهيل زكار. الطبعة الرابعة [منقحة ومزيدة]. بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٧.

٢١ ـ هرنشو (ف.ج.س). **علم التاريخ**؛ ترجمه من الانكليزية إلى العربيّة عبد الحميد العبادي. الطبعة الأُولى. القاهرة: لجنة التاليف والترجمة، ١٣٥٦/ ١٩٣٧.

٢٢ ـ هيل (جوناثان). **تاريخ الفكر المسيحيّ**؛ ترجمه سليم اسكندر ومايكل رأفت. الطبعة الأُولى. القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠١٢.

خامساً: الرسائل والأطاريح:

١ ـ إسحاق (يوسف متي). **دراسات في تاريخيّ أبي الفرج الملطي المعروف بابن العبريّ: تاريخ الازمنة السريانيّ ومختصر تاريخ الدول العربيّ**. ٢١٠ صفحة (غير مستنسخة).
أطروحة دكتوراه: التاريخ: الجامعة الأمريكية، دائرة الأدب العربيّ ولغات الشرق الأوسط، بيروت: ١٩٧٣.

٢ ـ الربيعي (جاسم صكبان علي). **نصارى العراق في العصر الأمويّ** (٤٠ -

١٣٢هـ/ ٦٦٠م - ٧٥٠م). ٢٧٣ صفحة (غير مستنسخة).
رسالة ماجستير: التاريخ: جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، بغداد: ١٩٧٤.

٣ - رشدي (زاكية محمد). **ميخائيل السرياني الكبير وتاريخه لعصر صدر الإسلام والعصر الأمويّ.** ١٩٩ صفحة (غير مستنسخة).
أطروحة دكتوراه: التاريخ: جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقيّة، القاهرة: ١٩٦١.

٤ - زرازير (فادي). **السريان في لبنان من المجمع الخلقيدوني حتى عصرنا الحاضر.** ٢١٣ صفحة (غير مستنسخة).
أطروحة دكتوراه: التاريخ: جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقيَّة، بيروت: ١٩٨٥.

٥ - العزاوي (عبد الرحمن حسين علي). **الطبريّ ومنهجه في التاريخ.** ٣١٤ صفحة (مستنسخة).
أطروحة دكتوراه: التاريخ: جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، بغداد: ١٩٨٦.

٦ - العزاوي (عبد الرحمن حسين علي). **منهج التاريخيّ عند المؤرّخين العراقيين في العصر العباسيّ الثالث ٣٣٤/ ٤٤٧هـ.** ٢٥٢صفحة (مستنسخة).
رسالة ماجستير: التاريخ: جامعة القاهرة، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ الإسلاميّ، القاهرة: ١٩٧٩.

٧ - عبد الحميد (عبد المجيد عبد الحميد). **مخطوطة تاريخ ميخائيل السرياني الكبير من ميلاد المسيح إلى انقسام الامبراطورية الرومانية: دراسة وترجمة.** ٢٨٧ صحفة (غير مستنخسة).
رسالة ماجستير: التاريخ: جامعة اسيوط، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، اسيوط: ١٩٩٣.

٨ ـ علي (وصال). دور السريان الفكريّ والثقافيّ في العصرين الأمويّ والعباس من ٥٣هـ/ ٦٦١م حتى ٦٥٠هـ/١٢٥٨ .١٧٩ صحفة (غير مستنسخة).
رسالة ماجستير: التاريخ: جامعة الكسليك، كلية الآداب، معهد التاريخ، بيروت: ١٠١٢.

سادساً: المراجع الأجنبية:

1 - Adler, William. ***Time Immemorial: Archaic History and Its Sources in Christian Chronography from Julius Africanus to George Syncellus.*** Dumbarton Oaks, 1989.

2 - Courbag, Youssef And Fargues, Philippe. Religious Pluralism: ***Christians and Jews under Islam.*** Digest of Middle East Studies, Volume 7, Issue 2, Spring 1998.

3 - El - Ali, Saleh. ***Muslim Estates In Hidjaz In The First Century*** . Journal of the Economic and Social History of the Orient, Volume 2, Issue 3, 1959.

4 - Hoyland, Robert. ***Seeing Islam As Others Saw it***, Darwin Press, United States, 1997.

5 - Johnston, James Howard. ***Witnesses to a World Crisis***, Historians and Histories of the Middle East in the Seventh Century, in Hugoye: The Journal of Syriac Studies, Summer, 2013.

6 - Palmer, Andrew. ***The Seventh Century In The West - Syrian Chronicles,*** Liverpool University Press, Jan 1, 1993.

7 - Robinson, Chase. ***Historiography***, Cambridge University Press, 2003.

8 - Tullberg, Dionysii Telmehararensis Chronici, liber primus, Upsal.

9 - Wigram, W.A. ***Introduction to the History of the*** **Assyrian Church,** London, 1910.

10 - William Wright. ***Short History Of Syriac Literature***, Folcroft Library Editions, 1978.

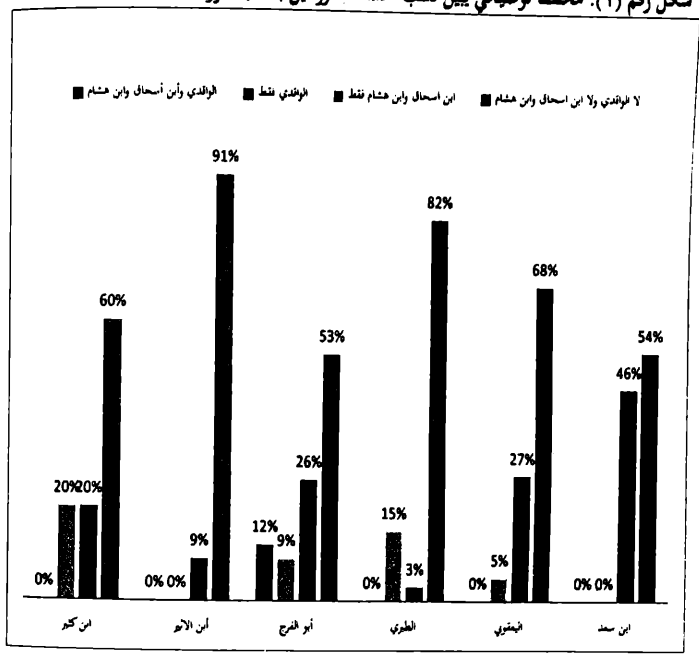
الملاحق

ملحق رقم (١)

جدول رقم (١): جدول توضيحي يبيّن كثافة وقِدَم وأهميّة التواريخ السريانيّة مقارنة بالتواريخ اليونانية والعربية الإسلاميّة

تواريخ	سريانية	يونانية	عربية مسيحية	عربية إسلامية
القرن الخامس	تاريخ بيت سلوخ	-	-	
القرن السادس	تاريخ الرها	يوحنا مالالاس	-	
	يشوع العمودي	بروكوفيوس	-	
	زكريا البليغ	-	-	
	يوحنا الأفسسي	-	-	
	تاريخ أربيل	-	-	
القرنالسابع	يوحنا برفنكايي	خرونيقون باسكالي	-	
	تاريخ ٧١٤	يوحنا نيقيو	-	
	تاريخ خوزستان	ثيوفانيس	-	
	يعقوب الرُّهاوي	-	-	
	التاريخ الملكي	-	-	
	التاريخ الماروني	-	-	
القرن الثامن	تاريخ زوقنين	جورج سانكلوس	-	
	مقتطفات تاريخية	-	-	
	مختصر ٧٢٤	-	-	
	مختصر ٧٧٥	-	-	
القرن التاسع	ديونوسيوس تلمحري	جورج ماناخوس	-	
	تاريخ ٨١٣	-	-	
	تاريخ ٨١٩	-	-	
	تاريخ ٨٤٦	-	-	
القرن العاشر	-	تكملة ثيوفانيس	اغابيوس المنبجي	تاريخ الطبريّ
	-	-		البلاذريّ: فتوح البلدان
	-	-		المسعوديّ: مروج الذهب
	-	-		حمزة الأصفهاني: تواريخ
القرن الحادي عشر	-	-	ايليا برشينايا	-
	-	-	تاريخ سعرد	مسكويه: تجارب الأمم
القرن الثاني عشر	ميخاليل الكبير	-	-	-
القرن الثالث عشر	تاريخ ١٢٣٤	-		ابن الأثير: الكامل
	ابن العبري	-	-	-

شكل رقم (١): مخطط توضيحي يبين نسب اعتماد المؤرخين بالنسبة للرواة



جدول رقم (٢)

يبين نسب اعتماد المؤرخين بالنسبة للرواة

المؤلف	الواقديّ وأبن أسحاق وابن هشام	الواقديّ فقط	ابن اسحاق وابن هشام فقط	لا الواقديّ ولا ابن اسحاق وابن هشام
ابن سعد	%٥٤	%٤٦	%٠	%٠
اليعقوبي	%٦٨	%٢٧	%٥	%٠
الطبريّ	%٨٢	%٣	%١٥	%٠
أبو الفرج	%٥٣	%٢٦	%٩	%١٢
أبن الأثير	%٩١	%٩	%٠	%٠
ابن كثير	%٦٠	%٢٠	%٢٠	%٠

شكل رقم (٢)

التدوين التاريخيّ عند العرب

[illegible] الشخصي الاول

- ماكان يجمعه بعض الاشخاص من طبقة الصحابة وكان جامعا للحديث والتفسير والسيرة.

المرحلة الثانية:

- بدات ايام خلافة الإمام عليّ وكتابة جزء من الاحداث والخطب

المرحلة الثالثة

- ظهور مدونات التاريخيّة المتكاملة، الّتي تتابعت فيها الاخبار، وانتظمت لتقدم عرضا شاملا للمرحلة الّتي يؤرخ لها.

مرحلة الرابعة

- ظهور توحيد التاريخ الاسلامي وترتيبه حسب السنين في عرض متسلسل منظم (منهج الحولي). وكتابة تاريخ البشرية كلها، من تاريخ الانبياء والقوامهم، وتاريخ الحضارات الكبرى القريبة من المجتمع الاسلامي.

المرحلة الأولى

- سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي.
- سهل بن ابي خيثمة الانصاري

المرحلة الثانية

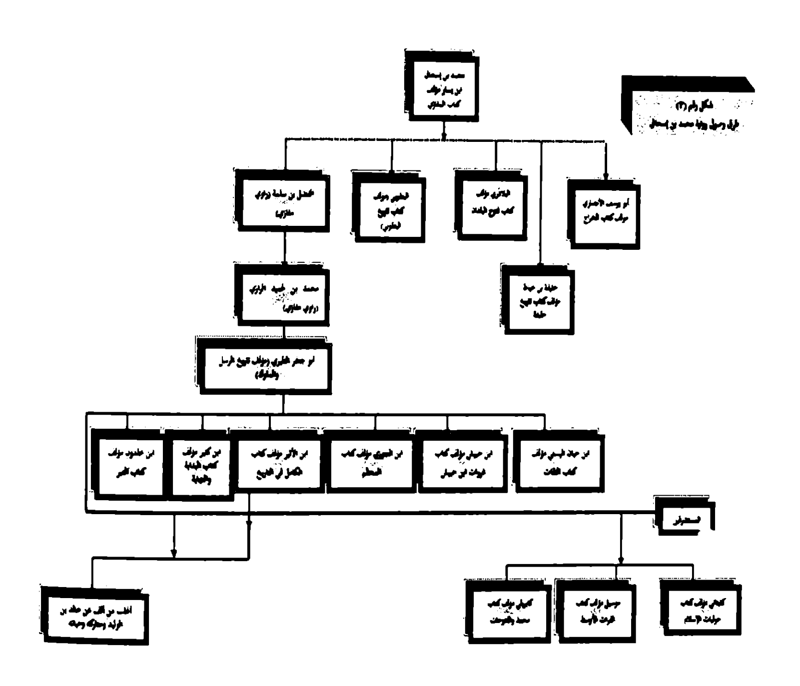
- عبد الله بن ابي رافع
- عروة بن الزبير بن العوام 93
- ابو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري
- ابان بن عثمان بن عفان105
- عاصم بن عمرو بن قتادة الانصاري 120
- شرحبيل ابن بن سعد 123
- ابن شهاب الزهري 124

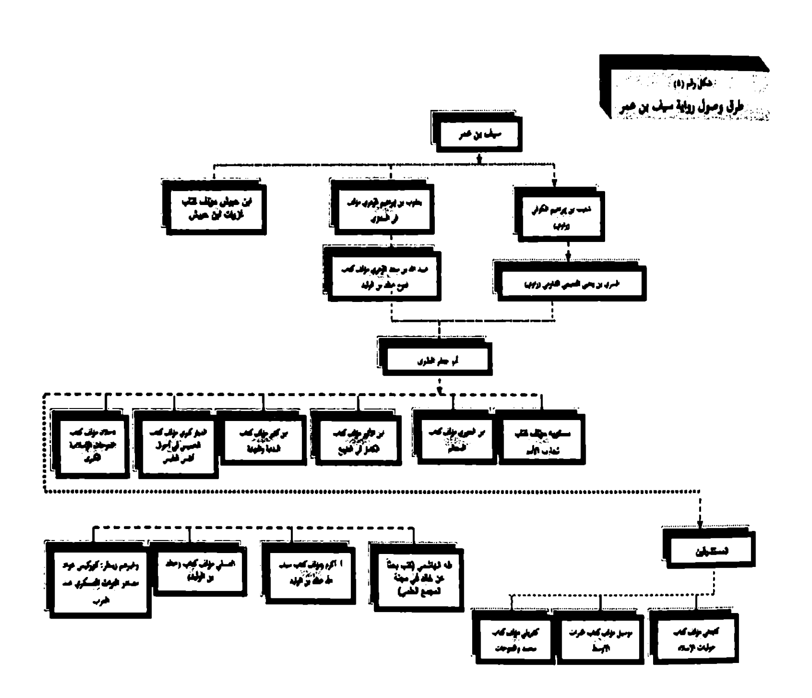
المرحلة الثالثة

- محمد بن اسحاق 151
- ابو مخنف لوط بن يحيى 157
- ابان بن عثمان البجلي
- سيف بن عمر التميمي 170
- هشام بن محمد بن السائب الكلبي 204
- الهيثم بن عدي207
- محمد بن عمر الواقدي
- ابو عبيدة معمر بن المثنى211
- نصر بن مزاحم المنقري211
- المدائني، عليّ بن محمد بن عبد الله 225.
- الزبير بن بكار 256
- ابن قتيبة الدينوري 276
- احمد بن يحيى البلاذري 279

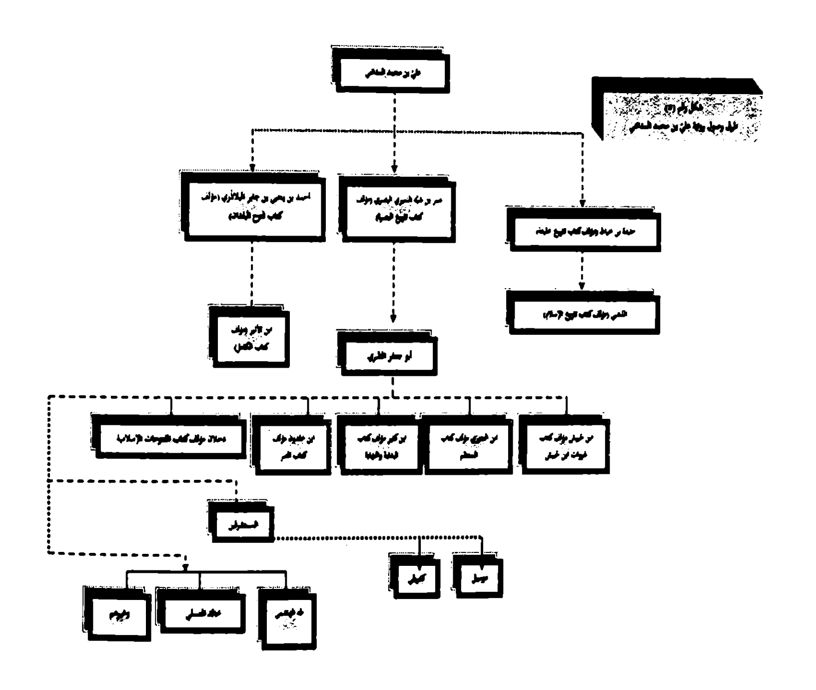
المرحلة الرابعة

- ابو حنيفة الدينوري 281
- اليعقوبي 294
- الطبري 310
- المسعودي





شكل رقم (٥)
طرق وصول رواية سيف بن عمر
سيف بن عمر
ابن حبيش مؤلف كتاب غزوات ابن حبيش
أبو جعفر الطبري


شكل رقم
طرق وصول رواية علي بن محمد المدائني
علي بن محمد المدائني
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (مؤلف كتاب فتوح البلدان)
عمر بن شبة النميري البصري ومؤلف كتاب تاريخ البصرة
خليفة بن خياط ومؤلف كتاب تاريخ خليفة
الذهبي (مؤلف كتاب تاريخ الإسلام)
ابن الأثير ومؤلف كتاب الكامل
أبو جعفر الطبري
ابن الجوزي مؤلف كتاب المنتظم
ابن كثير مؤلف كتاب البداية والنهاية
ابن خلدون مؤلف كتاب العبر
دحلان مؤلف كتاب الفتوحات الإسلامية
المستشرقين

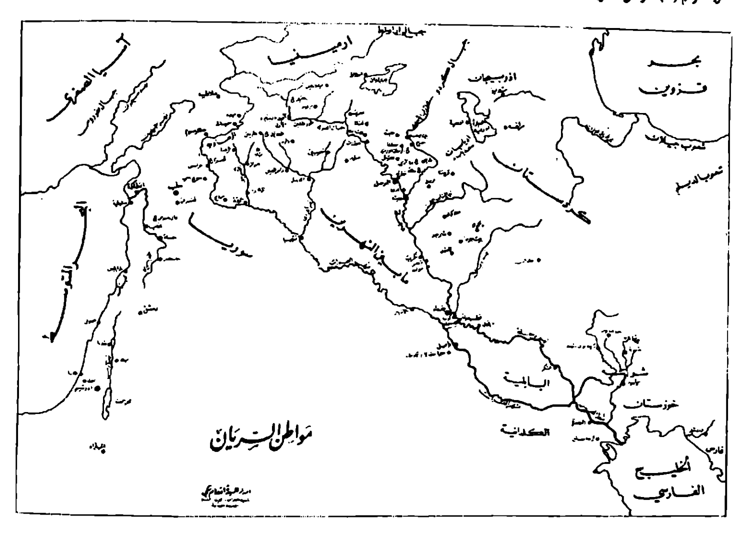
جدول رقم (٣) جدول توضيحي يبيّن الفتوحات الإسلامية حسب روايات ميخائيل الكبير والطبري

البلد	القائد العربي	التاريخ الهجرى والميلادى
بلاد الشام (مؤتة)	زيد بن حارثة	٨هـ/٦٢٩م
اليمامة	خالد بن الوليد	١٢هـ/٦٣٣م
بلاد الروم (فلسطين)	(عمرو بن العاص)	١٣هـ/٦٣٤م
دمشق	(يزيد بن أبي سفيان)	١٤هـ/٦٣٥م
اليرموك	خالد بن الوليد	١٥هـ/٦٣٦م
القادسية	سعد بن أبي وقاص	١٦هـ/٦٣٧م
بيت المقدس وسروج والرها	عمر بن الخطاب	١٧هـ/٦٣٧م
الرقة راس العين	عياض بن غنم وعمير بن سعيد	١٨هـ/٦٣٨م
قيسارية ونصيبين وطور عابدين	معاوية بن أبي سفيان وعياض بن غنم	١٩هـ/٦٣٩م
الإسكندرية ومصر	عمرو بن العاص	٢٠هـ/٦٤٠م
برقة	عمرو بن العاص	٢١هـ/٦٤١م
الاهواز وآذربيجان	أبو موسى الأشعرى والمغيرة بن شعبة	٢٢هـ/٦٤٢م
اصطخر وهمذان واصبهان	عثمان بن العاص وأبو موسى الأشعرى	٢٣هـ/٦٤٣م
همذان والرى	المغيرة بن شعبة	٢٤هـ/٦٤٤م
سابور	عثمان بن أبي العاص	٢٦هـ/٦٤٧م
افريقيا	عبد الله بن سعد	٢٧هـ/٦٤٨م
فارس وقبرس	هشام بن عامر ومعاوية بن أبي سفيان	٢٨هـ/٦٤٨م
طبرستان وفار	سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر	٣٠هـ/٦٤٩م
هراة ومرو سرخس	أحنف بن قيس وعبد الله بن حازم	٣٢هـ/٦٥١م

نلاحظ أنّ المعلومات الواردة في المصادر السريانيّة عن الفتوح الإسلامية معلومات دقيقة، فيما عدا بعض أسماء القادة الذين أغفلتهم تلك المصادر وقد وضعناها في ترتيبها وسياقها التاريخي بين قوسين.

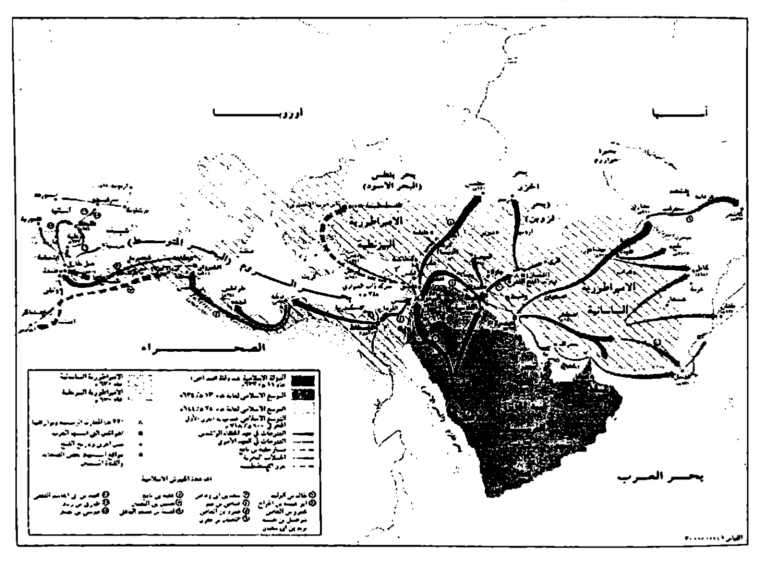
ملحق رقم (٢): الخرائط

خريطة رقم (١): مواطن السريان



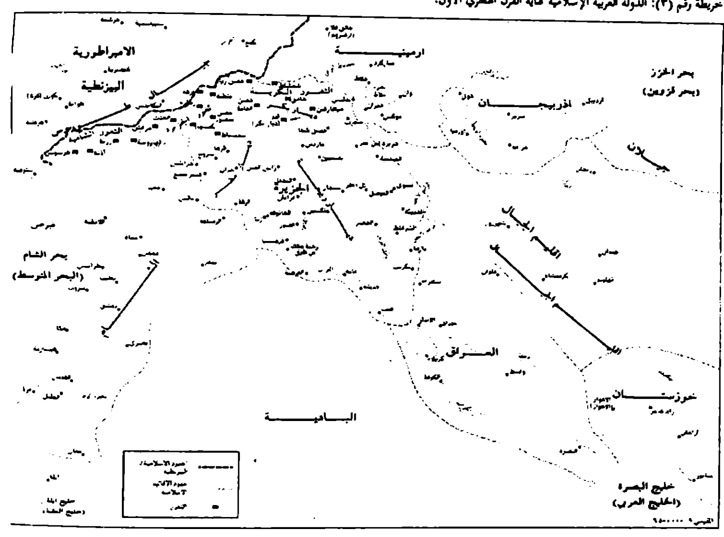
إعداد: الدكتورة إنعام الشامي، شعبة الجغرافيا – كلية التربية، الجامعة اللبنانية

خريطة رقم (٢): الفتوحات الإسلامية في القرن الهجري الأول



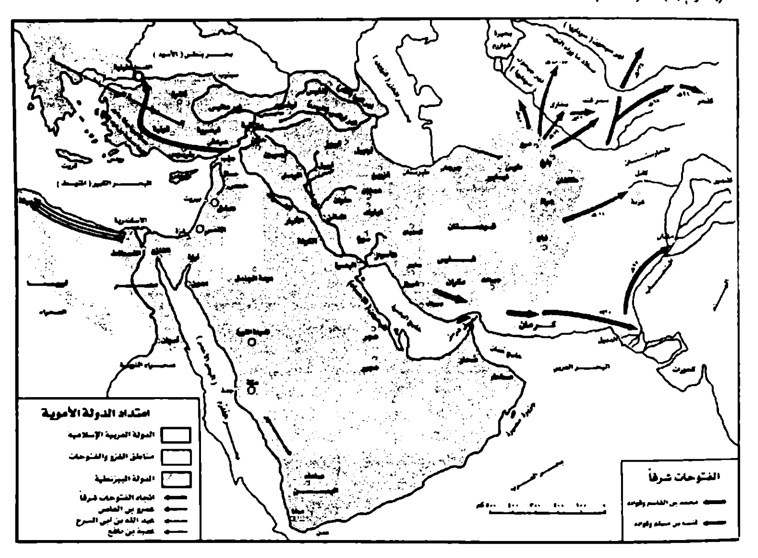
الميداني، الأطلس التاريخي، ص٧٤.

خريطة رقم (٣): الدولة العربية الإسلامية نهاية القرن الهجري الأول.



الميداني، الأطلس التاريخي، ص٧٤.

خريطة رقم (٤): الفتوحات شرقاً



الميداني، الأطلس التاريخي، ص٨٣.

فهرست المحتويات





التاريخ هو صاحب الدور الأساس في جميع العلوم الإنسانية. والمجتمعات البشرية بدورها أصبحت تتمايز على أساس كمّ، ونوع، الثقافات المتراكمة. من هنا، جاء دور الحضارة السريانية التي كانت دائما همزة الوصل بين الثقافات والحضارات الأخرى في منطقة المشرق.

لقد كتب الكثير عن السريان، وفضلهم على الحضارة العربية، لكنني أردت في هذا الكتاب أن أزيد وأكتب عن موضوع جديد، فكان دراسة الإسلام المبكر في التواريخ السريانية، وإجراء مقارنة بينها وبين التواريخ الإسلامية العربية. وتحديدا الموضوع التالي: «التأريخ الإسلاميّ دراسة مقارنة بين تاريخ ميخائيل الكبير وتاريخ الطبري حتى نهاية العصر الأموي» وقد تطلب هذا الموضوع المزيد من الجهد، والعمل، والاطلاع الواسع، وذلك لإيماني بأهمية ما قدّمه السريان من فضل لا يمكننا إلا التطرق إليه، والتذكير به دائما.

